

آن ويب

إينيكي باسكنز

# الأفريقيات وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات بحث في التكنولوجيا والنوع الاجتماعي والتمكين

ترجمة: عزة خليل





قام الباحثون بمقابلات مع نساء من مختلف الطبقات الاجتماعية، والمستويات التعليمية، ومن الريف والحضر، يعملن في مختلف المجالات من الحرف اليدوية إلى تجارة الأسماك، وامتلاك وإدارة المشروعات التجارية المتوسطة والصغيرة، والمهنيات العاملات في مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات نفسه. واستخدموا في ذلك الأساليب الكيفية، وركزوا على أسلوب البحث بالمشاركة. وأثار البحث سؤالاً آخر؛ كيف لا تؤدي التكنولوجيا كأصل، ستنتال منها النساء القسط الأقل، نظرا لسياق عدم المساواة التقليدي، إلى تعميق عدم المساواة وليس العكس؟ وبدا واضحا أن تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات لن تجدي لصالح النساء إذا تم التعامل معها كموضوع منفرد بحد ذاته، وليس في سياق واقع عدم المساواة الذي تعيشه النساء، وإذا لم يكن توفير فرص استخدامها مصحوبا بفهم عميق لرغباتهن، ويتم التمكين بواسطتهن وتعرفهن على القوة الداخلية الهائلة التي يمتلكنها.

**الأفريقيات وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات**

**بحث في التكنولوجيا والنوع الاجتماعي والتمكين**

المركز القومي للترجمة

تأسس في أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور

مدير المركز: أنور مغيث

- العدد: 2707
- الأفريقيات وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات: بحث في التكنولوجيا والنوع الاجتماعي والتمكين
- إينكي باسكنز، وأن ويب
- عزة خليل
- اللغة: الإنجليزية
- الطبعة الأولى 2016

هذه ترجمة كتاب:

African Women and ICTS: investigating technology, gender and empowerment

Edited by: Ineke Buskens abd Anne Webb

Editorial copyright © Ineke Buskens abd Anne Webb, 2009

Individual chapters copyright © the contributors, 2009

African Women and ICTS was first published in English by Zed

Books Ltd, London

All Rights Reserved

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة  
شارع الجبلية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة.

ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.

E-mail: nctegypt@nctegypt.org

Tel: 27354524

Fax: 27354554

# الأفريقيات

## وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات

(بحث في التكنولوجيا والنوع الاجتماعي والتمكين)

تحرير : إينيكى باسكنز

آن ويب

ترجمة : عزة خليل



2016

**بطاقة فهرست**  
**إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية**  
**إدارة الشؤون الفنية**

الأفريقيات وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات  
بحث فى التكنولوجيا والنوع الاجتماعى والتمكين/ تحرير: إينيكي  
باسكنز ، أن ويب. ترجمة: عزة خليل  
القاهرة - المركز القومى للترجمة، ٢٠١٦  
٣٦٨ ص: ٢٤سم  
١- الاتصالات الالكترونية  
٢- نظرية المعلومات  
( أ ) باسكنز ، اينيكي (محرر)  
( ب ) ويب، أن (محرر مشارك)  
(ج) خليل،عزه (مترجم)  
( د ) العنوان  
٦٢١،٢٨٠٤١

رقم الإيداع ٢٠١٤/٢٦٥٤٦  
الترقيم الدولى: I.S.B.N.978-977-92-0050-7  
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

## المحتويات

9	شكر وتقدير .....
11	تصدير .....
15	مقدمة .....

### ( الباب الأول )

تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات - فرص الحصول عليها واستخدامها

31	الفصل الأول: البحث مع النساء بهدف التحول - إينيكي باسكنز .....
	الفصل الثاني: هل كان استخدام النساء لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات في موزمبيق أداة للتمكين؟ جيرترود ماكويفي، جويت مانديت، لوسيا جينجر، بولى جاستر، إيسيلينا ماكوم .....
45	الفصل الثالث: البحث في استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات عندما لا تتوفر شبكة كهرباء مضمونة: دراسة حالة من ريف جنوب أفريقيا - جوسلين مولر .....
63	الفصل الرابع: استخدام الريفيات التليفون المحمول لتلبية الحاجة إلى الاتصال: دراسة حالة من شمال نيجيريا - كانزانكا كومفورت وجون دادا .....
81	

**الفصل الخامس: الحرفيات المصريات يواجهن متطلبات السوق الحديثة.**

101 ..... بين المطرقة والسندان - ليلي حسنين

### ( الباب الثانى )

**توفير تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى أماكن للنساء فقط :**

### الأفاق والممارسة

**الفصل السادس: تمييز السياسات التى لا تراعى الفروق بين الجنسين**

فى توفير تكنولوجيا المعلومات: واقع وتصورات

طالبات جامعة زيمبابوى - بولى مبامبو - ثاتا،

117 ..... واليزابيث ملامبو، وبريوس مواتسيا

**الفصل السابع: فضاء عام بديل للنساء: احتمالات توفره فى تكنولوجيا**

133 ..... المعلومات والاتصالات - ليلي حسنين

**الفصل الثامن: استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات**

فى تحقيق الآمال وأداء الالتزامات: النضال ضد العنف

على أساس النوع فى المغرب - أمينة تافنوت،

151 ..... وعاطفة تميجردين

**الفصل التاسع: الأسماء فى دليلك لأرقام التليفون: هل تملك شبكات**

التليفون المحمول دوراً فاعلاً فى الدفاع عن حقوق

165 ..... النساء فى زامبيا؟ كيس برين إبراهيم



## ( الباب الثالث )

استخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، هل يجعل الحياة أفضل؟

**الفصل العاشر: التليفون المحمول فى زمن الحداثة: تاجرات الأسماك**

والمشغلات فى تجهيزها بذاكار. السعى إلى مزيد من

181 الاكتفاء الذاتى - إيبوسين، مامانو بالا تراورى ...

**الفصل الحادى عشر: منظمات الأعمال التجارية فى نيروبي: دراسة اختيارات**

201 النساء داخل سياقها المحدد - أليس وانجيرا مونيوا ...

**الفصل الثانى عشر: استخدام منظمات الأعمال للإنترنت. قطاع**

المنسوجات فى دوالا. الكاميرون: التعلم بالجهد

الذاتى والاعتماد على النفس - جيزيل يتامبين،

221 وإليس تشيندا .....

**الفصل الثالث عشر: تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات باعتبارها وسيطاً**

للتغيير: دراسة حالة منظمات الأعمال من

القواعد الشعبية فى أوغندا - سوزان باكشا،

237 أنجيلا ناكافيرو، وديروثى أوكيلو .....

**الفصل الرابع عشر: الاستخدام التجارى للتليفون المحمول: أداة تمكين**

255 لريفيات أوغندا - جريس بانتيبيا كيوموهيندو .....

## ( الباب الرابع )

### خلق واقع جديد

- الفصل الخامس عشر: مهنيات كينيات تمكن من النجاح فى قطاع تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات - أوكواش أباجى، أوليف سيفنا، وسالومى أوور أومامو ..... 275**
- الفصل السادس عشر: بحوث حول خبرات التوجيه لدى المهنيات فى مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، بكينيا. النظر فى المرأة - سالومى أوور أومامو ..... 295**
- الفصل السابع عشر: رحلتنا نحو التمكين: دور تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات - روث مينا، ومارى روزيمبى ..... 311**
- خاتمة - إينيكى باسكنز، وأن ويب ..... 331**

## شكر وتقدير

نود في المقام الأول، توجيه الشكر، إلى هيلويسى إمدون، مدير برنامج أكاسيا (Acacia) في مركز بحوث التنمية الدولية (International Development Research Centre)، الذي قدر أهمية تناول موضوع البحث في علاقة النساء وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات. كما نود توجيه الشكر إلى جيني رادلوف، وشات جارسيا، وإنريتي أسترهويسن، من مؤسسة الاتصالات المتقدمة (Association for Progressive Communications)، الذين تولوا، إلى جانب هيلويسى، الصياغة المفاهيمية لفكرة شبكة بحوث النوع الاجتماعي وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات في أفريقيا. ونشكر مركز بحوث التنمية الدولية أيضاً على تمويلنا والإيمان بنا. وكم كانت راماتا ثيوني وإديث أديرا على نحو خاص، مصدرًا للإلهام والدعم لنا.

وشرفنا بالعمل مع النساء اللاتي شاركن معنا باعتبارهن مبحوثات، وأسهمن في تكوين وجهة نظرنا حول رحلة النساء نحو التمكين، والأدوار التي يمكن أن تلعبها تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في هذا. وتركت مقابلاتنا مع النساء في سياق البحث، تأثيراً واضحاً في إثرائه. كما نشكر المنظمات التي وفرت لنا قنوات الوصول إلى النساء اللاتي كنا في حاجة إلى الحديث معهن.

وقد تستحيل الإشارة إلى جميع من قدموا لنا العون والرعاية سواء كأفراد أو شبكات، إلا أننا نود توجيه الشكر بشكل خاص إلى هيلينا بايلي، وليفييني جيثينج، ولويس جيبس، وريتشارد جرانت، ونانسي هافكين، وجرانت مارينوس، وتومسين أو ريوردان،

ونيدى تاندون، وفاطمة تميجردين، وتاجانا فاكوجا. ونعبر عن امتناننا لأسرتينا وأصدقائنا على صبرهم وتحملهم غيابنا. كان حبكم دعماً لنا لتتقدم في عملنا.

وتود كل منا توجيه الشكر إلى الأخرى، لإخلاصها لمهمتها ولهمة زميلاتها، بينما نمضى بالعمل في ظل توترات ونزاعات تنشأ لا محالة في ظل أى مجموعة متنوعة من الناس. ولكن كان تمسكنا بالهدف الذى تتبناه كل منا، سبباً في قوتنا والتقائنا.

شبكة جريس

## تصدير

لا يمكن إنكار مشاركة الأفريقيات فى ثورة المعلومات والاتصالات، ولا تنوع هذه المشاركة؛ فالتغيرات التى حققها استخدام تلك الأدوات ظاهرة فى كل مكان. وفوق هذا، ما زالت أفاق تكنولوجيا المعلومات والاتصالات واعدة بالكثير لتنمية وتمكين النساء. ورغم هذا، لم يستمع الناس بعد إلى رواية النساء لخبراتهم، وحول استخدامهن لتلك الأدوات: وهل تغيرت حياتهن للأحسن بسبب تلك التكنولوجيا الجديدة؟ وإذا كان الأمر كذلك، كيف حدث هذا التغيير؟ وهل توجد مجالات فى ثورة المعلومات والاتصالات تلك لم تشارك فيها النساء بسبب كونهن نساء، رغم قدرتهن على المشاركة، أو ضرورتها لهن؟ كيف يمكن دمج منظور النساء على اختلافاته، ووجهة نظرهن، وواقعهن، بالنسبة لاستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وإمكاناتها، فى سياسات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات التى يتم تطويرها وتطبيقها حالياً فى أنحاء القارة؟

وانطلاقاً من هذه الأسئلة، اشترك برنامج أكاكيا فى مركز بحوث التنمية الدولية، الداعم لبحوث تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من أجل التنمية فى أفريقيا، مع مؤسسة الاتصالات التقدمية فى توجيه الدعوة عام ٢٠٠٤ من جوهانسبرج، بجنوب أفريقيا، إلى مجموعة أكاديميين وناشطين أفارقة معروفين باهتمامهم الكبير بالمشاركة فى تمكين النساء وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات. فقد نما إدراك بالحاجة إلى سرد الأفريقيات لوجهات نظرهن، وإلى نقل باحثين أفارقة هذه المعرفة إلى العالم وعملهم على توصيلها. ومن هنا، نشأ التصور حول انطلاق شبكة بحثية من هذه مجموعة من الأشخاص، لتعمل على أرض الواقع كفريق. ولاقت الفكرة قبولاً، وخرجت شبكة "جريس" إلى الوجود. وبينما شجع فريق البحث كل باحث على اتباع بواعثه البحثية

الفردية، كما شجع الباحثين على تصميم مناهجهم وصياغة أسئلتهم البحثية الخاصة، فإن الأرضية المشتركة والتمسك بالهدف المشترك كانا متوفرين.

لقد تطورت الأفكار فى مجال دراسات التنمية، وتجاوزت الدراسات الحديثة فكرة تقديم تدخلات فى شكل البنية الأساسية الكفيلة بجذب المستفيدين المستهدفين وإحداث التغيير. وفى الحقيقة، أدى منهج تساقط الثمار - وهو الاعتماد على رفع الجوانب المتطورة من الاقتصاد، للجوانب التى ينقصها التطور - إلى مستويات أفدح من التفاوت فى الواقع. ورغم هذا، ما زالت مناهج معالجة التفاوتات بين الناس استناداً على فكرة الحقوق، تحظى بالاهتمام وتحقق تقدماً. كما تبدو طريقة التركيز على "فاعلية" (agency) تتشكل من المستفيدين المستهدفين أنفسهم، بغرض تحقيق التنمية والتمكين، المستخدمة حالياً، معقولة وفى وقتها المناسب. كما أصبح مطلوباً من أى تفكير إنمائى، البحث عن طريقة تضمن استفادة النساء من التنمية.

وقد تبنت مجموعة من الأكاديميات والناشطات من جوهانسبرج، هدف تمكين النساء، واجتمعن تحت اسم "معا" (together)، حول قناعة بضرورة استناد المعرفة التى ينتجنها، على السعى إلى فهم فاعليات النساء. واستلزم التركيز على الفاعلية فى كل الأحوال، أن تكون الباحثات قادرات على إدراك إمكانات المبحوثات، وإظهارها فى أفكارهن وكتابتهن. وأدى هذا إلى تأكيد مناهج البحوث الكيفية؛ أى الالتزام بالبحث والتعلم المتواصلين؛ وإعطاء ثقافة الاحترام والمشاركة والدعم المتبادل التقدير الواجب لها.

ورغم هذه الفكرة المقتضبة، ربما ما زال التحدى قائماً، بل هو كذلك على الأرجح. ولكن بلا شك، فقد أدت هذه الفكرة المقتضبة ذاتها إلى نجاح "جريس" كشبكة بحث بارزة، تتواصل جهودها ليس فقط من خلال الإسهام فى الجدل حول تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من أجل التنمية من منظور نوعى فى أفريقيا، وفى الجنوب على نطاق أوسع، ولكن كان لها إسهامها أيضاً فى مجموعة البحوث المتماسكة والمتواصلة حول القدرات فى مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من أجل التنمية والنوع الاجتماعى.

ونأمل أن يثرى البحث الذى بين أيديكم أفكاركم، ويثير تساؤلاتكم وتأملاتكم. ويصل مدى انتشار القضية الرئيسية فى هذا الكتاب، ووجهات النظر التى تم بحثها، والحقائق التى تم كشفها، إلى ما هو أبعد من أفريقيا، وأبعد من مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. ولعل أى شخص مهوم بقضايا المساواة النوعية الاجتماعية والتمكين، أن يجد فى هذا الكتاب مادة ثرية للقراءة.

هيلويسى إمدون

أوتاوا، أكتوبر ٢٠٠٨





## مقدمة

إينيكي باسكنز - آن ويب

والآن اجلس مستقيماً فاردا ظهرك.

ارخ كفيك فوق ركبتيك، واملاً المقعد في جلستك.

خذ نفساً عميقاً، وأغلق عينيك؛

خذ نفساً آخر، اسحب الهواء من أنفك، واتركه يخرج من فمك.

نفساً آخر... استرخ تماماً.

لاحظ أفكارك، وعواطفك، وردود فعل جسدك، من الداخل.

لا تتخذ حكماً، ولا تستنتج معنى، لاحظ فقط.

بينما أنت مستريح في جلستك، لاحظ فقط.

ركز فيما أنت في حاجة للتركيز فيه:

اذهب بتفكيرك إلى مبحوثاتك، اسمع أصواتهن، انظر في وجوههن.

خذ نفساً عميقاً، واسترخ.

لا تنس أنك جالس هنا، مستريح في جلستك.

ما أهم رسالة يرسلنها إليك؟

ماذا يقلن؟

خذ نفساً عميقاً، استرخ.

لديك كل المعرفة التي تحتاجها، إذ قمت بعملك، والآن فقط،

دعهم يتحدثون إلى كتابتك

دع الكلمات تتدفق، لا تقم بدور الرقيب عليها، لاحظ فقط.

إينيكى باسكنز

### إنتاج معرفة عملية وظيفية لصالح التغيير

كان علينا فى البداية وضع أنفسنا على مسافة متساوية مع كل الأشياء، ولعل هذا النمط من التفكير لا يبدو متقدماً من الناحية التكنولوجية، ولكن مع العلاقات التى تربط بين تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وتمكين النساء، والتميز النوعى، وفرص الوصول المتاحة، وزيادة المشروعات، والنشاط الدفاعى وإلى آخر ما يمكن إضافته من أبعاد متعددة، لم يكن هناك بد من ذلك. لقد أخذنا على عاتقنا مهمة كبيرة، بمحاولتنا الوصول لأفضل فهم حول كيفية تأثير تمكين النساء فى استخدامهن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وتأثره بها، وما إذا كان يؤثر فيها ويتأثر بها أم لا أيضاً. لقد اعتزمنا استكشاف الحواجز الهيكلية الخارجية التى تواجهها النساء، والعوامل الداخلية والمفاهيمية التى تعوقهن أيضاً عن استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لصالحهن، أو تمكنهن من ذلك، والإستراتيجية التى استخدمناها للتغلب على المعوقات (Buskens et al. 2004).

وشكلت الرؤى التى حصلناها من ذلك الاستكشاف محتوى هذا الكتاب. لقد جمع المؤلفون بين السعى إلى التعرف على موقع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى حياة الأفريقيات، اللاتى يخضن نضالاً يومياً لتحقيق قدر أكبر من الاستقلال والمساواة، من خلال تصوراتهن أنفسهن، وبين دراسة السياق الذى يسبب تركيز الانتباه على وعود تكنولوجيا المعلومات والاتصالات حول التنمية، أكثر من الاهتمام بأشكال عدم المساواة الحالية المميزة ضد النساء.

خلال ثلاث سنوات، اتصل عمل ١٤ فريقاً بحثياً (شارك فيها نحو ٢٠ باحثاً وباحثة) من ١٢ دولة. وتم تعزيز عملية البحث هذه، بإجراء تدريبات شخصية وجلسات عمل كل عام، ومتابعة مستمرة لما يتم عملياً من مناقشات واستقصاء وأصداء المنعكسة وتعامل مع الموارد<sup>(١)</sup>. وأجرى الباحثون عملهم البحثي في مناطقهم الجغرافية أو مجتمعاتهم المحلية أو أماكن عملهم باستخدام اللغة المحلية، وفي بعض الحالات كانوا أنفسهم من ضمن المبحوثات. وبحثوا القضايا التي وقع اختيارهم عليها استناداً إلى خبرتهم الشخصية واهتماماتهم والتزامهم بإنصاف النساء والعدالة الاجتماعية، المتضمن في الفكرة الأساسية لمشروع "تجربس"<sup>(٢)</sup>.

وكانت النتائج مثيرة للإعجاب، من وجهة نظرنا، نظراً لما أثمرت عنه من معرفة وفهم عميقين لواقع النساء والمعاني التي يحملنها عن هذا الواقع. وفضلاً عن ذلك كشفت النتائج عن إمكانات، إذا توفرت لها الإرادة السياسية لدى صانعي القرار، ستكون قادرة على مواجهة الوضع القائم على المستوى العالمي، الذي يشهد ضعف استفادة النساء، مقارنة بالرجال، من المعلومات المتوفرة بالمجتمع، وضعف مساهمتهم فيها أيضاً (Huyer et al. 2005). ويصبح الوضع إشكالياً أكثر، عند بحثنا فيما إذا كانت المجتمعات ككل تستفيد من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وتستخدمها في تحقيق مزيد من التنمية، وما إذا كانت الرؤية حول التنمية التي يسعى المجتمع إلى تحقيقها، تعكس مصالح وحاجات السكان وتفي بها بإنصاف، أم أنها تعكس ما يخص القابضين على مواقع السلطة.

وتطلب الكشف عن المضامين خلال عملية البحث، ثم فهم دلالاتها، أن نجعل أنفسنا على مسافة متساوية من الأشياء مرة أخرى أيضاً. وكررنا استخدام تمرين بيضة النعامة أكثر من مرة، كما كانت هناك تدريبات أخرى على ما ينعكس عن الذات<sup>(٣)</sup>. واستخدمنا في البداية تقنيات البحث الكيفي، من أجل توفير بيانات أكثر عمقاً،

---

(\* في الأصل: Selfreflection). (المترجمة).

وحتى تتمكن من كشف الأبعاد والجوانب المختلفة للظاهرة. واستندت تساؤلات البحث ومناهجه وتدريبه، وبرامج التوجيه الدائم والدعم المصاحبة له، على قواعد البحث النقدي الهادف إلى التحرر (Buskens 2002; Buskens and Earl 2008).

وحدد المؤلفون المناهج الواجب استخدامها مع كل حالة، استناداً إلى كونها الأكثر ملاءمة للتعرف على حياة وتفكير المبحوثات. وكان أسلوب تعاملهم منهجياً مع المبحوثات، قائماً على أنهن عناصر فاعلة في تحديد واقعهن الخاص، أكثر من اعتبارهن ضحايا لواقعهن. ورغم أن هذا قد يبدو مناقضاً لنقطة الحرص على الفهم الجيد لحياة النساء، وتحديد اتجاهات تطور تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وفقاً لها، فإننا نرغبنا في اكتشاف طريقة فهم النساء لأوضاعهن الحالية، وأردنا جعل تفكيرهن يتجاوز واقعهن الحالي، وأن ننظر فيما يحتاج لتوفيره في سبيلهن إلى تطبيق وجهات نظرهن. ومن أجل القيام بهذا النوع من الانعكاس والتفكير، يجب أن ترى النساء أنفسهن قادرات على التصرف وفقاً لما يردن لأنفسهن (Buskens 2002, 2006; Buskens and Earl 2008; Hannan 2004; Kabeer 2003). ونعد هذا النوع من التفكير، تفكيراً قادراً على خلق معرفة تطبيقية يمكن توظيفها حتى تؤدي للتغيير.

ولكن حتى يكون لهذه المعرفة مغزى أيضاً، لا بد أن نأخذ في حسابنا أعراف وقيم مجتمعاتنا التي يتشكل منها وعينا وسلوكنا. وليس سهلاً أن نصبح على بيعة بالعوامل التي تشكل وجهات نظرنا وقيمنا، كما لا يسهل أيضاً تخيل صورة واقع يتجاوز معرفتنا الواعية وتخلينا. ولكنه كان التحدي الذي أخذته مؤلفو هذا الكتاب على عاتقهم، أن يبنوا بحثهم، وبعد ذلك تحليلاتهم وتفسيراتهم، وأن يحاولوا تحميل المعاني لتصورات المبحوثات، وأن يسعوا إلى جعل التغيير ممكناً في سياق واقعهن الحالي وأحلامهن. ويستدعي هذا التشديد على ما قد ينعكس من قبل الباحثين، باعتبارهم يعملون في محيطهم الاجتماعي الثقافي الخاص.

وأدى العمل في بيئات مألوفة، إلى تسهيل بناء علاقة تفاهم متبادل مع المشاركات في البحث وإدراك الخصوصيات المحلية. ولكن لم يكن من السهل توجيه إدراك العلاقات

والافتراضات المعيارية، الاجتماعية والثقافية والنوعية والاقتصادية (وغيرها) فى سياق البحث، وداخل نفس الشخص كباحث. وحيث كان الباحثون مستخدمين أدت تكنولوجيا المعلومات والاتصالات إلى تمكينهم، كانوا أمليين فى مشاركة الآخرين أيضاً فى المنافع التى حصلوا عليها. وكما هو شأن "القادم من الخارج"، عمل المؤلفون باعتبارهم "باحثى أنثروبولوجيا من الواقع المحلى" (Rodriguez 2001)، مواجهين بمهمة بحث افتراضاتهم وتحيزاتهم الخاصة والتشكك فيها، وأن يكونوا واعين بعدساتهم الخاصة، وأن ينجحوا فى التصرف مثل الغريب العادى من الناحية الأنثروبولوجية (Buskens 2006, 2002). ويعد شرط الوعى الذاتى، أو الوقوف على ما قد ينعكس عن الباحث، الميزة الأساسية فى مقارنة البحث الكيفى التى تبناها الباحثون من كل فرق العمل.

وأسمهت تدريبات الانعكاس الذاتى، فى كشف المؤلفين للارتباطات بين الكلمات والتصرفات، حتى حينما تبدو متخالفة على السطح. وطبق المؤلفون أيضاً عملية وضعتها إينيكى باسم "مقابلة تهدف تعديل السلوك" (Transformational Attitude Interview)، كعملية ليضع الباحثون أنفسهم على مسافة متساوية، وللوعى بالذات، ومن أجل زيادة قدراتهم على إدراك الطبقات المتعددة للوعى، والطبقات المتصاحبة للمعنى (Buskens 2008). وتوفر هذه العملية التى تتضمن إجراء مقابلات مركزة تكشف عن الخبرات والقيم والأحلام، والتعارضات الموجودة بينها. وتكشف أيضاً ما ينبغى اتخاذه فى سعينا للواقع الذى نرغب فى جعله قابلاً للتحقيق، وإدراك المعوقات (داخلنا وخارجنا على السواء) وعناصر القوة والظروف التى يجب جعلها متسقة مع الرؤية المرغوب فيها حول عالم معين.

## هل تؤدى إلى التخلص من الهيراركية؟

يرى مؤلفو الفصول التالية أن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، تمثل أدوات قد تساعد الناس فى إدخال التحولات على واقعهم. ولم ننظر إلى منتجات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات باعتبارها تغييراً للأنظمة والقيم غير العادلة، مثلها فى ذلك مثل

الأشكال السابقة عليها من تكنولوجيات المعلومات. فقد رسخ تصور تكنولوجيا المعلومات والاتصالات اجتماعيا، "باعتبارها اصطلاحية عن بيئة معينة، خلقها معنيان محددان لأغراض معينة" (Heeks 2002: 5). وبصرف النظر عن وضوح أو عدم وضوح تلك الأغراض، فإنها "تمت صياغتها داخل خطاب منتشر على نطاق واسع حول التحديث والتنمية المستندة على افتراض وجود نقص في المعرفة (الغربية)، مسئولاً بشكل جزئي "عن تخلف" (Schech 2002: 13) البلدان النامية. ورغم أنه افتراض متفطرس وساذج في الوقت ذاته، فإن يثبت وقوع العالم "المتقدم" و"النامي" في أسر بعضهما بعضاً، كما يفعل الشيء نفسه بالنسبة للواقع والعلاقات السياسية الاقتصادية.

وعلاوة على ذلك، نشأ إدراك عام بأن جنود تطور مجتمع المعلومات، بحكم طبيعتها وتوجهها، لا وجود لها في واقع النساء، وخاصة النساء اللاتي يعانين من الفقر والتمييز النوعي أيضاً، واللاتي ليس لديهن مواقع للسلطة في المجال العام (Hafkin and Huyer 2006; Huyer et al. 2005). وفي الوقت الحالي، نتيجة لمحدودية توثيق مسائل النوع الاجتماعي وعلاقتها بتأثير تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، أصبح من الصعب وضع مسألة تضمين قضايا النوع الاجتماعي في سياسات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وخططها وإستراتيجياتها بين يدي صانعي القرار. فوفقاً لرؤية برنامج الأمم المتحدة للتنمية، "نون بيانات، لن تكون هناك رؤية واضحة؛ ومن نون رؤية واضحة، لن يكون هناك تحديد للأولويات" (ibid.: 50) (cited in Huyer and Westholm 2000). وقد أوضحت الاستبيانات التي أجريت في برنامج "جريس"، رسوخ التفاوت النوعي في بيئات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، ويتم بحثها حالياً بصورة منفصلة عن وجهات نظر المستخدمين (ibid.; Sciadas 2005).

وإذا كنا ندرك إمكانية استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في تحسين حياتنا، والمساهمة في رفاهيتنا، والاستفادة من الوقت بصورة فاعلة، وفي التنمية الاقتصادية وما إلى ذلك، إلا أنها يمكنها مفاقمة أوضاع الحياة والعلاقات والتصورات حول النوع الاجتماعي، وبذلك تلعب دوراً محافظاً رجعيًا. وعليه، لا يتمثل صلب

الموضوع بدرجة كبيرة فى قضية فرص الوصول والقدرة على تحمل التكاليف، رغم أنها عوامل مهمة؛ بل الأمر متعلق أساساً، بالتساؤل حول مزاولة الحق، وامتلاك المساحة، فى تقرير المصير.

تخلق تكنولوجيا المعلومات والاتصالات أنساقاً مختلفة للوقت ولأنواع الفضاء، ولكن لا يتضح تماماً كيف تعمل على إتاحة فضاء لتقرير المصير؛ لأنها تحمل معانى مختلفة، وأبعاداً مختلفة، فى سياقات مختلفة. وفوق هذا، يفترض استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى تحسين حياة شخص ما، أن يكون لديه قدر من التحكم فى فضائه ووقته.

## فصول الكتاب

يثير مؤلفو هذا الكتاب عدداً من التساؤلات استناداً إلى ما فهموه من وجهة نظر وخبرات النساء اللاتى يستخدمن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وشاركن فى بحوثها. بحث المؤلفون تأثير استخدام النساء لما هو متاح لهن من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وفى بعض الحالات تأثير عدم إتاحة هذا الاستخدام. وهم فى ذلك يناقشون شبكة معقدة من العوامل.

تعرفت جميع المبحوثات فى هذا البحث على نوع محدد من تكنولوجيات المعلومات والاتصالات، مثل التليفونات المحمولة، وأجهزة الكمبيوتر، وشبكة الإنترنت، والسى دى روم، والراديو. وتفاوتت بوضوح طريقة ارتباط النساء بالتكنولوجيا، والإمكانات التى رأينها أو سعين إليها فيما يتعلق بالفرص المتاحة للاستخدام، والاستخدام الفعلى، والتحكم فى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات (سواء بالنسبة للغرض أو المحتوى)، والآثار الناتجة التى تعرفن عليها، وما ترتب على تلك التأثيرات إذا نظرنا إليها فى سياقها الاجتماعى الاقتصادى والثقافى الأوسع. ولكن رغم التباين، فإن هناك مسائل عامة كشف عنها الباحثون، كانت حاسمة فى فهم معادلة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بهدف التنمية، أو تخفيف حدة الفقر، أو المساواة النوعية، أو العدالة الاجتماعية.

شكلنا أربع مجموعات من الاختيارات والعلاقات التي عبرت عنها المبحوثات بالنسبة لاستخدامهن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، فيما يتعلق بمسألة التمكين.

النساء فى الفصول التى يضمها الباب الأول، تأثرن بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات على نحو "سلبى". ولقد تغيرت حياتهن نتيجة للأشكال المتنوعة من التكنولوجيات، ولكنهن لم يكن باستطاعتهن الوصول إلى تلك الأدوات واستخدامها، إما نهائياً، أو بشكل محدود فقط. وافتقار هؤلاء النساء لفرص الوصول والاستخدام، ارتبط بافتقارهن إلى البنية التحتية (بما فيها التيار الكهربائى والهارد وير)، الفقر (الأولوية الأساسية بالنسبة لهن الحاجات التى تقيم الحياة) والامية. وترتبط تلك العناصر فى أغلب الأحوال جزئياً، وفى بعضها تماماً، بالنوع الاجتماعى. على سبيل المثال، وفى بعض السياقات، تأثرت النساء بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، إذ دخلت تلك التكنولوجيات إلى عالمهن من خلال استخدام أسرهن لها، وتوفر فرص الوصول إليها فى المجتمع المحلى، مع إدراك منافع استخداماتها المحتملة، حتى ولم تسع النساء بحماس لاستخدامها. واكتشف الباحثون أن بعض التكنولوجيات لا مجال لها لدى المبحوثات، وبعضها يجمع بين "النعمة والنقمة".

واستفادت المبحوثات فى الباب الثانى من الأماكن المقصورة على "الإناث فقط" التى أنشأنها لأنفسهن، أو ربما أنشأها آخرون من أجلهن. واستطاعت النساء، بواسطة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ومعها، أو الاستفادة بما قد يتوفر منها فيما بعد، الحصول على ملاذ فى تلك الأماكن، والتعبير عن أنفسهن، وأن يتعلمن ويكوّن شبكات، ويزاولن التجارة. ويمكن صياغة الأمر بأنه فى أحوال معينة تكون البيئات التى تعيش فيها النساء غير متوازنة نوعياً، فلا يحصلن على فرص لتحسين حياتهن وتوسيع مشاركتهن فيما يتوفر من الأماكن العامة الطبيعية القائمة فى المجتمع. ويمكن اعتبار خلق تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لتلك الأماكن الخاصة بهن ميزة، إذ تستطيع النساء النتمتع بحريات جديدة واستخدامها. ويخلقن من خلال هذا أنماطاً جديدة من الفضاء -



استخدام التليفون المحمول عندما تقع حالات العنف فى مناطق معزولة فيزيقيا؛ إتاحة بيئة للتعليم والعمل داعمة للنساء لا تستدعى الدخول إلى المجال العام الأبوى؛ تحسين شبكات الدفاع القائمة - التى تؤسسها النساء من أجل إتاحة خيارات جديدة وحرية لأنفسهن. ورغم ذلك، بماذا توحى الرغبة أو السعى إلى أماكن مخصصة للنساء فقط لاستخدام التكنولوجيات، فيما يتعلق بخيارات النساء حول تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ومشاركتهن فيها؟ كيف نرى هذه الرغبة فى الانفصال عن هياكل السلطة القائمة بدلاً من مواجهتها، من منظور المساواة النوعية؟ فهل يكون فى هذا تعبير عن تمكين النساء المشاركات فيها؛ وتكون تلك الخيارات بمثابة أساليب للتمكين يعملن على ترسيخها؟

وفى الباب الثالث، اكتسبت النساء من خلال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات مزيداً من التحكم بوقتهن وفضائهن الخاص سواء فى حياتهن الشخصية أو المهنية. ورغم ذلك، كثيراً ما تعارضت الأدوار النوعية التى يملها المجال العام الذى تعيش فيه النساء، والأعراف السائد المتأثرة بالنوع الاجتماعى، مع استخدامهن لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات وعملت على إرباكه. وفى الوقت نفسه، اكتسبت النساء خبرة ممارسة الأنشطة المادية بصورة مستقلة مع استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وحققن مكاسب اجتماعية اقتصادية. ومن زاوية أخرى، أدى استخدامهن لتلك التكنولوجيات إلى تمكينهن من أداء أفضل للأدوار الثلاثة الملقاة على عاتقهن. وربما نصل بناء على ذلك إلى أن استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات يسهم فى الحفاظ على تقسيم العمل النوعى التقليدى، بل حتى قد يدعمه، وبالتالي يعطى الأثر نفسه على ميزان القوى بين النوعين. ورغم كل هذا، استطاعت بعض النساء باستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، إحداث تحول فى واقعهن، وليس مجرد تحسين حياتهن. وبهذا أحدثن تحولاً فى التصورات والأوضاع النوعية، فى علاقاتهن الشخصية ومجتمعاتهن المحلية.

وفى الباب الرابع، يتحدث المؤلفون مع النساء اللاتي استخدمن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لتحسين حياتهن وفقاً لتصوراتهن الخاصة. وقد خلقت تلك النساء لأنفسهن وللآخرى، فضاءً جديداً يعشن فيه ويفكرن ويعملن، وأثرن بأساليب مختلفة على الفضاء العام، سواء فى الأسرة المعيشية أو المستويات المحلية والوطنية والدولية. وهكذا، بتحدى ظروفهن الخاصة وتحطيم السقوف الزجاجية، أصبحن مصدراً لإلهام الأخريات. وكن مجموعة متنوعة من النساء، فكانت بينهن مديرة تنفيذية لشركة تعمل فى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، لديها فرص واسعة فى التعامل مع المصادر، ومصففة شعر اضطرت إلى التوفير لمدة عامين حتى تتمكن من شراء تليفون محمول تبدأ به عملها، ثم أصبحت بعد ذلك قادرة على شراء منزل خاص بها، بل وتؤجر منه حجرة.

ويمكن تناول هذه المجموعات الأربع باعتبارها سيناريوهات، أو محطات، أو مراحل. فى كل مرحلة، أو محطة أو سيناريو، نتساءل حول مستوى التمكين اللازم، ليلائم فرص وصول النساء لنوع محدد من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات واستخدامها، أو الملائم للمساهمة فى المساحات التى تنشأ مع تلك التكنولوجيات، وتظهر من خلالها. ويشير بحثنا إلى أن هناك "عتبات للتمكين" عند كل مستوى، تتشكل فى تجميعات متنوعة من العوامل الداعمة الداخلية والخارجية. ورغم ذلك، فعند كل مستوى، وحتى المستوى الذى لا تملك النساء فيه سوى أقل الخيارات بسبب حرمانهن العام من الحاجات الأساسية (مثل التيار الكهربائى)، ستجد النساء تعبيراً عن فاعليتهن. ويقر أمارتى سن (Amarty Sen) "لا يمكن القول اليوم إن هناك ما يضاهى أهمية الاقتصاد السياسى للتنمية، مثل إدراك ما هو ملائم لمشاركة النساء السياسى والاقتصادية والاجتماعية، وتوليهن للقيادة". رغم ذلك فهو يعترف فى الوقت نفسه، بأن "الوصول إلى فاعلية النساء على نطاق واسع، يعد من أكثر المناطق التى تجاهلتها دراسات التنمية، والأكثر إلحاحاً بين ما ينبغى تصحيحه" (Sen 1999: 203).

وفى سبيل مزيد من الوضوح حول أسلوب ممارسة النساء لفاعليتهن باستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، ومن خلال كشف طريقة تأثير المسائل النوعية على فرص توصل النساء إلى استخدام تلك التكنولوجيات سواء بالسلب أو الإيجاب، ومعرفة لى مدى تحقق النساء أحلامهن، وعلاقة ذلك باستخدامهن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، والوقوف على ما يحتجن إليه للوصول إليها، وتحديد العقبات التى يواجهنها، والتعرف على خططهن فى التغلب على العوائق الداخلية والخارجية التى تحول دون استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، يسهم المؤلفون فى التوصل لفهم أفضل حول إمكانات استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. ونرى أن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات موضوع يستحق انتباها خاصا، بقدر ما تمثل تلك التكنولوجيا أدوات قوية. وإذا لم يخصص هذا الموضوع بالانتباه، سياتر على ذلك ضياع فرص للنساء، ويعرضهن هذا لخطورة أن تؤدى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات دون تَعَمَد إلى تدعيم التمييز ضد النساء وإضعاف وضعهن.

## الهوامش

- (١) فضلاً عن التدريب على مناهج البحث الكيفية، تم التدريب على تكنولوجيا المعلومات أثناء ورشتي العمل السنويتين الأوليين لمنظمة "جريس"، مع شراكة أساسية من جمعية الاتصالات المتقدمة، وخاصة مع برنامج النساء فيها.
- (٢) تم تمويل هذا المشروع بواسطة مركز بحوث التنمية الدولية في كندا. وتعتبر الآراء الواردة في هذا الفصل وجميع أجزاء الكتاب، عن المؤلفين ولا تمثل بالضرورة رأى الممول. ولزيد من المعلومات، يمكنكم الدخول إلى الموقع الإلكتروني: [www. GRACE-Network.net](http://www.GRACE-Network.net).

## المراجع

- Buskens, I. (2002) 'Fine lines or strong cords? Who do we think we are and how can we become what we want to be in the Quest for Quality in Qualitative Research?', *Education as Change*, 6(1): 1-31.
- (2006) 'Gender research in Africa into ICTs for empowerment', *IICBA Newsletter*, 8(2), UNESCO.
- (2008) 'Transformational Attitude Interviewing', [www.GRACENetwork.net](http://www.GRACENetwork.net).
- Buskens, I. and S. Earl (2008) 'Research for change – Outcome Mapping's contribution to emancipatory research in Africa', *Action Research*, 6(2): 173-94.
- Buskens, I., A. J. Radloff (2004) 'GRACE: Gender Esterhuysen and Research in Africa into ICTs for Empowerment', Project proposal, [www.GRACE-Network.net/publications/GRACE%20proposal.pdf](http://www.GRACE-Network.net/publications/GRACE%20proposal.pdf).
- Hafkin, N. J. and S. Huyer (2006) *Cinderella or Cyberella? Empowering Women in the Knowledge Society*, Bloomfield, CT: Kumarian.
- Hannan, C. (2004) 'Women's rights and empowerment: gender equality in the new millennium', Presentation to the United Nations Day Banquet, Dallas chapter of the United Nations, 24 October.
- Heeks, R. (2002) 'i-development not e-development: special issue on ICTs and development', *Journal of International Development*, 14(1).
- Huyer, S., N. Hafkin, H. Ertl and H. Dryburgh (2005) 'Women in the information society', in G. Sciadas (ed.), *From the Digital Divide to Digital Opportunities: Measuring Infostates for Development*, Ottawa: Orbicom/ITU, pp. 134-94, [www.orbicom.ca/media/projets/ddi2005/index\\_ict\\_opp.pdf](http://www.orbicom.ca/media/projets/ddi2005/index_ict_opp.pdf).
- Kabeer, N. (2003) *Gender Mainstreaming in Poverty Eradication and the Millennium* Ottawa: Commonwealth Secretariat/ Development Goals, IDRC/CIDA.

- Rodriguez, C. (2001) 'A homegirl goes home: black feminism and the lure of native anthropology', in I. McClaurin (ed.), *Black Feminist Anthropology: Theory, Politics, Praxis and Poetics*, London: Rutgers University Press.
- Schech, S. (2002) 'Wired for change: the links between ICTs and development discourses', *Journal of International Development*, 14(1).
- Sciadas, G. (ed.) (2005) *From the Digital Divide to Digital Opportunities: Measuring Infostates for Development*, Ottawa: Orbicom/ITU, [www.orbicom.ca/media/projets/ddi2005/index\\_ict\\_opp.pdf](http://www.orbicom.ca/media/projets/ddi2005/index_ict_opp.pdf).
- Sen, A. (1999) *Development as Freedom*, New York and Toronto: Anchor Books.
- UNEP/GRID-Arendal (2006) *Planet in Peril: Atlas of Current Threats to People and the Environment*, UNEP.

## (الباب الأول)

تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات  
فرص الحصول عليها واستخدامها





## الفصل الأول

### البحث مع النساء بهدف التحول

إينيكي باسكينز

معروف أن البحوث الكيفية مع النساء، من النمط الذي أجراه مؤلفو هذا الكتاب، تشكل تحدياً حقيقياً. وقد نشأ الباحثون والمبجوثات على السواء في مجتمعات يتحكم فيها الرجال سياسياً واجتماعياً<sup>(1)</sup>. ويعنى هذا أن كلا الطرفين سينظر إلى نفسه وإلى الآخر خلال مرشحات تشكلت في قلبه التفكير الجنسانى السائد وبواسطته. وبينما هناك بلا شك تنوع كبير فى المرشحات الموجودة بين الأفراد والجماعات والمجتمعات المحلية والدول، ويداخل كل منها أيضاً، الأمر الذى سيظل غير مدرك بدرجات مختلفة، لكن فى الحقيقة سيبقى لكل شخص مرشح جنسانى من نوع ما لا يستطيع الفكاه منه.

#### النساء باعتبارهن مبجوثات

لدى النساء افتراضات باطنية لم تتعرض للاختبار، ومفاهيم متحيزة حول القدرات الموجودة لديهن أو التى يفتقرن إليها. ويصل هذا إلى حد أنهن فى أكثر الأحيان لا يعرفن بالفعل من يكن ولا ماذا يردن. ربما تعتقد النساء باطنياً أنهن أقل مما هن عليه بالفعل باعتبارهن أشخاصاً، من حيث القيمة والقدرة والكفاءة والمواهب... إلخ. والأكثر من ذلك، أن المفاهيم المقبولة ثقافياً فى المجتمعات التى يهيمن عليها الذكور، لا تسمح غالباً

بتعبير النساء عن واقعهن وخبراتهم. ودائما ما تكون أيديولوجية الحكم السياسي والاجتماعي الذكوري المهيمن جاهزة للحكم على النساء وتشويههن (Daly 1973; Belenky et al. 1986; Gilligan 1982).

وفي البحوث الكيفية، عندما يطلب الباحثون من النساء التحدث عن حياتهن، فكأنهم يطلبون من أنفسهم أيضاً اختيار المفاهيم التي سيعملون من خلالها. وحيث ستكون تلك المفاهيم متأثرة بالصور التي تخدم ثقافة سيطرة الرجال، فالاحتمال الوارد أن يكون الباحثون معياريين، أو أن يضيفوا تشويهاً من عندهم، أو حتى مجرد أن يكونوا غير ملائمين لعكس واقع النساء. وحينما تخرب المفاهيم التي يبننها النساء عن أنفسهن مسيرتهن الإنسانية، سيعانين من توتر وصراع بين ما يعرفن حول أنفسهن عبر ما ورثته، وما يعتقدن أنهن قادرات عليه. وربما لا يعرفن حتى إن المفاهيم الاجتماعية الثقافية التي يحملنها حول النساء عموماً، تتحدث طوال الوقت إلى ما لديهن من صورة ذاتية أنثوية مركبة بصورة شخصية. عندما نسأل النساء حول مشاعرهن، نصل إلى منطقة الحقيقة والخبرة الشخصية، بينما نفتح بالتزامن مع ذلك علاقتهن مع هذه الثقافة المهيمنة. وتحفظ النساء في المساحة الذهنية بين المفاهيم المقبولة ثقافياً والحقيقة الشخصية، بالتوتر بين طريقة تفكيرهن فيما هن عليه. أو ينبغي أن يكن عليه، وكيف يشعرن فعلياً (Anderson and Jack 2006).

### ماذا يتوقع الباحثون أثناء محادثاتهم مع النساء؟

ربما تكون لدى النساء حساسية عالية حول ما يتوقعن أن الباحثين ينتظرون سماعه، لأنهن يشعرن بعدم الأمان، عندما يكون عليهن التعبير عن تصورهن حول أنفسهن ومشاعرهن. وفي أغلب الحالات، لا تمتلك النساء مفاهيم يشعرن أنها صواب تماماً من وجهة نظرهن، وأنها تمثل خبراتهن بالكامل. وربما تتناقض النساء مع أنفسهن، ويتحدثن فيما بين السطور. وربما يقيمن أنفسهن إزاء الصورة النمطية التي يحملنها عن المرأة الصالحة وأحياناً يفعلن هذا مصحوباً بالاشترار مع ما هن

"عليه واقعياً بأنفسهن". ربما يتكلمن من خلال "التصور الثابت" في أوقات، معبراً عن الجزء المقبول ثقافياً من دورهن الأنثوي، وفي الوقت نفسه يكتمن أصوات خبراتهن الشخصية الأصلية (ibid).

وقد تتناقل النساء الخبرات مع بعضهن بعضاً، بينما ينتقدن ما يقلن في الوقت نفسه، بواسطة ما وراء التصريح. وربما كانت المفاهيم التي تستخدمها النساء "مفاهيم تحت التكوين" وقد يجربن مفاهيم غيرها في أوقات لاحقة. وربما يستخدمن أحياناً المفاهيم المقبولة ثقافياً في انتقاد حياتهن؛ وأحياناً أخرى سيستخدمن خبرتهن الشخصية في انتقاد المفاهيم المقبولة اجتماعياً. كما يكون لدى النساء أيضاً كثير من الأحلام غير المتحققة، وقلق وشكوك حول تحقيقها. وربما يظهر البحث المعمق كل هذا فيسبب لهن شعوراً بالضيق. وعليه، فالجوء إلى الاستشارة ملائم يعتمد عليه الباحثون (ibid).

### البحث مع النساء: زيمبابوي مثالاً

فيما يلي، نناقش مشروع البحث الذي أجراه فريق شبكة "جريس" في زيمبابوي، حتى نسلط الضوء على نمط التقارير البحثية، التي تميز عادة البحث الكيفي على النساء ومعهن، حول فرص الوصول إلى تكوين معرفي متقن ومفيد، وهو ما يتوفر في هذا البحث. هذا غير أننا سنعرض البحث كاملاً في الفصل السادس.

في جامعة زيمبابوي، لاحظ ثلاثة باحثين، كانوا يعملون فترة هذا البحث أمناً مكتبة بالجامعة، أن عدد الطلاب الذكور في معمل الكمبيوتر بالجامعة يفوق عدد الطالبات بكثير. وكان كمبيوتر المكتبة متاحاً لكل الطلاب من جميع الكليات. وتأكدت ملاحظاتهم بواسطة الإحصائيات التي جمعوها من سجلات دخول المعمل ونسب التحاق الطلاب بالجامعة. ولم تكن لدى المكتبة أجهزة كمبيوتر كافية حينها لاستيعاب جميع الطلاب المحتاجين لاستخدامها. وطبقت حينها قاعدة "من يأت أولاً، يحصل على الخدمة أولاً".

ووفقا للإحصائيات وملاحظات المشاركين، صمم الباحثون دراسة كيفية مركزة لفهم هذا الوضع. وفي تحليلهم لروايات الطالبات حول فرصهن في معامَل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في الحرم الجامعي، وجد الباحثون أسبابا متنوعة تفسر محبوبة فرص الطالبات. وسناقش فقط سببا واحدا بالتحديد هنا، أن المنافسة للوصول إلى الكمبيوتر ينتج عنها عادة تدافع بدني. وبعبارة أخرى، قد يدفع الطلاب الذكور الطالبات بعيدا. وكان من الممكن أن يتوقف الباحثون عند هذه النقطة، وبالبيانات التي جمعوها، بإمكانهم تكوين رواية تنصب حول العلاقة بين الطالبات، واستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ومؤسسات التعليم العالي في أفريقيا.

ورغم هذا، ركز الباحثون انتباههم على "خاصيتين" رئيسيتين أسفر عنهما البحث: أولاً أن هناك طالبات قليلات وصلن إلى معامَل الكمبيوتر، وأطلق عليهن عبارة مفردات "شاذة" لأنهن انخرفن عن القاعدة العامة للسلوك، وثانياً؛ حقيقة أن عدداً قليلاً بالفعل من الطالبات "الطبيعيات"، عندما سئلن عن مشاعرهن حول عدم استطاعتهن الوصول إلى معامَل الكمبيوتر حينما أردن، لم يشككن على الإطلاق في قاعدة "من يأت أولاً، يحصل على الخدمة أولاً". فكانت القاعدة مقبولة تماماً من وجهة نظر تلك المبحوثات، وتمثل لهن تحسناً مقارنة بما اعتدن عليه من قبل. وفي الوقت نفسه، اشتكت نفس الطالبات تحديداً في حسرة، لأن عليهن التوجه إلى مقاهي ومجمعات الإنترنت حتى يصلن لاستخدام الكمبيوتر.

وعندما نظر الباحثون إلى "المفردات الشاذة"، الطالبات اللاتي وصلن إلى معامَل الكمبيوتر بالجامعة، وجدوا أن تلك الطالبات لسن أصغر في السن فقط، ولكنهن أكثر خبرة بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات أيضاً. وفوق هذا، كانت تلك الطالبات تدرِك جيداً أن الطالبات الأخريات يتخلفن عن الدخول، وكن على علم بأسباب هذا. وكن واعيات بالتناقض بين العدالة الظاهرة للقاعدة، وما تؤدي إليه من إجحاف.

وفيما يتعلق بالطالبات "الطبيعيات"، كان يمكن أن يستنتج الباحثون عند هذه النقطة، أنهن لا يتمتعن بالصبر ويتسرعن في إطلاق الأحكام، ثم يخرجون بتقييم حول

المبحوثات "الطبيعيات" بأنهن متناقضات مع أنفسهن، ومرتبكات وغير قادرات على اقتناص الفرصة عندما تتاح لهن. ولكنهم فعلوا خيراً بعدم اتباع هذه السبيل. وأدركوا حقيقة تشكيل المبحوثات لأرائهن، ووجهات نظرهن في وضع اجتماعي، تعتبر فيه قاعدة "من يأت أولاً يحصل على الخدمة أولاً" ديمقراطية وعادلة - بعبارة أخرى - حائزة بالقبول الاجتماعي. وأدركوا أن مثل هذا المفهوم إذن لا غرابة في هيمنته. بل ربما لا يكون لدى مبحوثاتهن غيره في فهم مضمون خبرتهن حول عدم تمكنهن من الوصول إلى العمل. ولمسوا واقع أن النساء لا يمتلكن غالباً مفاهيم صحيحة جاهزة لديهن بالفعل، حتى يستخدمنها في التعبير عن شعورهن. وفهموا أن هذه الظاهرة لا تكشف عن أسلوب فردي في التفكير، أو عن أوجه القصور العاطفي لدى النساء، ولكنها تنم عن واقع أنهن ولدن وتربين كنساء في مجتمعات تحت السيطرة السياسية والاجتماعية للرجال. وفهموا كباحثين أيضاً، أن ظاهرة التناقض الواضح هذه، عندما تحلل على نحو ملائم، تسفر عن رواية أكثر تركيزاً تمتد إلى طبقات أعمق للمضمون والخبرة.

وكان يمكن استنتاج أن صفات الطالبات الممثلات للمفردات "الشاذة"، هي الصفات التي على الأخرى امتلاكها حتى ينجحن في الوصول إلى استخدام معمل الكمبيوتر. ولكن الباحثين فعلوا خيراً أيضاً، إذ لم يستنتجوا ذلك، واتجهوا بتحليلهم إلى مستوى أعمق، شمل عمليات تمت مع مجموعتي المبحوثات، لخلق المضمون الخاص بكل من خبرة عدم التمكن من الاستخدام، والخبرة حول قاعدة حصول الجميع على فرص متساوية. ويربط هذا بما أدركوه عن المجموعتين، ظهر مفهوم جديد: وهو أن الثقة في النفس، والقدرة على تحدى التمييز النوعي بمجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، تعد أساساً تعتمد عليه خبرة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

ووفقاً لدراسة الحالة هذه، تتضح إمكانية نجاح البحث مع النساء إذا ما كان الباحثون راغبين في تجاوز ما يبدو واضحاً، ومستعدين للإبقاء على طبقات غير مكتشفة من المضمون والخبرة، حتى لحظة الوصول إلى مستوى الرؤية الأعمق القادر على إعطاء مغزى لجميع البيانات، على أساس نموذج تفسيري واحد متماسك. وبلا شك،

سيبقى حافزاً للوصول إلى معرفة سياسية عملية، قابلة للاستخدام، وقادرة على خلق تغيير مستدام، مشجعاً للباحثين وملهماً لهم للإبقاء على عملية التحليل مفتوحة، وألا يفلقوا بابها بشكل مبتر.

## بالنسبة للمبجوتات

يستلزم إجراء بحوث مع النساء أن يستمع الباحثون جيداً لهن، ويضعوا ما يسمعون في موقعه بسياقه، وأن تكون لديهم قدرة تامة على قبول ما يسمعون كاملاً، وعلى تفنيده بالكامل أيضاً، وابتكار منهج كلما تطلب الأمر أيضاً، وكلما أمكن. وفوق هذا، يتطلب البحث الهادف إلى قبول فاعلية النساء وإشراكهن في تحقيق التحول: تشجيع الباحثون للمبجوتات على التفكير المتجاوز لحقائق واقعهن، والنظر فيما يرغبن في توفره لهن بديلاً عن ذلك، حتى يتمكن من السعى لتحقيق وجهات نظرهن.

الاستماع للنساء، الاستماع لهن فعلياً، يعنى استماع الباحث إلى ما تقوله المبحوثة، والطريقة التي تقوله بها، بل ويعنى الاستماع إلى ما لم تقله، وما لا تستطيع قوله. ومن المهم جدا الاستماع بعناية لما يقال بين السطور ورصد الاتصال غير اللفظي. ومن المهم أن يبقى الباحثون على مسافة مع المبحوثة، وذلك عن طريق أن يصلها لها اللحظة وجيزة أن قصدها ما زال غامضاً، فينبغي تجنب أن ينتقل إحساس "بالقرب الشديد" من الباحث إلى المبحوثة.

ولأن لحظات التناقض والمفارقات، تدل على المواقع التي يسودها توتر بين قبول النساء للقيم الاجتماعية الثقافية وبين خبراتهن الأصلية وما يلمن به لأنفسهن، فلا بد من توفر قدرة الباحثين على معرفة تلك اللحظات واستخدامها. وعادة يكتنف استخدام مثل تلك اللحظات، شئ من التحدى والارتباك، ويبدأ من المعرفة العميقة بمجمل السياقات التي تعيش فيها النساء نون إصدار أحكام على خياراتهن وأفكارهن وعواطفهن. وحينما يركز الباحثون على الأفكار والعواطف والخيارات التي عبرت عنها النساء،

عليهم تضمين مفهوم "تفضيلات مكيفة" (Adaptive preferences) في المعادلة: تستبطن النساء خرافات عدم المساواة النوعية السائدة في مجتمعاتهن، ويشكلن منها شيئاً ملتصقاً بهوياتهن تغذيه هذه الخرافات والممارسات الراسخة داخلهن (Nussbaum 2000).

وربما تقتنع النساء بغير المقبول على أنه الأمر الطبيعي، وربما يشاركن في تبني "حقائق حول أنفسهن" من هذا المنظور. وإذا لم تخضع هذه الحقيقة للبحث، ستصبح النساء أدوات "ناقلة للمعرفة" في اتجاه عكسي من مسار تمكينهن لأنفسهن، حتى ولو كان ذلك في سياق معالجة الغرض منها التمكين، وإحداث تحول. ورغم هذا، من المهم في الوقت نفسه امتلاك الباحث حساسية إدراك حدود النساء، واحترام كشفهن لمشاعرهن وأفكارهن واختياراتهن.

من أجل فهم أحلام النساء ورغباتهن فيما يتجاوز الدور المقبول للأنثى، من الضروري دائماً خلق فضاء ذهني لهن، يستطعن من خلاله التعرف على جزء من نواتهن، وإتاحة فرصة للتعبير عنه. يجب أن تنتظر خطط البحث ومناهجه إلى إمكانيات النساء في التغيير وامتلاك أمر أنفسهن، وتكون موجودة جنباً إلى جنب في الوقت نفسه مع تنشئتهن الاجتماعية في ظل القيود. وهكذا يمكن الجمع في هذه الحالة بين تكتيكات تحفيز الإبداع والتعبير الحر عند النساء، مع المقابلات المركزة، والملاحظة بالمشاركة.

### ما ينبغي لباحث يجرى بحثاً مع النساء

ينبغي على الباحثين الاستماع إلى أنفسهم حينما يستمعون للنساء. ليس فقط لأن ما يقال إذا سبب لهم قلقاً بشكل شخصي، فذلك قد ينبههم إلى تعارض موجود بين ما تقوله النساء وما يشعرون فعلياً به (Anderson and Jack 2006)، ولكن أيضاً لأن الباحثين عليهم الوعي بالفلاتر الكامنة في عقولهم هم أنفسهم، حتى يتعرفوا على أي انحياز غير واع قد يصيب القنوات التي قد يخرجون بها

(Buskens 2006, 2002; Smaling 1990, 1995, 1998). ونظرا لأن البحث يتناول تأثير النوع الاجتماعي على مسار تمكين المرأة في مقابلات بحثية، لا بد أن يواجه الباحثون والباحثات على السواء، ما ترسب في ذاتهم هم أنفسهم حول النوع، وما لديهم من فلاتر جنسوية<sup>(\*)</sup>. ويقدر استعدادهم للنظر فيما تعكسه لهم المرأة، ويمتلكون وجهة نظر خاصة، بقدر ما ستكون علاقتهم مع مبحوثاتهم أغنى، وستكون العملية البحثية ومادتهم البحثية أغنى، ولكن ربما كانت ديناميكيات العلاقة بين البحث، وبين المترسب في نفس الباحثين حول النوع وخبرتهم النوعية، تعنى أشياء مختلفة بالنسبة للباحثين والباحثات. ففي الوقت الذي قد يدرك فيه الباحثون الرجال عديداً من ديناميكيات الاتصال الشخصي غير الواضحة، يمكن أن يفوت على النساء الوعى بتلك الديناميكيات، لأنهن قد يرجعن إلى حكم لم يخضع للبحث.

بعد فترة طويلة كانت فيها مسألة الجنسوية لدى الإناث موضوعاً محرماً، إلا أنها أصبحت الآن موضوعاً يمكن مناقشته (Chesler 2001). ويبدو أن الخوف من تحديد الهوية والاتصال مع النساء الأخريات، يدفع بقوة خفية الجنسوية الأنثوية. وترتبط مواقف النساء الجنسوية تجاه النساء الأخريات، بنسبة الجنسوية في البلاد عموماً: ففي دراسة أجراها جليك وفليكس حول تسع عشرة دولة في خمس قارات، وجد أن ثلاث دول، من بين الأربع التي بها أعلى درجات من الجنسوية، توجد في أفريقيا:

---

(\*) في الأصل: sexism وتترجمها جنسوية. وتعنى هنا كيف يتم النظر للفوارق والعلاقات بين الجنسين، وهي تختلف عن النوع الاجتماعي gender المتعلق بطريقة بناء المجتمع لدور كل من النوعين، وما تعنيه كلمة رجل وامرأة والعلاقة بينهما. ويميل باحثو الدراسات النسوية إلى استخدام عبارة جنسوية للإشارة إلى الفوارق الفيزيائية، أكثر منها الاجتماعية. وهناك من يضيف إلى كلمة جنسوية كلمة اجتماعية، فتكون جنسوية اجتماعية، فتصبح أقرب لمعنى النوع الاجتماعي. وهناك أيضاً من يرون فرقاً بين الجنسوية الاجتماعية والنوع الاجتماعي، ويحرصون على استخدام الأولى، حيث تتضمن عبارة النوع الاجتماعي بين ما تتضمن، من وجهة نظرهم محاولة الباحثين في الغرب إقحام حرية المثلية الجنسية على التفكير العالمي، ولذلك يؤكدون على المعنى الاجتماعي للفروق البيولوجية، حيث لا ينتج عن الفروق البيولوجية سوى جنسين فقط، وإن كنا لا نجد هذه الحجة شديدة الوجاهة، بل مغرقة في تصورات وتخوفات وهمية ومرسلة عن الباحثين الغربيين ككتلة واحدة. (الترجمة).



بوتسوانا ونيجيريا وجنوب أفريقيا (Glick and Fiske 1996, 1997; Glick et al. 2000; quoted in Chesler 2001)<sup>(٢)</sup>. وتعتبر عدوانية النساء تجاه النساء الأخريات عن نفسها بشكل غير مباشر غالباً، في شكل تجنب أو تشهير أو إطلاق أحكام، تصل إلى حد الرفض (Chesler 2001). وحتى كونهن نسويات، لا يبدو ضامناً لعدم العداء تجاه النساء الأخريات<sup>(٣)</sup>.

وتعتبر عناية الباحث بالمواقف الانعكاسية (reflexive attitudes)، أمراً مهماً في البحوث الكيفية؛ وتصبح غاية في الأهمية بالنسبة للبحوث حول النوع الاجتماعي. وحينما يتأمل الباحثون القرارات المتخذة بخصوص البحث، والعواطف والأفكار التي نشأت لديهم عند الانخراط فيه، ستكون لديهم فرصة لمعرفة المزيد حول أنفسهم. فعندما يفكر الباحثون في سؤال "ماذا سأفعل الآن؟" و "ولماذا أفعل هذا؟" فهم يسألون أنفسهم أيضاً "أى ذات أستحضرها إلى هذا البحث في هذه اللحظة الحالية؟ أى ذات تعبر عن نفسها بخصوص نقطة تركيز البحث، والمشارك في البحث الآن؟"، ومع هذه التساؤلات الانعكاسية، يدخل الباحثون في علاقة مباشرة مع الفلاتر الجنسية التي لديهم، والتحيزات المحتمل وجودها. وربما كان ذلك شديد الصعوبة ومؤلماً أيضاً. وحتى يساعدوا أنفسهم في العناية بموقفهم الانعكاسي، ينبغي أن يترفق الباحثون بأنفسهم. فما يهم هو مواصلة السعي تجاه الأفضل، والاطمئنان إلى أن جميع المصادر التي يعتمد عليها الباحث في قيامه بمهمته (من الناحية العاطفية والذهنية والاجتماعية والمالية) متوفرة بالكامل، والتوصل إلى فهم ما، وقبول الانتكاسات. ويمكن القول عن هذا الفعل "أن يحب الباحث نفسه"، ويطلق على نظام القواعد المتضمن تعبيراً عن هذا الموقف "العناية بالنفس". ويمكن بهذا المعنى، أن ينهض نظام "العناية بالنفس" كشرط منهجي أساسي (Buskens 2002). حيث من دونه لن تتوفر صفة الاستدامة للموقف الانعكاسي.

وكما تقول شيسلر، يمكن تجاوز جنسوية الإناث من خلال ممارسة علاقات الأختية (sisterhood) وفقاً لنظام من القواعد. ويقوم هذا النظام على أساس من الشعور بحب الذات (Chesler 2001). وربما تجد النساء صعوبة خاصة في الشعور بالحب تجاه أنفسهن.

إذ يعد اغتصاب الذات أحد أكثر أثار القهر تخريبيا، حيث يؤدي إلى فقدان الأشخاص انتمائهم لأنفسهم، ولشاعرهم العميقة وحبهم لأنفسهن (Fanon 1967, quoted in Mageo 2002).

ولكن الذكور أيضا يواجهون بصعوبات على العمق نفسه في بحوث النوع الاجتماعي التي تُجرى على نساء، رغم أنها قد تكون ذات طبيعة مختلفة، إذ يواجهون أيضا نواتهم النوعية، وفلاتهم الجنسية. وهذا يجعل التزامهم بنظام قواعد انعكاس الذات، ومن ثم حب النفس، شبه مستحيل.

### البحوث من أجل التغيير

في مشروعات البحوث من أجل التغيير، مثل المشروعات التي تتبناها منظمة "جريس"، يركز الباحثون عادة على أحاديث مباشرة تتناول عمل المبحوثين وحياتهم الخاصة. وكان سؤال البحث الرئيسي في مشروع "جريس"، "كيف تستخدم النساء في أفريقيا تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من أجل التمكين؟"، ولم يكن بمقدور أى شخص فى مشروع "جريس"، القيام بما قاموا به، من تمكين لأنفسهم، لولا استخدامهم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. وفى عودتهم للمجتمعات المحلية التي ينتمون لها من أجل إجراء بحثهم، إذ يشاركون الناس اللغة نفسها، والانتماء العرقى والدينى نفسه، وحتى أحيانا عملوا فى قرية مسقط رأسهم نفسها، أو بحثوا فى المنظمة نفسها، كان باحثو مشروع "جريس" يعملون باعتبارهم "باحثين محليين فى الأنثروبولوجيا (native anthropologists)" (Rodriguez, 2001). ومكنهم هذا من بناء علاقات حميمة مع مبحوثاتهم؛ وكانت فيه أيضا مواجهة لمواقفهم الانعكاسية وشجاعتهم ودأبهم وإحساسهم بالحب تجاه أنفسهم.

وفوق هذا، كان معظم الباحثين من المشتغلين بالبحوث مع النساء. ويقدر ما كانت المرأة مثبتة أمام الباحث فى مواجهته بشكل مباشر أكثر، كلما زادت احتمالات أن تصبح رؤيته لنفسه وللآخر أعمق، وستصبح الخبرة البحثية أكثر تحدياً، وسيصبح الرفق بالذات أكبر أهمية.

أن ينظر المرء إلى انعكاس نفسه في المرأة، ويكتسب من ذلك وعيا، يعتبر في حد ذاته فعلا تحويليا. بينما يعمل أداء انعكاس الذات في حد ذاته إلى التغيير (Reason and Bradbury 2001; Meulenber-Buskens 1998; Van der Walt 2000). ويمكن أن يظهر ذلك معوقاً، حتى عندما يكون التغيير مرغوباً فيه، ومنتظراً، ومتبنيًا، لأن كل تغيير يحمل بداخله أيضاً خسارة. وفي البحوث، التي من أهدافها المحددة تكوين معرفة من أجل التمكين والتحول، يكون التغيير على أجندة كل شخص. وهكذا، يتحتم على الباحثين تعلم كيف يعملون مع عملية التغيير، ليس فقط التغيير في مبحثيهم، ولكن أيضاً في أنفسهم.

وبالضرورة ينبغي النظر إلى ممارسة الحرص على مساحة التساؤلات النقدية، والانحياز إلى الأمل في التغيير، أثناء خوض الظروف المعاكسة والعواصف العاطفية التي تحدثها المواجهة المباشرة مع هشاشة أحوال النساء داخل سياق البحث ومن خلاله، باعتبارها محاولة مركبة تتضمن استيعاباً تاماً. ويصبح التحدي أعظم عندما يعود الباحثون في بحثهم إلى مجتمعاتهم المحلية وبيئاتهم الحيوية. ورغم هذا لا يستطيع مطلب بحثي تجاوز العقول التي صاغت مفاهيمه وأثارته. ومن ثم لا بد أن تكون العقول التي على دراية وثيقة بالوضع الراهن والمتضررة منه، نفس العقول التي تصيغ الأسئلة التي ستثمر عن رؤية لإمكانات تمكين النساء.

الباحثون الذين لا يخشون التغيير في أنفسهم وبيئاتهم، لن يخشوا شهود تغيير يحدث مع مبحثياتهم، أو حتى لن يخشوا تحريضهن عليه. ويعطى التسليم بوضع النساء الأضعف المصاحب لمثل هذا الالتزام، مصداقية للباحثين في النهاية، ليشاركوا في بحث يجري مع النساء بغرض إحداث تحول.

## الهوامش

(١) يشير مصطلح (Androcracy) إلى هيمنة الرجال الأقوياء، الذي يختلف عن هيمنة الذكور أو الأبوية، انظر (See Eisler (1995).

(٢) في دراستهما لتسع عشرة دولة من خمس قارات، اكتشفت جليك وفيسك أنه بينما سجلت النساء كمجموعة، درجة أقل من جنسوية (الانحياز المضاد)، مقارنة بالرجال، في جميع الدول التي تمت دراستها، كان ما سجلته مجموعة النساء من جنسوية (الانحياز مع) لا يختلف عن الرجال غالباً، وكان أحياناً أعلى منهم بدرجة فارقة. وفي الأربع دول التي سجلت أعلى مستوى للجنسوية (التي منها ثلاث في أفريقيا: بتسوانا ونيجييريا وجنوب أفريقيا)، كان تبني النساء لجنسوية (الانحياز مع) أعلى بدرجة واضحة عن الرجال. وتبدو جنسوية (الانحياز مع) لدى الإناث مفضلة لدى نمط النساء الذي يتبنى القيم التقليدية، ومرفوضة بشدة من النساء اللاتي كسرن القوالب. ويعمل هذا النمط من الجنسوية على استبقاء الوضع الراهن. يرتبط سلوك النساء الجنسوي تجاه النساء الأخريات، بالمعدل العام للجنسوية في البلاد، ويمكن تصنيف جنوب أفريقيا باعتبارها جنسوية بشدة. وكلما كانت الدولة جنسوية أكثر، نسبت النساء إلى الرجال بشكل أوضح، وسوف تقبل جنسوية (الانحياز مع).

(٣) في دراسة أجريت عام ٢٠٠٠ على ١٥٥ امرأة من الطالبات والعاملات والمتنميات للطبقة الوسطى، من مجموعات عرقية مختلفة، وجدت كوان (وفقاً لاقتباس شيسلر) أن عدائية النساء تجاه إلهاء الأخريات لا علاقة لها بتصنيف المرأة لنفسها على أنها نسوية أو باستخدام معيار نسوي (صفحة ١٥٠). رغم أن الدراسة أجريت خارج أفريقيا، ولم تجرى في أفريقيا دراسات مشابهة، فإن الدراسات عابرة الثقافات كشفت عن وجود معدلات عالية من الجنسوية في أفريقيا (Glick and Fiske 1996, 1997; Glick et al. 2000, quoted in Chesler 2001)، ونظراً لواقع ارتباط معدل الجنسوية العام في أحد البلدان مع معدل جنسوية الإناث، فلا يمكن إنكار احتمال أن تصل دراسة مشابهة إلى نتائج مشابهة في أفريقيا.

## المراجع

- Anderson, K. and D. Jack (2006) 'Learning to listen: interview techniques and analyses', in R. Perks and A. Thomson (eds), *The Oral History Reader*, 2nd edn, London: Routledge.
- Belenky, M. F., B. Clinchy, N. Goldberger and J. Tarule (1986) *Women's Ways of Knowing: The Development of Self, Voice and Mind*, New York: Basic Books.
- Buskens, I. (2002) 'Fine lines or strong cords? Who do we think we are and how can we become what we want to be in the Quest for Quality in Qualitative Research?', *Education as Change*, 6(1): 1-31.
- (2006) 'Gender research in Africa into ICTs for empowerment', *IICBA Newsletter*, 8(2), UNESCO.
- Chesler, P. (2001) *Woman's Inhumanity to Woman*, New York: Thunder's Mouth Press.
- Cowan, G. (2000) 'Women's hostility towards women and rape and sexual harassment myths', *Violence Against Women*, 6(3): 238-46.
- Daly, M. (1973) *Beyond God the Father— Toward a Philosophy of Women's Liberation*, Boston, MA: Beacon Press.
- Eisler, R. (1995) *The Chalice and the Blade – Our History, Our Future*, San Francisco, CA: Harper.
- Gilligan, C. (1982) *In a Different Voice. Psychological Theory and Women's Development*, Cambridge, MA: Harvard University Press.
- Glick, P. and S. T. Fiske (1996) 'The ambivalent sexism inventory: differentiating hostile and benevolent sexism', *Journal of Personality and Social Psychology*, 70(3): 419-512.
- (1997) 'Hostile and benevolent sexism: measuring ambivalent sexist attitudes toward women', *Psychology of Women Quarterly*, 21: 119-35.
- Glick, P. et al. (2000) 'Beyond prejudice as simple antipathy: hostile and benevolent sexism across cultures', *Journal of Personality and Social Psychology*, 70(5).

- Mageo, J. M. (2002) *Power and the Self*, Cambridge: Cambridge University Press.
- Meulenberg-Buskens, I. (1998) 'Reflections on research methodology and research capacity building in a participatory action research project in South Africa 1996–1998', in S. Fehrsen et al., *Coping Strategies Project Report South Africa*, Unpublished research report, Brussels: EU.
- Nussbaum, M. C. (2000) *Women and Human Development: The Capabilities Approach*, Cambridge: Cambridge University Press.
- Reason, P. and H. Bradbury (2001) *Handbook of Action Research: Participative Inquiry and Practice*, London: Sage.
- Rodriguez, C. (2001) 'A homegirl goes home: black feminism and the lure of native anthropology', in I. McClaurin (ed.), *Black Feminist Anthropology: Theory, Politics, Praxis and Poetics*, London: Rutgers University Press.
- Smaling, A. (1990) 'Role-taking as a methodological principle', Paper presented at the William James Congress, Amsterdam, August.
- (1995) 'Open-mindedness, open-heartedness and dialogical openness: the dialectics of openings and closures', in Maso, Atkinson, Delamont and Verhoeven (eds), *Openness in Research: The Tension between Self and Other*, Assen: Van Gorcum.
- (1998) 'Dialogical partnership: the relationship between the researcher and the researched in action research', in Boog, Coenen, Keene and Lammerts (eds), *The Complexity of Relationships in Action Research*, Tilburg University Press.
- Van der Walt, H. (2000) 'Nurses and their work in the Tuberculosis Control Programme for the Western Cape: too close for comfort', Unpublished PhD thesis, UCT, Cape Town.

## الفصل الثانى

### هل كان استخدام النساء لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى موزمبيق أداة تمكين؟

جيرترود ماكوفى؛

جوديت ماندليت؛ لوسيا جينجر

بولى جاستر؛ إيسلينا ماكوم

باعتبارنا نساء محترفات يعملن فى مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، فقد افترضنا أن جميع النساء قادرات على الاستفادة (كما استفدنا نحن) من استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. وأظهر عدد من دراسات النوع الاجتماعى (Johnson 2007; Payton et al. 2003) أن مستخدمى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات (وخاصة الكمبيوتر والإنترنت والبريد الإلكتروني) هم أساساً من الشباب الذكور، والنساء لا تستخدمها إلا بشكل هامشى، وهو ما يشير إلى وجود فجوة بين الخطاب وحقيقة تمكين النساء عبر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. ورغم هذا يقول باحثون مثل شارما (٢٠٠٣) وستيفن (٢٠٠٦) إن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات يمكن أن تؤدى إلى تمكين النساء من خلال تطوير مشاركتهن فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية، كما أنها تيسر عليهن اتخاذ القرارات بناء على معرفة. وطرح هؤلاء الكتاب أن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات يمكن وصولها إلى النساء فى المناطق الخارجة عن نطاق وسائل

الاتصال الأخرى، ويمكنها تيسر اتصالهن مع شبكات أخرى فى أماكن متفرقة، وتمكنهن من الحشد عند تنظيم الحوارات، والمشاركة فيها، والتعبير عن أنفسهن.

ولهذا نهدف إلى بحث ما إذا كانت النساء فى ريف موزمبيق، إذا توفرت لهن فرص استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، بتوفير مراكز تقديم خدمات الإلكترونية الاتصال عن بعد<sup>(\*)</sup>، وتوسيع شبكات التليفون، سيصبحن أكثر تمكينا. وبوجه عام تشكل الزراعة أساس الحصول على أسباب الرزق للريفيات، بالإضافة إلى التجارة الصغيرة فى القطاع غير الرسمى. ومعظم تلك النساء أميات (نسبة الأمية على المستوى الوطنى ٥٢٪، ولكنها بين النساء ٦٦٪) (UNDP 2006)؛ وهن لا يتحدثن اللغة الرسمية (البرتغالية)، ناهيك عن الإنجليزية، وهى اللغة التى تكون المعلومات متاحة بها غالباً على الإنترنت. وبينما تلعب الريفيات دوراً بالغ الأهمية فى المجتمع، وفى الحد من الفقر، إلا أنهن يمثلن فى الوقت نفسه المجموعة الأفقر والأكثر تهميشاً (Fórum Mulher/SARDC WIDSAA 2005).

وفى هذا السياق، نعتمد فى البحث إجابة الأسئلة التالية:

- هل يتاح للموزمبيقيات فى ريف مانهيك Manhiça وساسوندينجا Sussundenga استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات المتاحة فى المدينتين الريفيتين؟ وإذا كان الأمر كذلك، ففى أى شىء يستخدمونها؟ وإذا لم يكن كذلك، فما السبب؟
- هل يؤدى استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات المتاحة إلى تمكين النساء؟ وإذا كان الأمر كذلك، فكيف يتم؟ وإذا لم يكن، فما الأسباب؟

---

(\*) فى الأصل telecentres وهى أماكن تقدم فيها مجموعة خدمات إلكترونية مرتبطة بوسائل الاتصال عن بعد. وهى مختلفة عن السيرور والإنترنت كافية، لأن الخدمات التى تقدم فيها متنوعة ومتباينة. ويمكن من خلالها بث محطة إذاعية، كما سيتضح لاحقاً. سنشير فيما بعد لهذه المراكز بعبارة (مراكز الاتصال) للتبسيط، ولذا وجب التنويه. (المترجمة).



ونأمل أن تكون نتائجنا مفيدة في توجيه وتكيف برامج التدخل لنشر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في الريف، لتعمل لصالح تمكين النساء بدلا من توسيع الفجوة النوعية، حتى وإن كان بغير تعمد.

في نطاق فهمنا، لا يوجد نموذج وحيد للتمكين. كما تعرف كلمة "تمكين" بأساليب مختلفة. على سبيل المثال، وفقا لبوش Bush وفولجير Folger (١٩٩٤) يعنى التمكين إحياء شعور الناس بقيمتهم الخاصة تقوية قدرتهم على حل مشاكلهم، أما بالنسبة للوكالة النرويجية للتنمية والتعاون (Norwegian Agency for Development Cooperation 1999) فيعنى زيادة فرص الرجال والنساء على السواء، فى التحكم بحياتهم: ويعنى التمكين المتساوى وجود صلاحيات متساوية فى صناعة القرارات، والقدرة على التعبير، وتحديد الأجندات، والتفاوض ومواجهة الصعاب بالطريقة التى يفضلها كل شخص. ويعرف التمكين أيضا باعتباره قدرة الجماعة أو الفرد على تحديد الاختيارات، ومن ثم تحويل الاختيارات إلى أفعال ونتائج يرغبونها (Alsop et al. 2002).

وبالنسبة لنا يتضمن التمكين عناصر متعددة، اقتصادية واجتماعية وسياسية (World Bank 2002; Alsop et al. 2006; United Nations 2005). ولخدمة أهداف هذا الفصل وسياقه الخاص، نعنى بتمكين النساء بواسطة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، الدور الذى لعبته فرص الوصول إلى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى توسيع أصول النساء وقدراتهن، وخاصة فى ريف موزامبيق. وتتضمن الأصول كلا من الأصول المادية والمالية (World Bank 2002) والكفاءات، ونعنى بالكفاءات القدرة على القيام بأعمال ذات قيمة وتحقيق وضع له قيمة أو الوصول إليه، وفقا لكل فرد وسياقه أو سياقها (Sen 1987, 1992, 1997; Sen and Nussbaum 1993). وعندما نشير إلى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى هذا الفصل نعنى الإذاعة، وأجهزة الكمبيوتر، والبريد الإلكتروني، وشبكة الإنترنت، والتليفونات (المحمولة والأرضية). وناقش كيف استخدمت كل منها فى تمكين الريفيات فى موزمبيق، استنادا إلى بحث ميدانى أجريناه فى ديسمبر ٢٠٠٥ وفبراير ٢٠٠٦.

## مجال الدراسة

نظراً لاتساع حجم موزمبيق وعدم تجانسها، قررنا دراسة مدينتين إقليميتين ريفيتين: مانهيكاً بمقاطعة مابوتو فى الجنوب، وساسوندينجا بمقاطعة مانيسا فى المنطقة الوسطى. واخترنا هاتين المنطقتين، لأنهما استفادتتا لسنوات بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات المتاحة فى مراكز للاتصال، تضمنت محطات إذاعة محلية، ومن ثم يتضح معهما ما يحدث فى المناطق التى بها الحد الأدنى من قنوات استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات (تقنيا).

كان إنشاء مراكز الاتصال فى موزمبيق عام ١٩٩٩، مؤشراً على بدء محاولة توفير تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى متناول المناطق الريفية والمجموعات المحرومة، بمن فيها النساء. كان ينظر إلى مراكز الاتصال، الملوكة لسكان المقاطعة، باعتبارها مراكز تنمية. وتوفرت فيها فرص لاستخدام الكمبيوتر والتدريب على تكنولوجيا المعلومات، ومعالجة الكلمات، وتصميم الجرافيك، وتليفون عام (خط أرضى)، وفاكس، وآلة تصوير، وبريد إلكترونى، وخدمات الإنترنت والمعلومات. ثم أدخلت المحطات الإذاعية فى المجتمع المحلى إلى معظم مراكز الاتصال فى مرحلة تالية. وكان التليفون المحمول آخر أداة اتصال أدخلت إلى المدن الإقليمية بأعداد متزايدة. ورغم محدودية انتشار التليفون المحمول على نطاق واسع فى المناطق الريفية حتى الآن، فإن أعداد مستخدميه فى موزمبيق أصبحت بالفعل تفوق أعداد مشتركى تليفون الخطوط الأرضية إلى حد بعيد.

وتوجد محطتان لتشغيل التليفون المحمول فى موزمبيق. تعمل الاثنتان على بث إرسالهما من مانهيكاً، إلا أن إحداهما بدأ تشغيله من ساسوندينجا فى نهاية فترة بحثنا. ولا تزال شركة الاتصالات اللاسلكية، صاحبة احتكار البنية الأساسية للخدمات الصوتية الأرضية لديها بضعة أكشاك للتليفون فى كلتا المنطقتين الخاضعتين للدراسة، بالإضافة إلى خدمة التليفون فى مراكز الاتصال، وفى القطاعات الحكومية المحلية الرئيسية، والمنظمات، والشركات التجارية. وشكل غياب المنافذ الجيدة الرخيصة

للاتصال التليفونى (أو أى نوع للاتصال غالباً)، عقبة أساسية فى استخدام البريد الإلكتروني بواسطة الإنترنت؛ كما يوجد عامل آخر مهم يتمثل فى نقص محترفى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى الريف.

ويعيش ٨٠٪ من إجمالى سكان موزمبيق (٢٠ مليوناً، ٥٢٪ منهم نساء) فى الريف، وتمثل النساء ٨٠٪ من عمال الريف، وتعمل ٢٪ منهن فقط فى القطاع الرسمى. وتقع مانهيكاً على بعد ٨٠ كيلو متراً شمال مابوتو، ويبلغ تعدادها نحو ٢٠٠ ألف نسمة تقريباً. وفى عام ٢٠٠٣، بلغ معدل الفقر فيها ٦٠٪. ولم يذهب نحو ٦٠٪ من النساء والفتيات إلى المدارس، ولم يكمل سوى ١٢٪ فقط ممن ذهبن إلى المدرسة تعليمهن الابتدائى، رغم أن نسبة المتحدثات بالبرتغالية ٢٠٪. ويعمل فى الزراعة ٩٠٪ من الناشطات اقتصادياً، سواء لصالح الأسرة أو لصالح أنفسهن. ومن ناحية أخرى، شكلت الفتيات تحت سن العاشرة ١٥٪ من فلاحي المقاطعة (MAE 2005a).

وتبلغ ساسوندينجا ثلاثة أضعاف مساحة مانهيكاً، بينما يعيش فيها نصف عدد سكانها. وهنا تتحدث النساء البرتغالية بنسبة ٩٪ فقط، و٨٢٪ أميات (مقارنة مع ٦٢٪ بالنسبة للرجال). ويعمل فى الزراعة نسبة ٩٦٪ من الناشطات اقتصادياً، رغم هذا فجدير بالذكر أن ١٢٪ من المدرسين، و٥٢٪ من العمال الصحيين فى المقاطعة من الإناث (MAE 2005b).

### البحث فى استخدام الريفيات فى موزمبيق لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات

اعتمدنا فى البحث على بيانات ميدانية كيفية فى المقام الأول. وقمنا بجمعها من خلال مقابلات شبه مهيكلة (semi-structured)، ومناقشات جماعية حول التصورات والمشاهدات وسير الحياة المتنوعة. وتمت المقابلات باللغات المحلية مع نساء قمن بزيارات لمراكز الاتصال خلال الفترة التى حددناها للعمل الميدانى، ومع قائدات محليات ومهنيات، إلى جانب نساء اخترناهن عشوائياً من المنطقة القريبة من مراكز الاتصال، وتضمن ذلك المدارس والمستشفيات والأسواق والشوارع فى تلك المنطقة. وهكذا تمت

مقابلات مع ٧٤ سيدة (٤٤ من مانهيكاً و٣٠ من ساسوندينجا) من بين المدرسات والمرضات وربات البيوت والعاطلات عن العمل والبائعات فى السوق وبائعات جائلات، ورئيسات جمعيات نسائية. كما حللنا أيضاً إحصائيات الاستخدام الخاصة بمراكز الاتصالات، التى قمنا بتنظيمها على أساس مجموعات العمر والجنس والخدمات التى تم استخدامها.

### لا تزال الإذاعة المحلية أداة تمكين فاعلة فى الريف

مثل بث محطات الإذاعة المحلية الذى يتم عبر مراكز الاتصال، أكثر أشكال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات استخداماً من الناحية الفعلية، واشتركت فى ذلك جميع النساء اللاتى أجرينا معهن المقابلات. وكان البث مجانياً للمستمعين، وهكذا مثل فرصة للحصول على خدمة لا تعتمد على توصيلات كهربية، أو ملكية جهاز - الراديو - حيث كان الناس يتجمعون للاستماع معا فى الأماكن العامة والمنازل. وبسبب تكاليف التشغيل المنخفضة عموماً، كانت الإذاعة أكثر أشكال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات توفراً فى متناول المناطق الريفية، وخاصة مع توفر أجهزة الراديو المزودة بهوائيات.

ورغم هذا، ما زال بعض أشخاص غير قادرين على امتلاك جهاز راديو خاص بهم. وعلى سبيل المثال، أخبرتنا ربة منزل فى مانهيكاً أنها لم تستخدم أى تكنولوجيا، وأنها لا ترغب فى الحصول على جهاز راديو أو تليفون، لأنه يعنى بالنسبة لها مزيداً من التكاليف: حيث "حجارة البطارية مرتفعة الثمن". كان كل ما تريده هو الحصول يومياً على ما تاكله، وتساعات: "فى أى شىء أحتاج أستخدم التليفون؟". وكانت فى مركز الاتصالات، عندما أجرينا المقابلة معها، للحصول على بطاقتها الشخصية التى ضاعت منها: ووجدتها أحد الأشخاص وتركها فى مركز الاتصالات، الأمر الذى أعلنه فى الإذاعة. وسمعت إحدى جاراتها الإعلان وأخبرتها. ولو لم تكن هناك محطة الإذاعة التى لعبت دور مركز يثق فيه الجميع، لما تعرفت هذه السيدة على مكان بطاقتها.

وأكد لنا نحو ٩٥٪ ممن أجرينا معهم مقابلات، أنهم يستمعون إلى الإذاعة، وأخبرتتنا عديدات من كلتا المنطقتين، بمعرفتهن لجدول البرامج المذاعة. وكانت فقرة الإعلانات العامة أكثر البرامج شعبية، وخاصة الإشعار عن وجود وفيات؛ ففي سياق الثقافة الاجتماعية لتلك النساء، تمثل مشاركة أعضاء المجتمع والأقارب في العزاء، جزءاً جوهرياً من نسيج المجتمع، كما تعد الإذاعة الطريقة الأسرع، والشكل الأكثر اقتصادية في الوصول إلى عدد كبير من الناس. وكانت هناك شعبية للبرامج الإخبارية أيضاً، وخاصة الموجهة للنساء. وتعمل برامج الأخبار على تمكين النساء، لأن الحصول على معلومات يخفف من عزلتهن سواء على نطاق مجتمعهن المحلي أو على المستوى الوطني أو الدولي. وتغطي برامج النساء دائرة من الموضوعات، مثل سلوك المراهقين داخل الأسرة، والاحتياجات الواجب اتباعها في البيت، ومرض الإيدز، والطهو، وصحة الأطفال وسلوكهم الاجتماعي. وتساعد البرامج التعليمية التي تبثها الإذاعة، وخاصة الموجهة للنساء، في تحسين قدراتهن على العمل ناشطات في مجال مكافحة الإيدز، مثلاً، وتغيير أساليبهن في التعامل مع مشاكل الرعاية الصحية، والمشاكل الاجتماعية، وغيرها داخل المجتمعات المحلية والأسر.

ونعتقد أن عملية كاملة تتم هناك، تتضمن استماع النساء للإذاعة، والتعلم مما سمعنه، وتطبيق ما تعلمنه داخل الأسر، وتعليمه للآخرين. وبوجه عام، عبرت النساء عن الأهمية الكبيرة لبرامج الإذاعة بالنسبة لهن، إذ يعرفن منها ما يحدث في العالم. وتعمل الإذاعة على إشراك النساء المحليات بصورة مباشرة أيضاً، فنتيح لهن التطوع للعمل في إنتاج وتقديم البرامج. وهكذا، يتعلمن مهارات جديدة ويكتسبن ثقة في أنفسهن، نتيجة لاحتلالهن مزيداً من الفضاء العام. ومن ناحية أخرى، تتزايد الثقة لديهن نتيجة لأن من يعملون في هذه البرامج معروفين لهن (أو حتى أفراد من أسرهن). ورغم هذا، عبرت المتطوعات عن أسفهن، لأنهن رغم تمتعهن بالعمل، فإن ضعف الحوافز يثير مشاكل داخل البيوت، كما اتضح على سبيل المثال في حالة إحدى النساء المشاركات في إحدى المناقشات الجماعية في ساسونديجا: "تشعر بالقلق عندما نترك بيوتنا ونأتى إلى هنا في مركز الاتصالات، لأن أزواجنا يسألون دائماً عن المكسب الاقتصادي الذي يعود على الأسرة من التعاون مع هذا المركز".

كيف تؤدي فرصة الاستماع إلى مجرد بث إذاعي إلى تمكين الريفيات؟ والإجابة في بث الإذاعة المحلية لمعلومات تحتاج إليها الريفيات وترأها ذات قيمة، ولأنها متاحة بلغتهن المحلية، وتزيد قدرتهن في التأثير، سواء تلقين المعلومات بشكل مباشر أو غير مباشر. وحتى اليوم، لا تزال الاتصالات الشفهية وسيلة حصول معظم الموزمبيقيين على المعلومات الأكثر قوة والأوفر.

وينظر إلى التطوع في الإذاعة ومركز الاتصالات، على أنه فرصة لاكتساب علاقات اجتماعية أيضاً في المجتمعات المحلية الريفية. ويرى بعض الباحثين مثل كارنوي (M. Carnoy) (١٩٧٥) وسن (٢٠٠٣)، أن التحاق الأطفال بالمدرسة لا يطور فقط مهارات القراءة والكتابة لديهم، ولكنه يمكنهم أيضاً من تعلم أسلوب لاكتساب علاقات اجتماعية، وهو أمر يفيدهم في المستقبل. وبالمثل، رغم أن النساء لا يكتسبن أصولاً مادية إلى جانب المهارات التقنية، فإن مركز الاتصالات يعلم المتطوعات خبرة اكتساب علاقات اجتماعية مع الأخريات، ولعب دور عام في مجتمعهن المحلي، وتنظيم أنفسهن، وتعبئة الأصول والأفكار من أجل حل المشاكل المرتبطة بالمصالح العامة. وربما كانت التجربة الأولى من نوعها لكثير من المتطوعات الشابات خارج المدرسة أو أنشطة وقت الفراغ.

دور التليفون المحمول في تمكين الريفيات: اكتشفنا معرفة كثير من الناس للتليفون المحمول في كلتا المنطقتين، حتى رغم عدم اكتمال تحميل الشبكة في ساسوندنجا وقت إجراء الدراسة الميدانية، وكان أصحاب التليفونات المحمولة لا يستطيعون استخدامها تقريباً إلا إذا تسلقوا شجرة أو عندما يذهبون إلى عاصمة المقاطعة. وكان التليفون المحمول بالفعل، أكثر تكنولوجيا شائعة بين النساء بعد الإذاعة في مانيكا.

مع تراجع استخدام التليفونات الأرضية نظراً للقوة الشرائية المحدودة للسكان، وخاصة في المناطق الريفية، والتوسع السريع لشبكات التليفون المحمول (Muchanga and Mabila 2007)، بدأ أنه حتى الفقيرات ينظرن إلى التليفون المحمول باعتباره مفيداً.

ويرجع هذا إلى سببين: الأول، إمكانية التنقل التي يتمتع بها، تعنى توفير الوقت، وإمكانية إجراء الاتصالات دون اضطرار إلى ترك مكان عملهم؛ والثاني، حقيقة أن الأشخاص الأساسيين الذين يتصلن بهم، سواء زبائن أو موردين، معهم تليفونات محمولة أيضا، يجعل هذا بإمكانهن الاتصال بشكل مباشر بدلا من الاضطرار إلى الانتقال، وترك رسالة، وطلب مكالمة في التليفون العمومي بموعد متفق عليه لتلقى المكالمة. والشئ نفسه صحيح بالنسبة للاتصال بأفراد العائلة في موزمبيق والخارج.

وكانت تكلفة إجراء مكالمة أرضية بين المدن، أثناء فترة العمل الميداني، ما زالت عالية نسبياً. ولم تكن بطاقات دفع تكلفة المكالمة مسبقاً تتضمن تكاليف مخفية، بينما امتلاك خط أرضي له تكلفة شهرية ثابتة، سواء استخدم أم لم يستخدم، هذا بالإضافة إلى أن النساء يعتقدن أن تكلفة استخدام التليفون المحمول يتم تعويضها مع الوقت، في فوائد اقتصادية واجتماعية، حتى ولو كانت المكالمات المحلية أرخص في الكشك الأرضي. ومن هنا، لم يحل التليفون المحمول فقط مكان الأرضي، بل أسهم أيضا في زيادة أسية لحجم الاتصالات التليفونية. ورغم أن الأنشطة التي عرضناها يمكن أداؤها خلال التليفون الأرضي، فإن بعضها لا يمكن معه ذلك، وفي الغالب ستكون الكفاءة أقل.

وجدنا في مانهيكيا نساء يتصلن بأزواجهن العاملين في جنوب أفريقيا بواسطة التليفون المحمول. كما تستخدم البائعات في الأسواق التليفون المحمول في أمور تجارتهن، وللاتصال مع زملائهن في العمل. على سبيل المثال، بائعات الزيكادو(\*) في سوق مانهيكيا، اللاتي يقمن بشراء المشروب من أجل بيعه، يستخدمن التليفونات المحمولة لينبئن الموردين لهن في مقاطعة جازا، أنهن في حاجة إلى كمية أكبر، وهكذا يتخلصن من ضرورة الرحلات الطويلة التي قد تكون غير مثمرة أحيانا.

وقالت لنا ممثلة عن منظمة نسائية في مانهيكيا: "بالنسبة لي، التليفون المحمول بمثابة أقدام إضافية في عملي". وهي تستخدم التليفون المحمول في الاتصال بأعضاء

(\*) في الأصل xicadju، وتعنى عصير الكاجو المخمر. (الترجمة).

منظمتها أينما كانوا. كما وجدنا أيضا امرأة تستخدم تليفونها فى البحث عن عمل، حيث يمكن الاتصال بها عندما تظهر وظيفة مؤقتة. وقالت لنا أخرى فى مانهيكيا، إنها تقسم وقتها بين الحقل والعمل المنزلى فى بيتها، ولديها أسرة مكونة من عشرة أشخاص، وعندما لا يتوفر طعام فى البيت، تستخدم التليفون المحمول للاتصال بأقاربهم فى جنوب أفريقيا، وتطلب منهم إرسال بعض الطعام لهم. ونظمت امرأة أخرى تجارة صغيرة لنفسها فى بيع بطاقات الدفع المقدم لاستخدام التليفون المحمول. وخصصت إحدى المبحوثات الربح الناتج من تليفونات الثلاث، لدفع رسوم المدرسة ونفقات أسرتها المعيشية، كما تقوم أيضا بمساعدة الزبائن - معظمهم نساء - بتعليمهم استخدام التليفون أو تقوم بطلب المكالمات لهم.

رغم أن معظم المبحوثات لا يمتلكن تليفونات محمولة، فإنهن يشاركن فى تليفونات أعضاء الأسرة والأصدقاء. على سبيل المثال، قالت لنا بائعة زيكابو بالسوق إن صديقاتها يطلبن فى بعض الأحيان إجراء مكالمات، وإرسال رسائل وإشعارات ليقوم الطرف الآخر بطلبهن. وحتى رغم عدم معرفتهن طريقة إرسال الرسائل نصية، عرفت بعض الأميات استقبال المكالمات وإجراءها، وكان بإمكانهن التعرف على أحد الأسماء فى قائمة الأرقام المسجلة على التليفون. وأخريات كن لا يعرفن حتى طريقة طلب أحد الأرقام، ولكن استخدمن التليفون عن طريق طلب المساعدة من شخص آخر. ويمكن لمن ليس لديهن تليفونات محمولة، طلب استخدام تليفونات جيرانهن: ليس لدى تليفون محمول، ولا يوجد فى البيت من لديه واحد منها، ولكنى أحتفظ معى بأرقام الأقارب الأبعد تحسبا لحالة طوارئ، فحينئذ يمكن أن أطلب من جيرانى الاتصال لى بها. والمدمش، إشارة بعض من ليس لديهن تليفون محمول، إلى أهمية وجوده حتى يمكن طلب الشرطة إذا ما ظهرت مشاكل.

وجدنا (الباحثون مع المبحوثات)، أن استخدام التليفون المحمول يؤدي إلى التمكين سواء من الناحية الاجتماعية أو الاقتصادية. فهو اجتماعيا، يوفر القدرة على الحركة والمرونة، وفيه إمكانات المحافظة على تواصل منتظم مع العائلة، أيا كان بعد المسافة؛



ونتيجة ذلك تمتلك النساء روابط عائلية قوية، بما تتضمنه من شبكة الدعم. وكما تعزز النساء أيضاً شبكاتهن الموحدة عبر الاشتراك في التليفونات، بينما ييسر ازدياد قنوات الاتصال العمل في أنشطة المنظمات الجماعية وحملاتها. وبالإضافة إلى ذلك، يحفز التليفون المحمول بعض النساء على تعلم الحد الأدنى من المهارات الحسابية حتى تتمكن من التعرف على الأرقام وطلبها، وقد يكون في ذلك أول خطوة نحو أميتهن.

وتساعد التليفونات المحمولة الفقيرات أيضاً على زيادة دخلهن بطرق مختلفة: تساعدن في تجارتهن بفاعلية تكاليف الاتصالات، بينما انفتحت بظهور تجارة استخدام التليفون فرصة أمام النساء لتأسيس أعمال تجارية صغيرة. ويمكن أن يحل الاتصال بالعائلة أيضاً بعض المشاكل الاقتصادية، حينما تتحدث نساء مانهيكاً مع أقاربهن في جنوب أفريقيا لطلب مدد عاجل من الطعام.

وهكذا، تحسن النساء من خلال التليفونات المحمولة قدرتهن على توفير الأصول التي تساعدن في التغلب على مخاوفهن اليومية الكبرى، في عملية اجتماعية اقتصادية تزيد من استقلالهن.

### أدوات لها مستقبل ولكنها أقل ثورية في البيئة الريفية

الأدوات المتصلة بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وبالتحديد الكمبيوتر، والبريد الإلكتروني والإنترنت، متاحة أساساً في مراكز الاتصال أو في قليل من ورش العمل (لم نجد واحدة تمتلك كمبيوتراً من البحوثات): لا تستخدم النساء، فيما عدا المتعلمات القليلات، هذه الأدوات خارج مراكز الاتصال. والعجيب، أن في المقابلات الفردية اتضح أنه حتى مع توفر إمكانية استخدام هذه الأدوات للنساء، فإنهن لم يستخدمنها إلا قليلاً في العمل بسبب "قلة الوقت".

ووجدنا نحو ٢١٪ من البحوثات يستخدمن الكمبيوتر والبريد الإلكتروني والإنترنت. وكانت مستخدمات تلك الأدوات الخاصة بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات

أساساً من المشتغلات في مجال الصحة، أو الخدمات الإدارية، أو المنظمات غير الحكومية، بالإضافة إلى الطالبات والراہبات والعاملات بمراكز الاتصال. وتعتبر نسبة عالية نسبياً إذا ما نظرنا إلى البيئة الريفية، إلا أننا أجرينا المقابلات أساساً في مدينتين كبيرتين تركّز فيهما الخدمات العامة والبنية الأساسية.

وعبرت ممثلة المنظمة النسائية في مانھيكا عن النموذج الأساسي للاستخدام: كانت تستخدم الكمبيوتر في تحضير المشروعات، واستخدمت الإنترنت والبريد الإلكتروني عرضاً، ووجدت طريقها إلى تلك التكنولوجيا في مراكز الاتصال. وذكرت أن استخدام خدمات مراكز الاتصال يعني وجود تكلفة، ولكنها قالت إن هذا كان أفضل من عدم توفر فرص استخدام التكنولوجيا نهائياً. وتلقت هي برامجها التدريبية على الكمبيوتر في مابوتو، فكانت تسافر يومياً، ولكن أطفالها تعلموا في مراكز الاتصال فور إنشائها.

ورغم أننا وجدنا نساء استفدن من البرامج المجانية للتدريب على الكمبيوتر في مراكز الاتصال في المنطقتين، فإنهن كن مستاءات، حيث لم يساعد البرنامج التدريبي في الحصول على عمل بأجر في بلدتهن، نظراً لغياب الوظائف. وأيضاً، لم تكن هناك أي تدريبات للمتابعة تجعلهن قادرات على التقدم في الاستخدام، والاعتماد على مراكز الاتصال في ذلك لا يستطعن تحمل نفقاته من مواردهن الخاصة.

عندما قمنا بمقارنة إحصائيات مراكز الاتصال مع البيانات التي لدينا، وجدنا أن النتائج متناظرة: كان المتوسط في كلا المركزين، أن ثلثي الزائرين من الذكور، والباقي إناث. وفوق هذا، معظم العملاء (وخاصة النساء) كانوا هناك لتسلم أوراق مصورة، أو لاستخدام التليفون العام، وليس لاستخدام الكمبيوتر أو الإنترنت أو البريد الإلكتروني. ولم يكتسب البريد الإلكتروني ولا الإنترنت حتى الآن وضع الاعتماد عليهما، نظراً للتكلفة وعدم الثقة في النتائج.

وقدمت اللاتي لم يستخدمن تلك التكنولوجيات على الإطلاق عدداً من الأسباب لذلك مثل: "ليست من أجل أشخاص مثلنا؛" وعبارة أخرى، هناك تصور سائد بأن غير المتعلمين أو الأميين، والذين لا يتحدثون البرتغالية، النساء أو الفقراء مستبعدون تلقائياً

من استخدامها. وبالنسبة لأخرى، رغم إدراكهن للفوائد المرتقبة، مثل تعليم مهارات جديدة وإمكانية الحصول على المعلومات، فإنهن لا يجدن فيها مكاسب مادية مباشرة. ومن ثم يفضلن قضاء وقتهن بدلاً من هذا في البيع بالسوق. وكان من بين الأسباب التي قدمتها البائعات لعدم استخدامهن تلك الأدوات أنه ليس هناك وقت، ومن سيعتنى بكشكى؟ أو أنها باهظة التكلفة، ولكن حاجتهن الرئيسية، أنهن ملتزمات كلياً بالعناية بتوفير الحاجات الرئيسية لأسرهن من يوم إلى آخر، ولا يستطعن التفكير في أى شيء آخر لا يرتبط بذلك مباشرة. كما أنهن لم يشاهدن أمثلة توضح بصورة عملية المزايا التي تعود عليهن من استخدام تلك الأشكال من التكنولوجيا.

لا يسود بين معظم النساء في البلديتين اللتين طبقنا فيهما البحث، النظر إلى الكمبيوتر والبريد الإلكتروني والإنترنت، باعتبارها إضافة إلى القيمة والإمكانات في حدود المناطق التي تمثل لهن أموراً أهم، وهى تحديداً الحفاظ على مصدر الرزق والقضايا الاجتماعية. ورغم ذلك تعمل أجهزة الكمبيوتر على معاونة عدد محدود من النساء، استخدمنها بالفعل في تحسين وتطوير الجوانب المهنية في عملهن.

### الخلاصة: الدروس المستفادة

عندما بدأنا هذا البحث، كنا أملين في استطلاع ما يسهم به توفير فرص استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في تمكين الريفيات في موزمبيق، على مستوى ما. وقد لاحظنا أننا أنفسنا استفدنا من الفرص التي وجدناها لاغتنام التكنولوجيات الجديدة. أكدت نتائجنا أنه برغم استفادة المبحوثات جوهرياً من استخدام التليفون المحمول والإذاعة المحلية، فإن معظم الريفيات لا ينظرن إلى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات المشمولة في الكمبيوتر (الكمبيوتر والبريد الإلكتروني والإنترنت) على أن فائدتها ترتبط بشدة بحاجاتهن المباشرة لما يحفظ عليهن حياتهن، أو على الأقل لا تفيد في ذلك بدرجة مرضية. وفي بعض الحالات لم تكن تلك النساء واعيات بالإمكانات التي تتيحها تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الموجودة بالكمبيوتر.

وقدرنا المسئوليات الهائلة التي لا نهاية لها الواقعة على عاتق الريفيات في موزمبيق (والفقيرات الأخريات في كل مكان بالعالم)، وتعلمنا جديداً عن أسلوبهن المنطقي في اختيار الأولويات. كما لاحظنا أننا لا نستطيع وضع افتراضات معممة بشأن حاجات شخصية، ومدى استفادة الأشخاص، إذ يعتمد هذا على الخبرة الخاصة لهؤلاء. ولكن سنخطئ أيضاً إذا استخلصنا من ذلك أن تلك النساء غير قادرات أو غير راغبات في استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، استناداً إلى قيود تتصل بالتعليم، أو غياب الرؤية، أو عوائق ثقافية.

ووجدنا أن النساء بدأن في اقتناء التليفون المحمول، واكتشفن أسلوبهن الخاص للتغلب على صعوبات الأمية واللغة والتكلفة، وتعاون مع بعضهن، واستخدمنه باعتباره أداة توسع من إمكاناتهن وقدراتهن، دون حاجة لتدريب تكنولوجي أو تجهيزات مسبقة. ربما كان هذا أفضل مثال على تمكين الذات باستخدام أشكال جديدة من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وهذا الشيء الذي لم يحدث مع الأشكال الأخرى التي تتصل بالكمبيوتر، نظراً للطريقة التي تعرض بها هذه التكنولوجيا على الريفيات. ونؤيد الرأي القائل بأن الريفيات لن يستطعن اقتناء أشكال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والأدوات الموجودة بالكمبيوتر، وتمكين أنفسهن المتحقق ترتباً على ذلك، إلا إذا ولىَّ انتباه إلى جعل هذه الأشكال والأدوات مفيدة لهن. إذ لا تحتوى الأشكال المعروضة الآن من هذه التكنولوجيا إلا على قدر ضئيل مما يفيد الريفيات في القضايا المرتبطة بتوفير أسباب الرزق لأنفسهن (مثل معلومات عن الأعمال التجارية البسيطة والزراعة)، هذا إلى جانب محدودية قابليتها للاستخدام وقدرتها على التنقل. إذا تم تدارك هذه العوامل، ربما تستخدم النساء تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الموجودة بالكمبيوتر بسهولة أكبر، حتى في ظل العوائق القائمة فيما يتعلق بالوقت والمال والمهارات. ومقارنة بالتليفون المحمول، لا تقدم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الموجودة بالكمبيوتر سوى قليل من تسهيلات التواصل للريفيات، إذ تستطيع النساء استخدام التليفون المحمول في التحدث والتداول بشأن مشاغلهن حول توفير أسباب الرزق لأنفسهن.

ينبغي إدخال بعض التغييرات على المجتمع، الذي تخوض فيه النساء معركة كسب أسباب الرزق، وإذا لم يتم ذلك ستتسع الفجوة النوعية في استخدام التكنولوجيا الرقمية. وقد ذكرنا من قبل، أن النساء لم يتحقق لهن التمكين عن طريق تكنولوجيا المعلومات والاتصالات المتضمنة بالكمبيوتر، ليس لأنهن وجدن ما يتوفر منها في مراكز الاتصالات غير مفيد لهن، ولكن بسبب أنهن يخضن معركة اجتماعية اقتصادية لكسب الرزق. ومن ثم، فقد يساعد تحسين ظروفهن الاجتماعية والاقتصادية على النظر إلى التكنولوجيا بشكل مختلف، ومن ثم على تمكينهن. وفي تلك المرحلة من التنمية، تكون الأولوية البارزة لدى النساء، هي الأدوات التي تزيد قدراتهن وإمكاناتهن في المدى القصير، كأن تجعلهن قادرات على العمل بكفاءة أكبر، وتوفر لهن الوقت والتكاليف، وتحقق الاكتفاء الذاتي لهن ولأسرهن.

الخلاصة الرئيسية التي توصلنا لها، عندما يتجاوب شيء ما مع الحاجات الفعلية لمجموعة من الناس، سيكون متلائماً معهم. وإذا قدمت تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الموجودة بالكمبيوتر، حلاً حقيقياً لمشاكل الريفيات المباشرة، لأقبلن على اقتنائها واستخدامها لتقوية قدرتهن على حل المشاكل، واتخاذ قرارات، وتحديد الاختيارات، والإقدام على التصرفات المطلوبة.

## توصيات

نحو استخدام حقيقي لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات والتمكين من خلالها:

ليست استنتاجاتنا جديدة ونظريتنا سابقة لتطبيقنا. ونفهم الآن بشكل أفضل أنه لكي تصل الريفيات إلى تكنولوجيا المعلومات والاتصال المرتبطة بالكمبيوتر الممكنة لهن لا يكفي توفير المعدات. ويعنى هذا أن مراكز الاتصال، والمؤسسات الأخرى المساهمة في تنمية المرأة وتمكينها، يتوجب عليها بذل جهود كبيرة لتوفير المحتوى في صورة قابلة لاستخدام الريفيات لها، ومن خلال مزيد من التأكيد على الإمكانيات والقضايا الاجتماعية الاقتصادية التي تعطيها النساء وزناً. وتتضمن تلك القضايا الأسعار،

وأساليب الإنتاج الزراعى ورفاهية الأسرة. وربما يؤدي خلق ظروف اجتماعية اقتصادية أخرى، مثل توفر أسباب الرزق، إلى مساعدة النساء فى الاستفادة من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات المرتبطة بالكمبيوتر، وأن يتم تمكينهن عبر هذا الاستخدام فى عدد من النواحي (ليست بالضرورة اقتصادية).

وكما نوصى السعى إلى إنشاء بنية تحتية تمتاز بفاعلية الاتصال والكفاءة، حتى يتحسن أداء تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، ويتم دمج الأشكال الموجودة بالكمبيوتر منها مع التكنولوجيات الأخرى، لتعظيم إمكانية أن تؤدي كل منها إلى تيسير سعى النساء نحو ظروف وحقائق تؤدي إلى تمكينهن. وحتى تزيد إمكانية وصول المعلومات والمادة المتصلة بالنساء، المتوفرة على شبكة الإنترنت، يمكن توفيرها خارج الشبكة فى مراكز الاتصال وخلال الإذاعة أيضا، باللغة البرتغالية والمحلية؛ ويمكن بالمثل تشجيع تبادل المواد عبر التليفون المحمول، فى حالة إتاحة تلك التكنولوجيا فى المناطق الريفية.

وعلاوة على هذا، فالمعرفة بالقراءة والكتابة تعد أمراً أساسياً، فمن دون القراءة والكتابة لن يكون هناك تمكين، وخاصة بالنسبة للنساء والفتيات (Sen 1999; Dighe and Reddi 2006). ومن ثم، نشدد على التوصية بتحسين معرفة النساء بالقراءة والكتابة فى المناطق الريفية. ونؤمن بأن معرفة النساء القراءة والكتابة، إذا اجتمعت مع زيادة المحتوى الذى يهتم النساء، يمكن أن يؤدي إلى أن تصبح تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الموجودة فى الكمبيوتر أساساً تستند عليه النساء فى سعيهن إلى أسباب الرزق والسيطرة على حياتهن.

## المراجع

- Alsop, R., M. Bertelsen and J. Holland (2006) *Empowerment in Practice – from Analysis to Implementation*, Washington, DC: World Bank.
- Bush, R. and J. Folger (1994) *The Promise of Mediation*, San Francisco, CA: Jossey-Bass.
- Carnoy, M. (1975) 'The role of education in a strategy for social change', *Comparative Education Review*, 19(3).
- Dighe, A. and U. Reddi (2006) *Women's Literacy and Information and Communication Technologies: Lessons that Experience Has Taught Us*, Commonwealth of Learning – Commonwealth Education Media Centre for Asia. Fórum Mulher/SARDC WIDSAA
- (2005) *Beyond Inequalities 2005: Women in Mozambique*, Maputo and Harare: Fórum Mulher/ SARDC.
- Johnson, K. (2003) 'Telecentres and the gender dimension: an examination of how engendered telecentres are diffused in Africa', Unpublished MSc thesis, Georgetown University, Georgetown. MAE (Ministério de Administração Estatal) (2005a) *Perfil do Distrito de Manhiça. Provincia de Maputo. Série Perfis Distritais*, Maputo: MAE.
- (2005b) *Perfil do Distrito de Sussundenga. Provincia de Manica. Série Perfis Distritais*, Maputo: MAE.
- Muchanga, A. and F. Mabila (2007) '2006 Mozambique telecommunications sector performance review', Unpublished report, Maputo: Universidade Eduardo Mondlane. Norwegian Agency for Development
- Cooperation (1999) *Handbook in Gender and Empowerment Assessment*, [www.norad.no/default.asp?V\\_ITEM\\_ID=967](http://www.norad.no/default.asp?V_ITEM_ID=967), accessed 29 March 2008. Payton, F., L. Kvasny, V. Mbankn and
- A. Amadi (2007) 'Gendered perspectives on the digital divide IT education and workforce', Proceedings of the 9th International Conference on Social Implications of Computers in Developing Countries, São Paulo.

- Sen, A. (1987) *On Ethics and Economics*, Oxford: Blackwell.
- (1992) *Inequality Re-examined*, Oxford: Oxford University Press.
- (1997) *On Economic Inequality*, Oxford: Oxford University Press.
- (1999) *Development as Freedom*, New York: Knopf.
- (2003) 'The importance of basic education', Full text of Amartya Sen's speech to the Commonwealth Education Conference, Edinburgh, available at: [www.guardian.co.uk/education/2003/oct/28/schools.uk4](http://www.guardian.co.uk/education/2003/oct/28/schools.uk4).
- Sen, A. and M. Nussbaum (eds) (1993) *Capability and Well-being: The Quality of Life*, Oxford: Oxford University Press.
- Sharma, U. (2003) *Women's Empowerment through Information Technology*, New Delhi: Authors' Press.
- Stephen, A. (2006) *Communication Technologies and Women's Empowerment*, New Delhi: Rajat.
- UNDP (2006) *Human Development Report 2006 – Beyond Scarcity: Power, Poverty and the Global Water Crisis*, New York: UNDP.
- United Nations (2005) *Gender Equality Equality and Empowerment of Women through ICT*, New York: Division for the Advancement of Women, Department of Economic and Social Affairs, United Nations.
- World Bank (2002) *Empowerment and Poverty Reduction: A Sourcebook (Draft)*, World Bank, [siteresources.worldbank.org/intempowerment/Resources/486312-1095094954594/draft.pdf](http://siteresources.worldbank.org/intempowerment/Resources/486312-1095094954594/draft.pdf), accessed 31 March 2008.



## الفصل الثالث

### البحث فى استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات عندما لا تتوفر شبكة كهرباء مضمونة دراسة حالة من ريف جنوب أفريقيا

جوسلين مولر

#### خلفية

يوجد اهتمام متزايد فى جنوب أفريقيا بالدور الذى قد تلعبه أشكال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى زيادة فاعلية برامج الحد من الفقر، وتحقيق أهداف التنمية فى الألفية الثالثة. وتتحدث الأدبيات فى أغلب الأحوال حول أشكال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، الإنترنت على سبيل المثال، باعتبارها "طاقة نور" للبلدان النامية (Gurumurthy 2004; World Bank 2004). ورغم هذا، يتم التغاضى دائما عن إمدادات الطاقة الكافية كشرط لازم للتنمية التى يحتمل تحقيقها بواسطة أشكال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

ويستهدف هذا الفصل استطلاع ما تعتقده النساء فى المجتمعات الريفية الصغيرة فى جنوب أفريقيا، حول القيود والفوائد المتحققة من توفير خدمات الطاقة

(باستخدام نظام ميني هايبريد mini-hybrid system) وعلاقة هذا بالوصول لاستخدام أشكال بعينها لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، مثل التليفون المحمول والإذاعة والتلفزيون.

تعانى البلدان النامية - وخاصة سكان الريف فيها - من نقص استثمارات البنية التحتية والخدمات الأولية، بما فيها توفير الطاقة اللازمة. ونادرا ما تصل نظم الإمداد بالطاقة إلى المناطق الريفية، وهى لا غنى عنها لاستخدام معظم أشكال تكنولوجيا المعلومات؛ بل إننا نشهد اتجاهاً فى العقود الثلاثة الماضية لتضاعف عدد من لا تصلهم الكهرباء فى المناطق الريفية فى أفريقيا (مثلما تضاعف العدد ثلاث مرات فى المناطق الحضرية، نتيجة للتوسع الحضرى) (ITDG 2005). وقدرت وكالة الطاقة الدولية (IEA 2006) القيمة الإجمالية للحاجة إلى الاستثمار فى الكهرباء بنحو ٢٠٠ مليار دولار حتى عام ٢٠١٥، لخدمة نصف الأشخاص الذين يعيشون على أقل من دولار واح فى اليوم. وهكذا، تندر استفادة سكان المناطق الريفية النائية، حيث ما زال الفقر مخيماً، من الازدهار الذى دفعت إليه تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، فى الحضر بشكل أساسى. وإذا كان جنى ثمار مجتمع المعرفة ممكناً بالنسبة للبعض، إلا أنه يكاد يكون مستحيلاً بالنسبة للغالبية. ولا تزال آثار "تساقط الثمار" المنتظر بعيدة المنال.

والنساء آخر من يتوقع له جمع ثمار تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى أفريقيا جنوب الصحراء، إذ تتراوح نسبة الأسر التى تعولها نساء ما بين ٥٠% و٨٠% من الأسر المعيشية الريفية، هذا فضلاً عن هجرة الرجال إلى المراكز الحضرية سعياً إلى الوظائف، تاركين زوجاتهم (ITDG 2005). وقد يكون هذا فى حد ذاته، سلاحاً ذا حدين. ويعنى التقسيم النوعى للعمل، أن مسئوليات النساء المنزلية، بما فيها العناية بالمرضى والمسنين والأطفال، تصعب عليهن الهجرة، فلن يكون عليهن مجرد "التقاط حاجاتهن والرحيل" إلى المناطق الحضرية. ويؤدى هذا الميل، انحراف نسبة النساء إلى الرجال فى الحضر، إلى ترجيح زيادة أن عدد الرجال المعرضين للتعامل مع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات (غير المتاحة فى المناطق الريفية)؛ فضلاً عن هذا، يملك الرجال

قوة شرائية أكبر، تمكنهم من شراء تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الراغبين فيها، أو الوصول إلى فرص استخدامها. ولذلك تقل احتمالات امتلاك النساء تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، مثل التليفزيونات والتليفونات المحمولة والإذاعة، بل بالأحرى يستخدمن دخلهن في تلبية حاجات الأسرة المعيشية من طعام وكساء وحاجات الأساسية الأخرى.

ويقدر أن ٩٠٪ من سكان الريف الأفريقي، وغالبيتهم نساء، ما زالوا يعيشون بلا كهرباء. ولهذا تعاني النساء من فقر الطاقة بنسب غير عادلة، مما يجعل وضعهن أضعف إزاء ما يترتب على ذلك من آثار (Clancy and Khamati-Njema 2005). وهكذا، اتخذ فقر الطاقة، وفقر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات طابعاً نوعياً.

وفى أفريقيا، حتى المناطق التي يتاح فيها للسكان فرصاً للوصول لمصادر الطاقة سواء التقليدية (مثل المولدة بالفحم) أو متجددة، تكون كفاءة الإمدادات متواضعة في الغالب، بحيث لا يمكن الاعتماد عليها. ويرجع السبب في ذلك إلى فشل الحكومات في توفير استثمارات لصيانة البنية التحتية القائمة، أو خدمتها (ITDG 2005). ويحد هذا من الخدمات وأشكال التكنولوجيا التي يمكن استخدامها. ويرتبط بهذا العامل، حقيقة أن الأسر الفقيرة لا يكون في متناولها غالباً استخدام الكهرباء؛ فيترتب على هذا توجيه تلك الأسر استخدامها من الكهرباء إلى التليفزيونات الأبيض والأسود، وأجهزة الراديو والإضاءة، بدلا من استخدامها في الخدمات الحرارية كثيفة الطاقة مثل الطهو وتدفئة الجو. ويوضح هذا تقلص مستوى استهلاك الكهرباء للفرد في أفريقيا، من ٤٣١ كيلو وات في الساعة إلى ١١٢ كيلووات في الساعة، من ١٩٨٠ إلى ٢٠٠٠ على التوالي، وهو ما يشير إلى وجود طلب مكبوت وغير ملبى، الشيء الذي يمكن إرجاعه عموماً إلى زيادة مستويات الفقر (Ibid.).

أصبحوا ينظرون الآن بشكل متزايد إلى أشكال التكنولوجيا المعتمدة على الطاقة المتجددة باعتبارها الطريق الواجب اتباعه، وكان هذا من ناحية استجابة إلى الاهتمام العالمي والإقليمي بنقص خدمات الطاقة الحديثة في معظم أفريقيا، وبسبب تأثير مصادر

الطاقة التقليدية على البيئة من ناحية أخرى (مثل الحصول على وقود من الفحم). ورغم هذا، لا يمكن لمصادر الطاقة المتجددة التي يتم نشرها حالياً، تلبية أى من الحاجات الملحة للنساء (كنوع اجتماعي) من الطاقة، مثل وقود الطهو وتسخين المياه. وهو ما كان من شأنه معالجة أى من المشاكل المتعلقة باستخدام مصادر الطاقة التقليدية - مثل عدم كفاءة استخدام الوقود الخشبي، وتركز الانبعاثات البيئية محلياً نتيجة لاستخدام بقايا المحاصيل والمخلفات الحيوانية كوقود، والآثار السالبة على الصحة نتيجة للدخان فى الأماكن المغلقة، وخسارة الوقت الذى يستغرقه جمع المواد المستخدمة فى هذه الأنواع من الوقود. كما يوجد عامل آخر يعوق انتشار أو التغلغل الأبعد مدى لأنواع التكنولوجيا المعتمدة على الطاقة المتجددة، ويتمثل فى أنهم نادراً ما يعمدون إلى تقييم معدل الكفاءة الوظيفية لبرامج الطاقة المتجددة، فى تجاوز التنفيذ أو مواعيد الإنجاز، ولذا تصبح فى معظم الأحيان باهظة التكلفة ومحدودة المردود (Villavicencio 2002).

## نطاق البحث

يعرض هذا الفصل بحثاً أجريته وفقاً لمنهج البحث بالمشاركة، فى رحلة بحثية إلى لوسينجوينيا (Lucingweni)، وهى قرية نائية فى كيب الشرقية، بجنوب أفريقيا. وشاركت نساء من القرية فى عملية مصممة للوقوف على ما لديهن من معرفة وتقييمات، بخصوص ترتيبهن للحاجات الأكثر إلحاحاً من الطاقة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وتأثيرها على إحداث تحول فى التفكير، بغرض تعزيز مستوى واضح من التمكين للنساء، اللاتى يتم إقصاءهن فى معظم الأحيان إلى مواقع ثانوية فى المجتمع (Hill 2003).

وفى ٢٠٠٤، اتفقت هيئة تنظيم الطاقة الوطنية فى جنوب أفريقيا (National Energy Regulator of South Africa) (بتكليف من وزارة التعدين والطاقة Department of Minerals and Energy)، على إنشاء نظام شبكة مصفرة لمزيج من المصادر (mini-grid hybrid system) فى لوسينجوينيا (Lucingweni)، كمشروع تجريبى لكهربية الريف بالطاقة المتجددة، وقامت شركة شل للطاقة الشمسية بتركيبها. وكان نظام

الطاقة المتجددة يتألف من مصفوفة سعة ٥٠ كيلو واط من شل للطاقة الشمسية، ١٠٠ وات وحدات كهرو ضوئية (PV)، و ٢٦ كيلو واط من مولدات تعمل بواسطة الريح. وتم توصيل ٢٢٠ أسرة في القرية بالنظام، بحيث يتاح لكل أسرة أربعة استخدامات؛ فى الإضاءة، وجهاز راديو، وجهاز تليفزيون، وشاحن للتليفون المحمول. وصمم النظام على أساس إتاحة أمبير واحد كحد أقصى، فى حدود كيلو واط/ساعة يوميا كحد أقصى، مقارنة مع نحو ٦ كيلو واط/ساعة شهريا للأسرة فى نظام الطاقة الشمسية للبيوت القائم بذاته. ويقدر متوسط استهلاك الأسرة منخفضة الدخل من الكهرباء التقليدية، نحو ١٢٨ كيلو واط فى الساعة كل شهر. وكان نظام الشبكة المصغرة يستهدف أيضا توفير طاقة كهربائية لإنارة الشارع وضخ المياه، إلى جانب مد تيار ٢٢٠ فولتاً إلى متجرين، وأحد مرافق التخزين بواسطة بطارية، من المفترض أن تمد المركز المجتمعى المحلى بخدمات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات العامة.

وربما كان توسيع أنشطة المركز المجتمعى المحلى، حتى يصبح فى نهاية الأمر أحد مراكز الحكومة المجتمعية المحلية متعددة الأغراض "Multi Purpose Community Centres (MPCCs)"، جزءاً من الخطة الحكومية المتكاملة لتوصيل الخدمات إلى الريف. وكان مقرراً للمراكز المجتمعية المحلية متعددة الأغراض، أن تكون طريقة أساسية لتطبيق التنمية من خلال توفير خدمات المعلومات والاتصالات للسكان، لضمان توفر المصادر اللازمة لهم من أجل تحسين مستواهم المعيشى. ويفترض أن نظام الشبكة المصغرة سيوفر الكهرباء التى يحتاج إليها المركز المجتمعى المحلى متعدد الأغراض فى لوسينجوينى.

وفى عام ٢٠٠٥، بدت لوسينجوينى كموقع مثالى لاستكشاف الفرص المتوفرة لاستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، إذا تم تقديم خدمات الطاقة الأساسية بواسطة تكنولوجيا الطاقة المتجددة، فى المواقع الريفية النائية. ورغم هذا، ففى الزيارة الأولى لفريق البحث إلى الموقع، بدا التاريخ المتعثر للنظام واضحاً، وأن الصعوبات

ما زالت قائمة. وقد أطلعنا السكان على مشاكل من بداية نظام الشبكة المصغرة في ٢٠٠٤ ما زالت مستمرة. كان من بينها عدم الثقة في تواصل الإمداد، وغياب الصيانة الكفاء اللازمة لتقديم الخدمات وتشغيلها، وعدم توفر القدرة التكنولوجية المحلية، مثل عدم توفر مكونات النظام محلياً. وحتى أثناء وبعد هذا البحث، نشأت مشاكل عديدة، منها حسم ملكية النظام ما بين الوزارات المختلفة، وأمور متعلقة بالفساد، وكان أهمها التخريب واسع النطاق الذي أصاب منظومة الألواح الشمسية في فبراير ٢٠٠٧، واتضح تدريجياً أن كل خبرة نظام الشبكة المصغرة في لوسينجورني، الذي بدأ بتوقعات هائلة حول التنمية، كانت لها آثار شديدة السلبية على المجتمع المحلي.

### منهج البحث

وداخل هذا السياق المركب، أجرينا بحثنا حول الطاقة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، من أجل تمكين النساء في جنوب أفريقيا، وتبنيها منهج التنمية التي محورها البشر، المبني على النظر إلى الطاقة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات ومفاهيم النوع الاجتماعي بصورة متكاملة في طريقة البحث (Ead, 1997). واستخدمنا أساليب البحث بالمشاركة (participatory research methods)؛ المناقشة الجماعية المركزة (focus groups)، ومقابلات التعبير الحر (free attitude interviews- FAI) (Buskens 2005b)، ومقابلة تعديل السلوك (transformational attitude interview -TAI)، (Buskens 2005b)، وأيضاً رصد الأثر. (Earl et al. 2001) (outcome mapping-OM) واخترنا كل هذه الأساليب التشاركية لخلق حوار مع النساء بهدف الوصول للتمكين، بما يتضمنه ذلك المشاركات في الدراسة. وحاولنا باتباع هذا المنهج الوصول إلى عدد من الأهداف:

- إدخال أنوات وتقنيات مشاركة النساء الداعية بوضوح إلى تبني أسلوب التعليم والتفكير في حياتهن.

- تطوير مهارات النساء والثقة فى استخدام أساليب وتقنيات كيفية وتشاركية بعينها.

- عرض المنهج التشاركى على النساء بهدف أن تتدمج فيه رؤاهن حول الطاقة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات بصورة خلاقية، بحيث يعكس قيمهن وحاجاتهن ورغباتهن الفردية والجماعية على السواء.

- تطوير قدرات النساء فى استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

وفى البداية، قصد فريق البحث إشراك النساء اللاتى لديهن فرص استخدام الطاقة الناتجة عن نظام الشبكة المصغرة. ولكن وجدنا أن لوسينجوينى تتكون من ٦ قرى، ولا تشكل المنطقة التى دخلت فيها الكهرباء من خلال نظام الشبكة المصغرة سوى جزء من المجتمع المحلى. وكان هناك إلحاح من المجتمع المحلى على ضرورة تمثيل القرى الأخرى. وبادروا بانتخاب سيدة واحدة من كل قرية للمشاركة فى مشروع بحثنا. واختيرت المشاركات الآتيات: زانيلى مانجكسا Zanele Mangxa، ونونتوييكو لاندولى Nontobeko Landule، سينديسوا مانيبا Sindiswa Manipa، وسيلفيا سكواتى Sylvia Skwati، نوزاميلى نوكوسينى Nozamile Nkosini، ونوثيساوا نكوسينى Nothiswa Nkosini. ومن خلال هذا المنهج، استكملت الدراسة، حيث أصبحنا قادرين على تطوير فهم أكثر اتساعاً للتنوع فى المفاهيم حول وجود فرص الحصول على الطاقة فى المنطقة واستخدامها، وكيف يؤثر ذلك على استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى لوسينجوينى.

ومن خلال رواية سير حياتهن، وانعكاس حقائق الحياة التى يعشنها عليهن، عبرت المشاركات عن تصورهن للتأثير الذى قد تتركه الطاقة، وأشكال محددة من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات على حياتهن (Mbilinyi 1992). واستهدفت عمليات مقابلة تعديل السلوك، بشكل أساسى، النساء المقيمات فى لوسينجوينى، للتعرف على تصورهن حول الأساليب التى تسهم بها الطاقة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى إحداث تحسن فى مستوى معيشتهن.

## تحديد المفاهيم الرئيسية وتأسيس رؤية

قبل التعامل مع القضايا الأساسية المتعلقة بالتطوير الممكن تحقيقه بواسطة الطاقة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، كان علينا تخصيص وقت لنحدد مع المشاركات مفاهيم الطاقة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات. وهذا جزء جوهري من عملية التمكين، بما أن اجتذاب مساهمة جديّة من المشاركات، يعتمد على المعنى الذي تخلقه عندهن المفاهيم والقضايا والخيارات المتاحة المتصلة بالموضوع، قبل تحديد ما لديهن من أهداف في تطوير الطاقة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

## تأسيس رؤية حول الطاقة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات من أجل التنمية في لوسينجويني

وبعد المناقشات التي تمت باعتبارها مقدمة علمت على تركيز مفاهيم الطاقة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، طبقنا "عملية عاكسة"، وكررتها مرة أخرى، حتى تصبح المشاركات قادرات على تحديد رؤيتهن الفردية والمشاركة، فيما يتعلق بالطاقة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات في لوسينجويني. وفضلنا هذا من خلال رؤية انعكاس حقائق حياتهن المتصلة بالطاقة واستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، والعقبات التي يجدنّها مانعة لاكتمال الصورة؛ فضلاً عن استكشافهن للإستراتيجيات الممكنة للتغلب على العقبات. وحتى نتعرف على أولويات المجتمع المحلي للطاقة، طلبنا من المشاركات تخيل أن أحلامهن حول الطاقة تحققت، وتحفز هذه العملية قدرة النساء على الإبداع في تصور احتمالات جديدة، وتلهمهن في العمل على الوصول لرؤية مشتركة. وطورت كل مشتركة منهن رؤيتها الخاصة، ثم تبادلت أفكارها مع المشاركات المجاورات لها والمجموعة. وأصبحت الرؤية الفردية رؤية مشتركة. وبلورت رؤيتهن الجماعية حول الطاقة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، أشكال الطاقة التي يرغبن في توفيرها لهن حتى يتمكن من:



## (١) الأنشطة المنزلية

- الطهو.
- تسخين الماء.
- ضخ الماء.
- الإنارة، بما فيها إنارة الشوارع.
- شحن التليفونات المحمولة.
- أداء الأعمال المنزلية، الإنارة.
- الاستماع إلى الإذاعة.
- مشاهدة التليفزيون.

## (٢) خدمات مجتمعية محلية

- مراكز تكنولوجيا المعلومات والاتصالات التي بها كمبيوترات وخدمة فاكس وبريد إلكترونى وطباعة واستخدام لشبكة الإنترنت، ونسخ على الآلة الكاتبة، وماكينات تصوير فوتوغرافى.
- تقديم الطعام، برنامج تغذية المدارس.
- دعوات لتجمعات مجتمعية محلية، استخدام الإذاعة، كتابة خطابات، استخدام الرسائل النصية القصيرة.

## (٣) أعمال تجارية صغيرة

- متاجر سبازا(\*)، تليفونات للاستخدام، أدوات إنارة وتبريد.

---

(\*) Spaza shop باللهجة العامية فى جنوب أفريقيا تعنى متاجر صغيرة، تدار غالبا من المنازل الخاصة.  
(الترجمة).

- صالونات تصفيف الشعر

- مجموعة للخياطة.

- زراعة الفواكه والخضروات، ضخ المياه اللازمة للرى.

- مرافق لتنظيف الملابس.

كانت سيلفيا قادرة على عكس الشروط الجوهرية التي تمثل حياتها، واسترسلت فى الحديث عن جوانب خبراتها حول الطاقة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وأعطتها أكبر قيمة، وأوضحت التزامها تحسينها فى المستقبل. وعبرت عن أمنياتها بقولها:

"إذا سارت الأمور كما أريد، أود أن تكون عندى كهرباء، حتى أستطيع تشغيل جهاز الراديو، وشحن تليفونى، وأتمكن من الطهو. فسيتيسر لنا شحن تليفوناتنا، إذا كانت لدينا كهرباء".

كما عبرت زانيلي فى جريدتها المصورة عن رؤيتها أيضاً:

"عندما فكرت فى هذا الحلم، لم يكن لدى فهم واضح عما يجرى، ولكن الآن، يمكننى الإحساس باقترابى من النجاح. أستطيع رؤية نفسى وقد أصبحت عندى كهرباء ومشروع للغاز، وتوجد فى مدارسنا أجهزة كمبيوتر يتعلم الأطفال عليها. هذا حلمى، ألتقط لنفسى صورة وأنا واقفة أمامه".

ونلفت الانتباه، إلى أن تكوين رؤية مستقبلية، بمثابة تجربة استكشافية، إذ يتضمن استكشاف الاحتمالات استناداً إلى لحظات استثنائية، تغذيها الحقائق المعاشة. وضعنا كل امرأة من المشاركات فى العمليات العاكسة بهذا البحث، أمام تحدى تقديم تصور عن مستقبل أفضل، على أن يكون التصور عملياً. ومن ذلك أن يكون له أساس فى سيرتها الشخصية، وأن يكون مبتكراً فى الوقت نفسه أيضاً، وبناء على فهمها لقدراتها الحالية، وهكذا تفكر فى زيادة إمكاناتها فيما يتجاوز تصورها الحالى عن نفسها.

## واقع حياة النساء

اكتشفت المشاركات فى البحث معنا، وجود تناقض بين أحلامهن وظروف حياتهن فى الوقت الحاضر حينها، وذلك برسم خريطة تعبر عن واقعهن الحالى، والعقبات الداخلية والخارجية التى تحول دون أحلامهن. واعتبرنا العقبات الداخلية، عوامل قابلة للتحكم فيها، أو أننا نملك التأثير عليها، بينما تحول دون وصولنا إلى أحلامنا، مثل مهارات معينة أو سلوك أو اتجاهات عاطفية. وكانت العقبات الخارجية، ما لا نملك التحكم فيها إلا قليلاً، أو لا نستطيع التحكم فيها إطلاقاً، مثل خلفيتنا الاجتماعية الاقتصادية وبيئتنا وثقافتنا النوعية.

ووصفت نوزاميلى فى جريدتها المصورة واقع حياتها، واستخدمت الطهو كمثال، مزجت فيه فهمها المحمل بمضمون نوعى حول النساء باعتبارهن مستخدمات للطاقة ومقدمات لها، فكتبت ما يلى:

التقطت صورة لجارتى وهى تطهو فى قدور سوداء؛ وعندما نضج الطعام قدمته فى الصحون لأسرتها. كانت تطهو باستخدام الحطب الذى جمعته من الغابة؛ والغابة بعيدة جداً، ولكنها الطريقة الوحيدة التى نعيش بها هنا فى لوسينجوينى. ولدنا فى ظل هذا الوضع، ولكننا راغبون فى تحسين أسلوب حياتنا لو استطعنا. باستطاعتنا رؤية المناطق الأخرى تعيش أفضل مما نحن فيه. وأود لو كانت لدينا هنا فى لوسينجوينى إضاءة (كهربائية).

واستطاعت سينديسوا أيضاً إيضاح الفرق بين استخدام الرجال والنساء للحطب.

الرجال لا يستطيعون استخدام الحطب فى إشعال النار، إنهم يهدرونه باستخدام أكثر مما يلزم، لأنهم لا يعرفون أنه يجلب من مكان بعيد، وأن جمعه أمر صعب.

وأيد ما عكسته النساء عن حياتهن، أولويات استخدام الطاقة فى البلدان النامية؛ فى الطهو ضمن الأعمال المنزلية، تليه التدفئة والإنارة. وظهر نفس الميل عند أسر لوسينجوينى، إذ يستخدم فى الطهو عموماً، جمع بين عدد من مصادر للطاقة، تصنف فى معظمها

كمصادر تقليدية (مثل الروث وبقايا الزراعات، والوقود الخشبي)، ومصادر وسيطة (مثل الكيروسين) أو حديثة (مثل البترول السائل، وبيوجاز، وإيثانول جيل، والزيوت النباتية، وثاني ميثيل الأثير، والكهرباء): ولا تلبى الخدمة المقدمة من مشروع الشبكة المصغرة في لوسينجويني تلك الحاجات من الطاقة التي لها الأولوية.

وتتكرر حاجات الطاقة التي أعطتها النساء أولوية، بناء على خبرتهن حول الطاقة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات:

يجف في فصل الصيف ماء النهر الذي نجلب منه، حتى في الأنهار الكبيرة. وتوجد لدينا صنابير، كنا نزن المياه ستوفر لنا خلالها، ولكن لم يحدث أي تقدم في مشروع المياه. وليس لدينا علم بالمشكلة التي حالت دون ذلك. لقد ركبت الحكومة تلك الصنابير والأنابيب، ولكن المياه لم تصل بعد.

ويزداد الموقف سوءاً بسبب موسمية إمكانية الحصول على الماء، وقد تسبب ذلك في مشاكل كبيرة هنا من قبل. و تأكد لنا هذا في لقاء كان يهدف رصد صدى هذه المسألة:

المياه مشكلة. وإذا وجدنا مياه قد لا تكون جارية، ورغم هذا نستخدمها حيث لا توجد بدائل أخرى. ونشرب هذه المياه ونطهو بها. فنصبح أمام مشكلة الكوليرا. وتأتي الأمراض إلينا مع خيامهن، لأن الناس يمرضون من شرب المياه الملوثة. والآن، نغلي المياه كما علمتنا المرضات، وهكذا يمكننا بهذه الطريقة القضاء على الكوليرا في القرية. وعندما نغلي المياه نستخدم الحطب الذي جمعناه من الغابة.

وفقاً للمشاركات، تفاقمت الأزمة الصحية لقلة فرص الوصول إلى عيادات الرعاية الصحية، وقلّة خدمات المواصلات العامة والتليفون في المنطقة. فإذا عولجت العقبات المعيقة للتنمية باعتبارها مشاكل ملحة، وتم تذليلها بنجاح، ستكون الأشكال المختلفة من تكنولوجيا الطاقة في المناطق الريفية (تقليدية أو متجددة) قادرة على تخفيف التوترات.

وتنظر النساء إلى نظام الشبكة المصغرة لخدمات الطاقة الأساسية الذي وفروه إلى ٢٢٠ أسرة فقط، كنوع من التمييز. في حين شكّت بعض النساء من مشاكل نظام

الشبكة المصغرة للطاقة، وكانت امرأة مثل نوثيسوا التي تعيش فى جزء آخر من القرية،  
محبطة، لأنها وأهلها مستبعدون من النظام:

قريتي لم يصل إليها التيار الكهربائى، وسمعت الناس تتحدث عن التيار  
الكهربائى (المولد من نظام الشبكة المصغرة)، ويقولون إنهم غير معجبين به.  
وكم وددت لو كان لدينا فى قريتي مثله حتى أتتحقق من الأمر بنفسى، وأعرف  
عما يتحدثون."

وقالت سيلفيا أيضا إن الجزء الذى تعيش فيه من القرية لم يصله التيار الكهربائى بعد،  
وقالت:

"مازلنا نجد صعوبة إذا رغبتنا فى شحن تليفوناتنا المحمولة، لأن عليك إعطاه  
(التليفون) لشخص يكون ذاهبا إلى البلدة، حتى يشحنوه لك هناك، عليك دفع  
مقابل ذلك."

وقالت أيضا، رغم أن الأسر متصلة بالنظام، فإنهم يكابون لا يستفيدون شيئا،  
لأن الخدمة أساسا للاستخدام فى الإنارة وشحن التليفونات المحمولة فقط، فلا  
يستطيعون استخدامها لأجهزة الراديو أو التليفزيون، لأنهم سيحتاجون حينها لهوائى  
خاص، ولا يستطيع معظم الناس تحمل شرائه:

"عديون لديهم تليفون محمول، ولكن التليفزيون نادر. ويحتاج الشخص إلى  
هوائى ليصل إليه الإرسال الإذاعى أو التليفزيونى."

واشتكت سينديسوا من إمدادات الطاقة التى تصلهم، حيث لا يمكن الوثوق فى  
الاعتماد عليها. وقالت إنهم فى الحالات التى كان النظام يعمل فيها، لم يكن استخدامه  
متاحا إلا ساعتين فى اليوم فقط. ووفقا للنساء، لم تكد تلك المناسبات "الخاصة" تزيد  
على ستة أشهر تقريبا من الاستخدام المتواصل. وعندما يتوجه الأهالى لسؤال موظفى  
المكتب المحلى للمشروع، الذين ركبوا النظام، أو القادة المحليين التقليديين، يقولون لهم  
إما أن استخدامهم للنظام مفرط مما يسبب ضغطا عليه، أو أن مكونات معينة هلكت  
وطلبوا توريد أخرى لتحل محلها.

وتسلم سينديسوا بأنه في الحالات التي يعمل فيها نظام الطاقة المتجددة، تستخدم أكثر الأسر المتصلة به التيار الكهربائي في الطهو. وكانت إحدى مشاكل النظام كما تقول:

كهرباء ضعيفة جدا. قيل لنا إننا لا نستطيع الطهو باستخدامها، ولكننا أحيانا نكون راغبين في ذلك، وخاصة عندما نرهمق من جمع الأخشاب. وقد اشترى بعض الناس مواقد كهربائية، واستخدموها في الطهو، وتسبب هذا في تعثر التيار. ولم يقولوا لنا إذا ما كان انقطاعه بسبب استخدامنا للمواقد أم لا.

ويفوق هذا المستوى من الاستهلاك تصميم نظام الشبكة المصغرة. ويبدو أنهم لم يطلعوا الأهالي بشكل كافٍ على النظام ومستوى الطاقة التي يمكنه توفيرها.

ويوفر نظام الشبكة المصغرة فرصاً فعلية لاستخدام تكنولوجيات المعلومات والاتصالات. وصورت لنا النساء مدى إتاحة تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات في نشر المعلومات على نطاق أوسع من ذي قبل؛ إذ تجعلهم التليفونات المحمولة على سبيل المثال، قدرات على التحدث مع أشخاص قد يكونون على بعد آلاف الكيلومترات؛ ويمكنهن التليفزيون من رؤية ماذا يحدث في الجانب الآخر من العالم (أحيانا حتى في وقت حدوث الحدث مباشرة)، وتتيح لهن الإنترنت، إذا كانت لديهن فرص لاستخدامها، إمكانية مباشرة لتبادل المعلومات. وعبرت نوثيسوا عن إحساس عالٍ بالعزلة المادية، وشعرت أن تكنولوجيات المعلومات والاتصالات تمثل مفتاحاً للوصول إلى الخدمات العامة وتقلل شعورها بالعزلة، ويؤدي هذا الشعور بالعزلة عن خدمات وأسواق ومؤسسات الحكومة والمعلومات، إلى المطالبة بتغيير الطرق كمسألة ملحة.

وأثناء الحوار، استطاعت النساء إدراك التفاوت القائم في فرص التوصل إلى تكنولوجيات المعلومات والاتصالات واستخدامها. وأوضحت نوزاميلي؛ في البداية لم يكن سوى رجل واحد لديه فرصة استخدام التليفون المحمول، لأنه كان يعيش ويعمل في المراكز الحضرية (مثل زوجها). ينشأ الحرمان التاريخي والثقافي والاجتماعي الاقتصادي الذي تعاني منه النساء من محدودية فرص وصولهن إلى الموارد،

التي من شأنها إتاحة شراء المواد التي تعد "أدوات رفاهية"، مثل التليفونات المحمولة. كما ينظر أيضا إلى محدودية نفوذهم في اتخاذ القرار عند تحديد مشتريات الأسرة كأحد العوامل التي ينبغي أخذها في الاعتبار.

واتضح لنا، أنه بصرف النظر عن الصعوبات، فقد استخدمت نساء لوسينجويني أشكالاً مختلفة من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في أغراض مفيدة لهن، مثل التليفونات المحمولة. كما شجع برنامج الطاقة المتجددة على اقتناء التليفونات المحمولة، وعلى الأنشطة التجارية الصغيرة جداً، التي تعالج أشياء مرتبطة بالتليفونات المحمولة وشحن بطارياتها. وبالفعل قالت نوزاميلي:

"يشحن ابني البطاريات للأخرين بالقرية، ويفعل هذا مستمدا الطاقة (الطاقة الشمسية، محولة من سيارة) من بطارية وعاكس كهربائي، حيث لا توجد لدينا كهرباء في هذه القرية".

وأعلنت النساء صراحة أنهن يفهمن في تكنولوجيا التليفون المحمول أفضل من الرجال، لأنهن أساساً ليس لديهن نقود كافية لشراء رصيد، فتعلمن إرسال الرسائل النصية القصيرة واستلامها، وتقول سينديسوا:

"الطريقة التي أستخدم بها تليفوني تختلف عن الرجال. أفضل الرسائل النصية القصيرة. الرجال لا يحبون ذلك، وهم في كل الأحوال لا يعرفون طريقة استخدامها. لا يقتنع الرجال بها. إنهم يخشون ألا يكون مع الشخص على الطرف الآخر، نقود للرد على الرسالة. والنساء أكثر دراية باستخدام التليفون المحمول، ويعرفن معظم الخصائص، لأننا ليست لدينا نقود كافية لإجراء مكالمات".

وكان من النيات الأساسية لمشروع الطاقة المتجددة التجريبي في لوسينجويني، إنشاء مراكز مجتمعية محلية باعتبارها جزءاً منه. ووفقاً لما قالتها النساء، كان العقد متضمناً بناء مراكز لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات. وقالت نوزاميلي:

"في العقد، وعدوا القرية بأنهم سيبنون منشأة فيها كمبيوترات لتستخدمها القرية، ولكن هذا لم يحدث، بدلاً من ذلك أقاموا مبنى صغيراً مكوناً من قاعة، ولكن لم تظهر أي كمبيوترات".

وكان من المفترض توفير وسائل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات للاستخدام العام بالمركز، وكانت نونتويكو حريصة على أن يتوفر لها استخدامها. إذ كانت راغبة في تعلم مهارات الكمبيوتر ، حيث رأت أنه سيزيد فرصها للحصول على وظيفة. وكانت تدرك أن فرص استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ستعزز وتطور قدراتها.

## خلاصة

في حين لا تعتبر الطاقة نفسها حاجة أساسية، إلا أنها شرط لازم لتلبية حاجات أساسية. وتفهم الحاجات الأساسية على أنها متطلبات الحد الأدنى لاستمرار الحياة، مثل تأمين الغذاء، وما يمكن توفيره من رعاية صحية، وإمكانية الحصول المياه النظيفة، والمرافق الصحية الملائمة. وتتضمن أيضا قدرة الوصول لفرص تعلم ومعلومات تسمح للأفراد والمجتمعات بالاستخدام الخلاق للسلع والخدمات الأساسية المتاحة. واتضح أن برامج الطاقة المتجددة في لوسينجويني لم تستفد بها واقعا الأسر الريفية على النحو الموصوف، أو ما كان متوقعا منها، وخاصة بالنسبة للحاجات الأساسية التي عبرت عنها النساء اللاتي تحدثنا معهن.

واتضح أيضا أن فرص استخدام تكنولوجيات المعلومات والاتصالات ليست واقعا في متناول الغالبية العظمى من الناس، مثل المشاركات في البحث. ويعوق نقص البنية التحتية والخدمات الأساسية توظيف تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. كما يعوق نقص مصادر الطاقة الكافية والملائمة والموثوق في إمكانية الاعتماد عليها، فرص الوصول إلى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات واستخدامها. إذ يحتاج الكمبيوتر إلى تيار كهربائي لتشغيله، والشئ نفسه بالنسبة للتلفزيون والإنترنت. ومع مستويات توصيل الكهرباء الحالية في أفريقيا، لن يكون هناك سوى احتمال محدود أن تلعب تكنولوجيا المعلومات والاتصالات دوراً في التنمية المستدامة.



## المراجع

- Buskens, I. (2005a) 'The free attitude interview manual', GRACE Methodology Workshop, 9-21 July, Khaya Lembali, Durban, [www.GRACE-Network.net](http://www.GRACE-Network.net).
- (2005b) 'Transformational attitude interview', GRACE Methodology Workshop, 9-21 July, Khaya Lembali, Durban, [www.GRACE-Network.net](http://www.GRACE-Network.net).
- Clancy, J. and B. Khamati-Njenga (2005) 'Concepts and issues in gender and energy', *Energia* in cooperation with ETC Netherlands, pp. 1-78.
- Eade, D. (1997) *Capacity Building: An Approach to People-centred Development*, Oxfam.
- Earl, S., F. Carden and T. Smutylo (2001) *Outcome Mapping: Building Learning and Reflection into Development Programs*, Ottawa: International Research Centre.
- Development Gurus, A. (2004) 'Gender and ICTs: overview report', Brighton: IDS.
- Hill, M. (2003) 'Development as empowerment', *Feminist Economics*, 9: 117-35.
- IEA (International Energy Agency) (2006) 'World energy outlook 2006', Paris: IEA/OECD.
- ITDG (2005) 'Energising poverty reduction in Africa: Europe's chance to help light up Africa', Practical Action.
- Mbilinyi, M. (1992) 'Research methodologies in gender issues', in R. Meena (ed.), *Gender Theoretical Issues*, Harare: SAPES, pp. 31-70.
- Villavicencio, A. (2002) 'Sustainable energy development: the case of photovoltaic home systems', Discussion paper, Roskilde: UNEP/Risoe.
- World Bank (2004) 'Engendering information and communication technologies: challenges and opportunities for gender-equitable development', Washington, DC: Gender and Development Group and Global Information and Communication Technologies Departments, World Bank, [www.worldbank.org/gender/digitaldivide/ict\\_brochure.pdf](http://www.worldbank.org/gender/digitaldivide/ict_brochure.pdf), accessed August 2008



## الفصل الرابع

### استخدام الريفيات التليفون المحمول

#### لتلبية الحاجة إلى الاتصال

#### دراسة حالة من شمال نيجيريا

كانزانكا كومفورت، وجون دادا

هذا الفصل محاولة للتعرف على مدى استخدام نساء شمال نيجيريا للتليفون المحمول لتلبية الحاجة للاتصال لديهن. يحمل اتجاه العالم إلى تطوير تكنولوجيا التليفون المحمول ضمن ما يحمل، مزايا مختلطة فيما يتعلق بتمكين النساء. ويسهم استخدامها في اندماج بنية الأسرة القائمة حاليا وتفتتها في الوقت نفسه. ويهدف هذا البحث إلى الوقوف على التحديات التي تواجه ريفيات شمال نيجيريا والفوائد التي تعود عليهن، إذا قررن استخدام التليفون المحمول. وستساعد هذه النظرة المركزة أيضا على التعمق في مدى تأثير نقص فرصهن في الحصول على تليفون محمول على أسلوب تلبية النساء حاجاتهن للاتصال.

يمكن بسهولة ملاحظة وجود تفاوت نوع اجتماعي في ملكية التليفونات المحمولة، وفرص الحصول عليها واستخدامها. ويركز هذا البحث بالكامل على هذه النقطة، لأنها تساعد في تحديد مدى مساهمة نساء هذا الجزء من نيجيريا في "الانتشار الكبير" للتليفون المحمول الذي راج استخدامه في البلاد بشدة.

النساء اللاتي يعشن في المناطق الريفية، المحرومة بشكل خاص أكثر من غيرها من التعامل مع العالم الرقمي، فتواجه النساء عقبات مزدوجة متعلقة بالنوع الاجتماعي، والموقع الجغرافي على السواء. ويأتى نورهن في أكثر الحالات في نهاية سلسلة استهلاك تكنولوجيا المعلومات (Mulama 2007). وتضع أعباء إدارة أسرة معيشية ريفية حملاً ثقيلاً من العمل اليومي على كاهل النساء، ولا تترك لهن تقريبا وقت فراغ حتى يتعرفن على أشكال التكنولوجيا الحديثة.

في نيجيريا، تمثل النساء غالبية فقراء الريف (تصل نسبتهن إلى 70٪)، ويلعبن دوراً أساسياً في إستراتيجيات البقاء داخل الأسرة المعيشية. هذا بينما تشغل نيجيريا الترتيب ١٢٩ من بين ١٥٧ دولة في مؤشر الفقر البشري؛ وتأتى في الترتيب ٨٠ من بين ١٠٨ دول نامية. وتشغل أيضا الترتيب ١٢٩ من ١٥٧ دولة وفقاً لمؤشر النوع الاجتماعي (UNDP 2007). ورغم أن النيجيريات يعملن بالزراعة المعيشية، ويشاركن بالكامل في الإنتاج الزراعي والحصاد والتخزين والتسويق، فإن مكافئ قوتهن الشرائية ما زال عند ٦٥٢ دولاراً، بينما يبلغ المكافئ بالنسبة للرجال ١٥٩٢ دولار (ibid).

وقد لوحظ بوضوح، وجود دور محفز لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات في تشجيع التنمية لدى شعوب العالم الفقيرة والمهمشة (SDC 2005). على سبيل المثال، شعرت النساء في قطاع النسيج الينوي في جنوب نيجيريا أن التليفونات المحمولة سهلت أعمالهن التجارية (Jagun et al. 2007). واستفادت النساء بشكل أساسي من خطوط المساعدة الريفية للمعلومات في بنجلاديش، سواء كمقدمات للخدمة أو مستفيدات منها (Raihan 2007). ورغم هذا ففي الريف النيجيري، كانت تكنولوجيا المعلومات والاتصالات تستلزم التمتع بمكانة اجتماعية، ومن ثم اتجهت إلى تأكيد التفاوت النوعي القائم. على سبيل المثال، ظل جهاز الراديو الترانزستور لوقت طويل رمزاً للمكانة بالنسبة للرجل الريفي، وكان عادة يشتري البطاريات لجهازه على حساب الأشياء الضرورية للأسرة المعيشية. وتكرر الموقف نفسه، بالنسبة للملكية الرجال للتليفون المحمول واستخدامهم له.

وتعنى مسئوليات النساء الخاصة تجاه الأطفال والمسنين أنهن لا يستطعن الهجرة بالمثل إلى المراكز والمدن بالسهولة التي يستطيع الرجال أن يفعلوا بها ذلك؛ وحيث فرص تعلم أشكال التكنولوجيا الجديدة متاحة فعليا.

ولهذا، سرعان ما تصبح تكنولوجيا المعلومات والاتصالات علامة إضافية على الفجوة النوعية بين الرجال والنساء، حيث تكون فرص حصول النساء على مصادر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وفرص استخدامها محدودة. (Wakunuma 2006; Mulama 2007).

### خلفية البحث

شهدت نيجيريا نمواً كبيراً في عدد الاشتراكات في خطوط التليفون المحمول من ٢٥ ألف خط تليفوني في مايو ٢٠٠٠ إلى ٤٥٥٢٦٢٢١ خطأ في ٢٠٠٧، كما أصبح في نيجيريا ٨ ملايين مستخدم للإنترنت في سبتمبر ٢٠٠٧، أي ما نسبته ٩,٥٪ من السكان (Internet World Stats n.d.). ورغم هذا، لا توجد بيانات مصنفة على أساس النوع والريف والحضر، لتعكس الزيادة البطيئة في المناطق الريفية، أو فرص حصول النساء على هذه الأجهزة. ولقد حدث هذا النمو الضخم، رغم ارتفاع تكاليف التليفونات المحمولة؛ إذ تتكلف في المتوسط ٦٠٠ دولار أمريكي في العام، أي ما يساوي تقريباً ضعف نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي.

وفي نيجيريا، يعيش ١٤٠ مليون نسمة، أكثر من ٧٠٪ من السكان، في المجتمعات المحلية بالريف، حيث لا توجد تليفونات أرضية، ولا حتى كهرباء أيضاً. ونظراً للتكلفة المنخفضة لمحطات التليفونات المحمولة الأساسية، وامتداد نطاق تغطيتها، أصبحت مناطق ريفية عديدة تستقبل تغطية الشبكة بدرجة أو أخرى. وبسبب هذه التغطية غير المقصودة، توفرت إمكانات الاتصال بادئ الأمر في قريتين بمنطقة كافنشان. وفي نهاية ٢٠٠٥، بنيت محطتان أساسيتان في كافنشان بواسطة شركتين متخصصتين

فى تقديم خدمة التليفون المحمول، سيلتل وام تى إن. ونتجت عن ذلك زيادة كبيرة مفاجئة فى عدد المستخدمين للتليفون المحمول.

وعلى عكس ذلك، ورغمما من الجهود التى تبذل منذ خمس سنوات لتنشيط التليفونات الأرضية، فإنها لم تسفر عن شىء. ومع توفر الخطوط الأرضية عند هذه التكلفة، فالاحتمال الأكبر استخدامها فقط فى الإدارات الحكومية ومنازل المواطنين من الطبقة العليا والمتوسطة، بينما تتاح فرص الاستخدام العمومية بصورة غير منتظمة فى مواقع بعينها. وبالنسبة لبعض النساء اللاتى شاركن فى هذا البحث، كانت كل خبرتهن بالتليفون الأرضى، أنهن شاهدنه ولكنهن لم يشاهدنه أبداً أثناء استخدامه. وهكذا نشأت عن غياب خطوط التليفون الأرضية فى معظم أجزاء نيجيريا، فجوة ضخمة، ملأتها التليفونات المحمولة.

وجزئياً، قد يعود نمو التليفونات المحمولة الاستثنائى، إلى الثقافة الشفاهية القوية فى نيجيريا، والمستوى المنخفض لمعرفة القراءة والكتابة لدى السكان، مصحوباً بعدم تحول كثير من اللغات النيجيرية إلى صيغة رقمية بعد (Gardener 1994; UNICEF 2005). وتعمل مؤسسة فانتسوام على إنتاج أجهزة محلية تستخدم خمس لغات لأقليات من منطقة كافنشان، لجعلها متاحة فى صيغة رقمية. وسيؤدى ذلك إلى أن تصبح هذه اللغات أيضاً قابلة للاستخدام فى الرسائل النصية.

واكتشف أن استخدام التليفونات المحمولة لإرسال رسائل نصية، يكون "أسهل وأرخص وأكثر انتشاراً، ويمكن من خلالها وصول المعلومات السرية أو التى تحتاج إلى شىء من التكتم، وخاصة فى المناطق الريفية من جنوب أفريقيا التى ما زالت وصمة مرض الإيدز تشكل عقبة أمام الإفصاح عن الإصابة به" (6: Shackleton 2007). وعند التعامل مع السكان الذين تنخفض لديهم نسبة معرفة القراءة والكتابة، وفى حالة عدم تحويل لغتهم الأصلية إلى صيغة رقمية، يتعذر استخدام هذه الوسيلة رغم أنها فى متناول الجميع.

## منهج البحث

أجرت مؤسسة فانتنسوام هذا البحث في كافنشان بنيجيريا. وهي تعمل على تشجيع خدمة التمويل متناهي الصغر للفلاحات الريفيات الشريكات في هذا المشروع. وتكون فريق البحث من بعض العاملين في مجال التمويل متناهي الصغر، ومدربين على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من أكاديمية فانتنسوام.

وأعدت قائمة قصيرة من المشاركات، أدرجت فيها المتعاملات مع برامج مؤسسة فانتنسوم للإقراض متناه الصغر اللاتي وضع لهن مشروع البحث، ومن يقمن في المجتمعات المحلية الأسهل في الوصول إليها بالطرق البرية فترة الدراسة، واللاتي أبدین اهتماماً بالموضوع. وعلى هذا النحو كانت المشاركات من ١٣ مجتمع محلياً؛ زيكاك، وأونجوا، ماسارا، ويايانلوكو، جاراجي ٢، فادان كاجورو، وكيونياي، وأونجوا ريمي، وشينشوك، وزاكوا، ويانتاو، وأوريري، وكاتسيت، وزوموتتا. وكان إجمالي عدد المشاركات ١٦٠.

واستخدمت في المشروع الأساليب البحثية التالية: جلسات بدعوات غير مرتبة (free call sessions)، وجمع المعلومات الأساسية، والمناقشات الجماعية المركزة، والمقابلات نصف المهيكلة، والانعكاس الذاتي، واستبيان. واختيرت أساليب البحث الكيفية هذه لضمان التغطية الكافية لخبرة المشاركات وتفهمها وتوثيقها. وعملنا وفق طريقة الأساليب المتعددة في التناول لتحسين مصداقية النتائج وتوفير فرص لنظرة من الأبعاد الثلاثة. وطبق الجزء الأساسي من البحث في الأماكن التي لغة سكانها المحلية الهوسا أساساً. وساعد هذا على البناء السريع للاتصال، وأعطى قيمة أكبر للديناميكية الجماعية، والاتصالات غير اللفظية.

### النتائج: التليفونات المحمولة توفر مزايا مختلطة

بسبب نقص خطوط التليفونات الأرضية في المجتمعات المحلية التي خضعت للدراسة، أصبح وصول خدمة التليفونات المحمولة تطوراً مرغوباً فيه ومحموداً. وأشارت مجموعات مختلفة من النساء اللاتي قابلناهن إلى مزايا مباشرة، وخاصة إلى مدى

مساعدته لهن في أداء الاتصالات التي يحتجن لها. ورغم هذا فخلال تقدم البحث، ظهرت مسائل وملاحظات خفضت التقدير الأولى الكبير لقيمة التليفونات المحمولة الإيجابية. واتضح تدريجياً أن التليفونات المحمولة حققت بالفعل خليطاً من التأثيرات على المشاركات معنا في البحث.

## الاتصال الفوري

عرفت المجتمعات الريفية التي خضعت للدراسة، مستوى مرتفعاً من المرض والوفيات، نتيجة لانتشار مرض الإيدز. وكانت التليفونات المحمولة توفر لهم وسائل فعلية وسريعة لإبلاغ الأقارب المقيمين في أماكن بعيدة، وتخفيف القلق بخصوص ترتيبات الدفن والشئون المرتبطة بذلك.

## تكلفة تشغيل التليفونات المحمولة باهظة

نظام الرسوم الخاصة بشبكة التليفونات المحمولة من الأنظمة الاستغلالية للغاية. ونظراً لضعف إشارة التغطية في بعض المناطق، ربما يخسر المستخدمون مبلغاً كبيراً في محاولات التقاط الاتصال. وعليهم أن يشحنوا التليفون بالرصيد حتى مع فشل إجراء الاتصال. بالإضافة إلى ذلك، عندما أدخل التليفون المحمول لأول مرة، كانت فترة صلاحية كروت الشحن ١٥ يوماً فقط؛ إذا لم يستخدم الكرت خلال تلك الفترة تنتهي صلاحية الاستخدام، ويصبح من الضروري الشحن مرة أخرى بواسطة كارت جديد. وعندما يكون على امرأة ما إنفاق آخر نايرة معها لإجراء مكاملة لأقاربها في مكان بعيد لطلب مساعدة، وعندما لا تستطيع الوصول برسالتها إلى الطرف الآخر بسبب ضعف تغطية GSM (النظام العالمي/القياسي للتليفون المحمول)، فإنها تشعر أنها خدعت، لأن عليها دفع مقابل مكاملة لم تجرها.



وترى معظم النساء الرسوم باعتبارها بيت الداء. وبالنسبة للقادرات على نقل تكلفة مثل تلك الرسوم، إلى زبائنهن أو أقاربهن البعيدين، تكون بمثابة تكلفة ضرورية. ولا ينظر نظام التسعير لدى بعض مقدمى الخدمة، فى واقع أن بعض المكالمات لا تصل إلى الأقارب فى الطرف الآخر البعيد. وكل هذا معناه بالنسبة "هاجو"، وهى إحدى المشاركات فى المشروع، دفع التكلفة الكاملة للمكالمات الفاشلة، حتى ولو كانت قد اقترضت لتستطيع إجراء تلك المكاملة. وهذا يجعل التكلفة اللازمة لمكالماتها أكثر مما تستحق: "هل يجوز الاقتراض لدفع ثمن مكاملة تليفون مع ابنى، حتى يرسل لى مبلغاً من المال، ثم لا تنجح المكاملة فى الاتصال به، ويبقى على شحن رصيد لإجراء مكاملة أخرى، قد لا تنجح أيضاً".

فى بعض الأحيان، يؤدى ضعف كفاءة خدمات التليفونات المحمولة إلى إحجام الناس عن استخدامها. ويحدث أن تتوقف الخدمة المقدمة من شركات التليفون المحمول نهائياً، أو يكون الاستقبال رديئاً جداً لعدة أيام، دون تقديم شرح أو اعتذار للمستخدمين. وخلال فترات الخدمة الضعيفة، (يتسبب الاستقبال الضعيف لإشارة النظام العالمى القياسى للتليفون المحمول، إلى جودة منخفضة للصوت) يستمر خصم وحدات من رصيد كروت الشحن، مما يضاعف خسارة المستخدم.

### امتلاك تلك التليفونات المحمولة مكلف أيضاً

ركزت المشاركات فى مشروع البحث، على عدم قدرتهن على تحمل تكلفة التليفون المحمول أساساً. ولم تنجح محاولتهن تكوين مجموعات فيما بينهن، باشتراك ست أو سبع منهن معا فى تليفون واحد بسبب وجود عقبات أنهت المحاولة. ورغم أن نساء فى مجتمعات محلية أخرى، مثل كوى وكاجورو وزونكوا، يستطعن تحمل تكلفة تليفون محمول خاص لكل منهن فإن تغطية إشارة نظام التليفون المحمول (GSM) لم تكن متوفرة هناك. إذ لم تكن الشركات الكبرى لخدمة التليفون المحمول قدمت خدماتها بعد إلى تلك المجتمعات وقت إجراء الدراسة. ويوضح هذا مرة أخرى أن نيجيريا سوق سريعة النمو للتليفون المحمول: فمن لحظة لأخرى يزداد الطلب على العرض كثيراً.

وكانت لدى النساء فى أماكن مثل زيكاك وأونجوا ريمى وأوريرى وشيشوك فرص للحصول على الخدمة، وقدرة على تحمل رسوم الاستخدام، وصار التليفون المحمول بالنسبة لهن أداة حيوية لقضاء حاجاتهن اليومية للاتصال سواء بالأسرة، أو لأغراض تجارية.

لاحظنا أن مجموعات النساء اللاتي لديهن فرص للوصول إلى الشبكات فعلياً، واللاتي لديهن القدرة على استخدام التليفونات المحمولة لأداء حاجاتهن فى الاتصال، كن جميعاً من المجتمعات المحلية فى المناطق شبه الحضرية، حيث تتوفر فرص لتوليد الدخل. ومن ثم كان لدى تلك النساء مستوى أعلى من الدخل المتاح.

ولا بد أن نفهم مسألة قدرة الحصول على تليفون محمول فى سياق ميزانيات أسر النساء المعيشية. ورغم أن دراستنا لم تتطرق لبحث أنماط توزيع ميزانية الأسرة المعيشية، فإن دراسة بانيرجى ودفولو (Banerjee and Duflo, 2006) حول أنماط استهلاك الفقراء فى ١٦ دولة، كشفت عن أن قدرأ كبيراً من الميزانية ينفق على بنود غير الغذاء، مثل المشروبات الكحولية والكرنفالات. وكانت الاحتفالات سمة معتادة فى حياة المجتمعات المحلية فى دراستنا، ومن بين حاجات الاتصال التى رصدناها، تحويل نقود من أجل إقامة هذه الاحتفالات أو المشاركة فى مثل تلك الاحتفالات.

وفرت الجلسات التفاعلية (interactive sessions) عبر النقاشات الجماعية المركزة، فرصة لحصول المشاركات على معلومات مفيدة فى مجال كسبهن عيشهن. وحينما كن يطلبن استيضاح أمر، يبدأن دائماً بعبارة "هل بالفعل...؟"، وكان الأمر عادة يتعلق بمسألة سمعن عنها بشكل عابر، سواء أثناء المناقشات التى كان أزواجهن يتداولونها، أو من مصادر أخرى. وكان هناك استفهام طريف حول مسألة التغيير المناخى؛ أرادت إحدى النساء معرفة مدى صحة ارتباط هطول الأمطار وتوقفها مبكراً بالقضاء على الغابات بسبب أنشطة التعدين غير القانونية. ويوضح هذا السؤال تأثير الظاهرة العالمية على كسب الفلاحة لعيشها. ويشير أيضاً إلى أنه إذا كانت التليفونات المحمولة قد تفى بحاجات النساء للاتصال، فإنها لا تفى بحاجاتهن للمعلومات.

## ميزانية الأسرة المعيشية وعلاقتها بكروت شحن التليفون

اشتكت بعض النساء لفريق البحث من أن أزواجهن يلجأون إلى إنفاق المال على شراء كروت شحن لتليفوناتهم، ولا يوجهونها إلى نفقات الأسرة المعيشية. إذ أصبح الآن لدخل الأسرة الهزيل منافس قوى، هو حاجة شراء كروت الشحن للتليفون المحمول.

وفى الحقيقة، فإن أسعار الاستخدام الحالية باهظة، ويلعب هذا الارتفاع فى السعر دوراً متفاوتاً فى تفاقم الصعوبات الاقتصادية ومشاكل السلطة داخل الأسرة المعيشية. ويأتى الاتهام باستخدام دخل الأسرة الضئيل فى دفع ثمن مكالمات من كلا الزوجين، رغم أن ما سمعناه كان من طرف النساء، حيث نجري بحثنا معهن. ولكن إشارات بعضهن إلى بعض صديقاتهن اللاتي ربما تقترب أولوياتهن فى الإنفاق من أولويات الرجال فيما يتعلق باستخدام أموال الأسرة المخدودة فى المكالمات.

## قد يعمل التليفون فى حدود ضيقة على تعزيز الإحساس بالسيطرة

يؤدى التفسير الدينى المحلى الذى يلزم النساء بالاحتجاب، إلى وجود قيود على "الفضاء المقبول" لوجود النساء؛ على سبيل المثال، يتوجب على بعض المسلمات الراغبات فى صفقات تجارية معينة الاستعانة بطرف ثالث. والآن، مع إتاحة فرصة الحصول على تليفون محمول، أصبح بإمكانهن الاتصال مباشرة مع شركائهن فى التجارة، دون حاجة إلى التحايل على وضع احتجابهن: "مع هذا الجهاز الذى فى حجم قبضة اليد، أكون أقل اعتماداً على أطراف ثالثة فى عملى بالتجارة، إذ أستطيع التحدث مباشرة مع عملائي".

## اتصالات يفضل إجراؤها وجهاً لوجه

توفر التليفونات المحمولة طريقة اتصال أقل تكلفة للمحافظة بالأقارب المقيمين في أماكن بعيدة، مقارنة بالسفر لرؤيتهم. ومع ذلك، ففي شبكة العلاقات الوثيقة، حيث يفضل الاتصال وجهاً لوجه، يبدو التليفون المحمول متعارضاً مع الحميمية. وعبرت إحدى المشاركات عن هذا فقالت: "أستطيع سماع صوته جيداً، ولكن أشعر أنى بحاجة إلى رؤية وجهه لأتأكد أنه يفهم ما أقول. يبدو وكأن هذا الشيء المحمول يزيد المسافة التي تبعده عن وطنه".

ويزداد عمق الشعور بذلك "البعد" والإحساس بالعزلة عندما يكون الصوت رديئاً تماماً (كما هي العادة) أو عندما لا تكون الكلمات ناجحة. "كل مرة بعد التحدث مع ابني في التليفون المحمول، وهو يعيش في المملكة المتحدة، أشعر أن هناك شيئاً مفقوداً في محادثتنا". وسرعان ما تفتقد هذه المشاركة الشعور بالراحة مع بداية حديثها مع قريبها، وهو ابنها المغترب: "لأن التحدث مع شخص لا تراه لا يجعلك تشعر أن المحادثة جيدة".

استبدال اتصالات تتم في العادة وجهاً لوجه بالمكالمات التليفونية، قد لا يتلاءم مع الثقافة التي تؤمن بأن "الحديث يكون في الوجه" كما يعبر الماثور النيجيرى عن أفضلية الاتصال وجهاً لوجه عن الاتصال الصوتى الذى يوفره التليفون المحمول. ومع ذلك، يودى تراخى الروابط العائلية التقليدية الحميمة تدريجياً، مع سعى الأفراد وراء عائد اقتصادى بعيداً عن وطنهم، إلى أن يصبح التليفون المحمول الخيار "الأفضل من لا شيء".

تعرف مجموعات النساء التي شاركت في الدراسة عموماً القيمة الاقتصادية للاتصال الأسرع في التعاملات التجارية عبر استخدام التليفون المحمول والتحويلات المالية، مع تقليل الوقت واختصار المسافات عن طريق التكنولوجيا. لكن تلك التكنولوجيا تسبب قلقاً لدى مجموعة نساء شينشوك، بقدر ما تستبدل العلاقات المباشرة

داخل نظام الأسرة الممتدة. كن قلقات من التأثير السلبي لاستمرار استخدام التليفون المحمول على الروابط الحميمة للأسرة الممتدة التي تعمل باعتبارها شبكة أمان ومصدراً لتبادل المساعدات.

بينما يمكن للتليفون المحافظة على استمرار العلاقات بتكلفة أقل، فإن المكالمات التليفونية (وخاصة عندما يصاحب إجراءها حرص شديد على مقدار تكلفتها) تكون غير مرضية عاطفياً. وقالت إحدى السيدات أنها لا يمكنها إجراء محادثة شافية، في حدود المبالغ المالية التي تستطيع تحمل إنفاقها على المكالمات. وبالنسبة لشعب لديه مثل هذه الثقافة الشفهية القوية، فإن محادثة مرضية لا بد أن تستغرق وقتاً أطول. ويعمل الشعور الذي تسفر عنه العزلة في عكس اتجاه تمكين هؤلاء النساء.

ومن ثم، فالتكنولوجيا التي بها إمكانية هائلة للتمكين الاقتصادي، مثل حالة المسلمات اللاتي لهن شركاء في التجارة، يحتمل أن يكون لها أيضاً تأثير عاطفي يحدث اضطراباً. وربما كان تأثير العزلة الناتج عن هذه التكنولوجيا بارزاً في المجتمعات ذات العلاقات الحميمة، حيث يعتبر الاعتماد المتبادل وسيلة للبقاء المشترك. وإذا اعتبرنا النساء، الرابطة التي تحافظ على سلامة كثير من المجتمعات الريفية، فلا بد أن ينظر إلى تأثير هذه التكنولوجيا على شعورهن بالتقدير لذاتهن وأدميتهن.

### استخدام كروت الشحن باعتبارها تحويلات نقدية

يتزايد استخدام التليفونات المحمولة في إرسال مقادير صغيرة من المال إلى الأصدقاء والأقارب. وتستخدمها بعض المشاركات لإرسال نقود المصروف الشخصي ونفقات السفر إلى أولادهن الملتحقين بمدارس بعيدة عن وطنهم، حيث يشترين شحناً على الهواء ويرسلنه إلى شفرة، يمكن من خلالها تحويله إلى نقد في أحد أكشاك التليفونات المحمولة على جوانب الطريق.

اكتشف بائعو السيارات المستعملة من قبل إمكانات استخدام نظام تحويل النقود عبر التليفون المحمول من أجل توسيع نطاق الشراء، فهم يفضلون تجنب حمل مبالغ

مالية كبيرة معهم. ويبدو أن لجوء مجتمع، مثل ريف نيجيريا، إلى عدم التعامل النقدي، نتيجة غير مقصودة وغير متوقعة من هذه التكنولوجيا.

## أكشاك التليفونات فى الشوارع تحقق مكاسب فائقة

وأصبحت التجارة فى توفير خدمة التليفون المحمول، مصدراً مفيداً لتوليد الدخل بالنسبة للمشاركات اللاتى مارسنها. وكن يتقاضين عمولة أيضاً فى مقابل التحويلات النقدية التى ترسل عبر التليفون المحمول.

ومثلت امرأة تدعى أساس (Assas)، نموذجاً للنساء اللاتى بدأن فى تقديم خدمة التليفون المحمول لزيادة دخلهن، وحددت نوع التليفونات الذى ستستخدمه فى أنشطة مركزها للاتصالات التليفونية. ويمكن التعرف على مبادرة أساس التجارية من عرضها مكالمات مجانية على المشاركات فى بداية هذا البحث. فكان تقديمها التليفون للنساء على هذا النحو ليجرين مكالمتهن، يعنى أنها توفر لهن إمكانية الاتصال. ونود التأكيد على أن المهم فى المشروع ليس قابلية الحركة فى التليفون، بل كيف يؤثر إمكان توفير المكالمات أيا كان التليفون. ويظهر هذا بوضوح عندما سمعت أساس أن منافستها وقعت عقداً للحصول على خط أرضى من الخطوط التى كانت مطروحة فى الفترة الأخيرة. فجات إلى مؤسسة فانتسام (Fantsuam Foundation) للتفاوض على قرض جديد حتى تستطيع هى الأخرى التسجيل فى هذه الخدمة الثابتة. وقد خسرت بالفعل عدداً من زبائنها الذين انصرفوا لمنافستها، لأنها وعدت بعرض مكالمات أرخص عبر اتفاق الامتياز الجديد.

كانت أساس تكسب ما يعول أسرتها، إذ ترعى خمسة أطفال فضلاً عن والديها. وذلك من خلال نشاط مركزها للاتصالات التليفونية، بالإضافة إلى وظيفتها أثناء النهار كمعلمة فى مقدمة القواعد الأساسية للكمبيوتر. ومن ناحية أخرى، كانت صافية تقطع رحلة شاقة طولها ١٥ كيلو متراً، فوق دراجة نارية تستأجرها، من قرينتها إلى كشك التليفون على الطريق السريع، لتستخدم التليفون وتتمكن من إجراء المكالمات وتلقيها.

وكانت تحتاج لجعل تلك المكالمات جزءا من وظيفة ثانوية، تكمل لها دخلها من عملها اليدوى فى الزراعة. ومثلت تكلفة السفر والوقت الذى يستغرق، واحتمالات أن يكون الصوت ضعيفا لضعف لاستقبال الإشارة فى الكشك بالشارع، إلى زيادة العبء على ما تتكلفه صفة لتلبية حاجاتها للاتصال.

### رخصية، لكن استخدامها غير متاح: الرسائل النصية

لا تستخدم المشاركات خاصة الرسائل النصية القصيرة تقريبا، رغم أنهم إذا استخدموها ستصبح تكلفة التليفون فى حدود استطاعتهم. ويرجع ذلك لقلة معرفتهم بالقراءة والكتابة، إلى جانب تفضيل الاتصال الشفهى كما تقتضى الثقافة السائدة. ويضاعف استخدام تلك المجتمعات لأكثر من لغة، تعقيد قضية معرفة القراءة والكتابة. ففى حين تستخدم لغة الهوسا فى التعاملات الاقتصادية الخارجية واليومية فى أغلب الأحوال، كانت غالبية النساء يستخدمن لغاتهن الخاصة، مثل لغة جو أو إتياب أو جوروك أو فانتسوام، فى حديثهن مع أفراد أسرهن والأصدقاء. وعلى هذا، فبينما توفر لهن التليفونات المحمولة فرصة التحدث بلغاتهن الأصلية، كانت الرسائل النصية تتطلب معرفة القراءة والكتابة سواء بلغة الهوسا.

وهكذا، يؤدى امتلاك جهاز التليفون المحمول فقط، دون تزويده بخيار الرسائل النصية القصيرة باللغات الأصلية، إلى بقاء هذه التكنولوجيا بدرجة كبيرة، بعيدة عن المتناول، ومكلفة بسبب أمية الريفيات فى شمال نيجيريا.

### الخاتمة

ركز سؤال البحث على أسلوب ريفيات شمال نيجيريا فى جعل التليفون المحمول مليبا لحاجاتهن فى الاتصال. وجدنا أن الاتجاه العالمى لتطور تكنولوجيا التليفون المحمول، يخلق احتمالات مختلطة فيما يتعلق بتمكين النساء، إذ يؤدى إلى آثار تدمجهن، وأخرى تهمشهن فى بنية الأسرة.

## أثبت البحث أن:

- يمكن للتليفون المحمول تغطية الاتصالات التي لا يغطيها تليفون الخط الأرضي.  
- تحتاج ملكية التليفون المحمول واستخدامه إلى تكاليف مرتفعة، الأمر الذي يعوق إمكانات استخدامه.

- لم تتمكن معظم المشاركات في البحث فعلياً من استخدام الرسائل النصية القصيرة، رغم أنها خاصة تقلل تكلفة التليفون المحمول، لأنها رخيصة.

- يمكن أن تتسبب تلك التكنولوجيا في نزاعات عائلية عندما ينفق أحد الزوجين نقوداً على اتصالاته بالتليفون المحمول، رغم وجود احتياجات للأسرة المعيشية أكثر إلحاحاً منها.

- يمكن أن تحقق فرصة استخدام التليفون المحمول تمكينا اقتصاديا للنساء.

- يمكنها أيضاً إضعاف الروابط في العلاقات التقليدية الحميمة بين الأقارب عندما تحل المكالمات التليفونية مكان الاتصال المباشر وجهاً لوجه.

كانت لطبيعة البحث الكيفية - المقابلات المركزة، والانعكاسات التي تثيرها الردود المسجلة، وتضمنين استجابات النساء العاطفية - أهمية في لفت انتباهنا (فريق البحث) إلى قضايا متنوعة، وفي رؤية الأشياء في ضوء جديد. إذ يتم التعامل مع الصراع اليومي مجرد توفير ضرورات الحياة كقضية مسلمة: يدخل الناس جميعاً هذا الصراع لأنه الأسلوب الوحيد الذي عاشوا به دائماً. تدمج في الروتين اليومي للصراعات المتنوعة، تحديات تضاف نتيجة لوجود إمكانية أو عدم وجود إمكانية استخدام التليفون المحمول. وأدت عمليات منهج البحث الكيفي إلى تمكين أفراد الفريق من العودة إلى الوراء قليلاً، وبحث طبقة إضافية من الصراع اليومي، أنت في صورة جهاز يسمى التليفون المحمول.

كيف يجعل هذا الجهاز الحياة أسهل، ولماذا؟ وكيف ينتهي الأمر إلى أن يصبح في بعض الحالات عبئاً إضافياً؟ رأينا أن التليفون المحمول، الذي ينقل تحويلات النقود



بين الأصدقاء والأسر في المراكز الحضرية بطريقة أسهل، لا يمكن التوصل إلى استخدامه بسرعة، أو يكون متاحاً فقط عند تكلفة باهظة، وليست كل الآثار المنعكسة عنه إيجابية.

وفيما يتعلق بالتكلفة، لا تدخل بعض شركات تقديم الخدمة في حساباتها تكلفة المكالمات التي لم تنجح في فتح الاتصال مع أصحاب الأرقام المطلوبة. وربما يرجع هذا إلى برامج التحميل التي لا تفرق بين المكالمات الناجحة التي لم تتم، وسيطلب ذلك مراجعة مقدمي الخدمة نظامهم في إصدار الفواتير.

ولا توجد جماعة ضغط محلية لمواجهة ممارسات مقدمي الخدمة الاستغلاليين، فيما يتعلق بالاستقبال والرسوم المطلوبة. وطلب قاض بإحدى المحاكم أخيراً من مقدمي الخدمة رد المال إلى المستهلكين، طالما لم يستنفد في مكالمات بعد أربعة أشهر من الحكم. وكما ذكرت حركة شئون المستهلك في نيجيريا **Consumer Affairs Movement of Nigeria (CAMON)** "ما يتم الآن في نيجيريا بالنسبة لخدمات النظام العالمي القياسي للتليفون المحمول، أن مقدمي الخدمات في النظام يستغلون المستهلكين الأضعف" (٢٠٠٤: ٢).

أيدت نتائج بحثنا ما وصلت إليه مولاما (Mulama, 2007: 5) من نيروبي بكينيا، إذ لاحظت أن "المنافع التي تعود من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات محدودة إلى جداً في المدن والمراكز الريفية، حيث تفتقر معظم المناطق الريفية للبنية التحتية والتجهيزات والمهارات اللازمة لاستفادة الاتصالات من تلك التكنولوجيات بصورة كاملة". عملت التليفونات على زيادة التوقعات في تلبية الحاجات، ولكن قلة الإمكانيات التي تلائم الوصول إلى الخدمة جعلت تحقيق تلك التوقعات شديد الصعوبة.

جاءت نيجيريا في الترتيب ٩٤ في مؤشر فجوة النوع الاجتماعي في عام ٢٠٠٦ (Hausmann et al. 2006: 17). ورغم أن تصنيف المؤشر كان معتمداً على أربعة مجالات فقط، (المشاركة الاقتصادية والفرص المتاحة، وتحقيق مستويات من التعليم، والصحة

والبقاء على الحياة، والتمكين السياسى)، فإن النتائج دعمت تجارب غالبية النساء اللاتي شاركن في هذا البحث. وبالنسبة لتلك السيدات، شكلت أنوارهن ومسئولياتهن، وفقاً للسائد حول النوع الاجتماعى، عقبة أمام إمكانية وصولهن إلى المواد والفرص المتاحة عبر استخدام التليفونات المحمولة. وهذا لا يقلل تقديرنا لتأثير العوامل الثقافية الأخرى التي ربما لا ترتبط بالنوع الاجتماعى بصورة مباشرة، مثل الطريقة التي يفضلونها في توزيع ميزانيات الأسرة المعيشية النادرة، كأن يوجهن جزءاً أكبر منها إلى المهرجانات، وليس إلى تلبية الحاجة للاتصال.

أوضح البحث أن مدى استخدام الريفيات النيجيريات للتليفون المحمول فى تلبية حاجاتهن للاتصال، يكشف، إلى جانب أشياء أخرى، مدى تأثير الاتجاهات والتكنولوجيات العالمية المباشر والواضح على المستوى المحلى. وكشف البحث أيضاً عن تفضيل النساء لأنوارهن العائلية وحاجات الأسرة على رغبتهن فى استخدام لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، إذ يعتبرنها الأهم: فعندما تحتاج الأسرة للوقت أو المال، وهى الموارد التي بإمكانهن توفيرها، ستسقط النساء من حسابهن استخدام التليفون المحمول.

ورغم أن التليفون المحمول يمكن استخدامه فى توليد الدخل، ومن ثم فهو يسهم فى التمكين الاقتصادى للنساء، فإن استخدامهن له قد يضعف أيضاً اتصالاتهن التقليدية فى علاقاتهن الحميمة مع أقاربهن، عندما تستبدل المستخدمات فرص الاتصالات الحية وجها لوجه، باستخدام التليفون المحمول. ولم يتيسر للمشاركات فى البحث، استخدام خاصية الرسائل النصية القصيرة، التي تجعل تكلفة استخدام التليفون المحمول فى متناولهن، حيث لا تتوفر لهن المعرفة بالقراءة والكتابة غالباً، بالإضافة إلى انتمائهن إلى ثقافة تفضل الاتصال الشفهي.

وهكذا، أظهر بحثنا أن تكنولوجيات المعلومات والاتصالات لا تخدم تلقائياً حاجات النساء إلى الاتصال، وخاصة الريفيات. فمجرد امتلاك التليفون المحمول، دون وجود القدرة، أو توفر فرصة استخدام تكنيك متاح، مثل الرسائل النصية القصيرة، يجعل

هذه التكنولوجيا غير متيسرة بدرجة كبيرة، ومكلفة أكثر مما تطيق قدرة نساء شمال نيجيريا. وعلى هذا الأساس يقدم التليفون المحمول مجموعة مختلطة من القيم والآثار السلبية والإيجابية. ورغم أنه لا يمثل تلبية أمثل لكل حاجات الاتصال، فإنه أصبح سبيلاً إلى الحراك الاجتماعى والاقتصادى بالنسبة لبعض النساء.

وهكذا، ستكون خاتمة هذا البحث، توصية بتوفير التدريب اللازم لمجموعات النساء المختلفة على طريقة إرسال واستلام رسائل نصية قصيرة، بلغتهن المفضلة، مع الاهتمام بأن تكون الرسائل أبسط ما يمكن. وسيهدف هذا التدريب إلى تمكين حتى النساء محدودات المعرفة بالقراءة والكتابة، بداية من استخدام الرسائل النصية القصيرة، لتلبية حاجاتهن للاتصال.

وأخيراً، يحتاج التعرف على تأثير التليفون المحمول فى خلخلة العلاقات الحميمة فى المجتمعات المحلية، إلى مزيد من البحث.

## المراجع

- Banerjee, A. V. and E. Duflo (2006) *The Economic Lives of the Poor*, Cambridge, MA: Abdul Latif Jameel Poverty Action Lab, Massachusetts Institute of Technology.
- CAMON (2004) *Consumer Link*, Monthly bulletin of the Consumer Affairs Movement of Nigeria (CAMON) Centre for Consumer Protection, Competition, Trade, Environment and Sustainable Development, 1(1) July.
- Fantsuam Foundation (n.d.) [www.fantsuam.org](http://www.fantsuam.org), accessed 20 August 2008.
- Gardener, L. C. (1994) *Nigerian Literature: Oral and Written Traditions*, [www.usp.nus.edu.sg/post/nigeria/orality.html](http://www.usp.nus.edu.sg/post/nigeria/orality.html), accessed 3 October 2007.
- Hausmann, R., L. D. Tyson and S. Zahidi (2006) *The Global Gender Gap Report*, Geneva: World Economic Forum.
- Hopetun, S. D. and L. Dunn (2006) 'Mobile opportunities: poverty and telephony access in Latin America and the Caribbean', *Genderstanding Mobile Telephony. Women, Men and Their Use of the Cellular Phones in the Caribbean*, Background paper, Mona: International Development Research Centre.
- Internet World Stats (n.d.) *Usage and Population Statistics*, [www.internetworldstats.com/africa.htm#ng](http://www.internetworldstats.com/africa.htm#ng), accessed 19 August 2008.
- Jagun, A., R. Heeks and J. Whalley (2007) *Mobile Telephony and Developing Country MicroEnterprise*, Development Informatics Working Papers, IDPM, University of Manchester, [www.sed.manchester.ac.uk/idpm/research/publications/wp/d/index.htm#wp](http://www.sed.manchester.ac.uk/idpm/research/publications/wp/d/index.htm#wp), accessed 9 January 2008.
- Mangha, E. T. (2005) *ICT and the Education of the Girl Child*, Paper presented at the African Regional Preparatory Meeting, Abuja, 3–7 July.
- Mulama, J. (2007) *A Rural–Urban Digital Divide Challenges Women*, Inter Press Service, 15 February, [www.ipsnews.net/](http://www.ipsnews.net/), accessed 29 December 2008.

- Raihan, A. (2007) Livelihood Case Studies, Development Research Network, [www.pallitathya.org/en/case\\_studies/index.html](http://www.pallitathya.org/en/case_studies/index.html), accessed 27 December 2007.
- SDC (Swiss Agency for Development and Cooperation) (2005) SDC ICT4D Strategy.
- Shackleton, S.J. (2007) Women'snet. Rapid Assessment of Cell Phones for Development, Commissioned by UNICEF, Johannesburg: Newton.
- UNICEF (2005) At a Glance, Nigeria Statistics, [www.unicef.org/infoby\\_country/nigeria\\_statistics.html](http://www.unicef.org/infoby_country/nigeria_statistics.html), accessed 12 July 2007.
- UNDP (United Nations Development Programme) (2007) Human Development Report 2007/2008, Basingstoke: Palgrave Macmillan.
- Wakunuma, K. J. (2006) The Internet and Mobile Telephony: Implications for Women's Development and Empowerment in Zambia, Gender, ICTs and Development, [www.womenictenterprise.org/manworkshop.htm](http://www.womenictenterprise.org/manworkshop.htm), accessed 23 January 2008.
- Zitt . Localization Project (n.d.) zitt. [sourceforge.net/zitt.php?su=eng&ibe=2&PHPSESSID=c8e5d7d2f5d0d083f930e7a9962fe383](http://sourceforge.net/zitt.php?su=eng&ibe=2&PHPSESSID=c8e5d7d2f5d0d083f930e7a9962fe383), accessed 20 August 2008.



## الفصل الخامس

### الحرفيات المصريات يواجهن متطلبات الأسواق الحديثة بين المطرقة والسندان

ليلى حسنين

تصنع حرفيات مصريات كثيرات مشغولاتهن اليدوية، ولكنهن لا يشاركن فى عملية بيعها بعد ذلك؛ ويتلقين شريحة أرباح ضئيلة مما يدره ببيع سلعهن. ومن هنا، نشطت إحدى المنظمات المصرية فى تشجيع استخدام الإنترنت بين الجماعات محدودة الدخل فى مصر، مع التركيز بشكل خاص على النساء، وهى منظمة التنمية عبر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى العالم العربى (Information and communication technologies for development - ArabDev) لهذا الغرض، تساءلت كثيرات حول مدى قدرة المنظمة على مساعدتهن فى بيع سلعهن باستخدام الإنترنت. ورغبت النساء والمنظمات غير الحكومية الداعمة لهن، فى استكشاف هذه الطريقة كأسلوب لتحسين الدخل.

وقد نشطت الجهات المانحة والفاعليات التنموية الداعمة للأنشطة المولدة للدخل فى مصر منذ سنوات، معتمدة على المشروعات متناهية الصغر والصغيرة باعتبارها أداة لتخفيف حدة الفقر. ووفقا لهذا التوجه، يعتقد أخصائيو التنمية أن النساء يحققن مكاسب إذا ما أصبحن صاحبات مشروعات، ولكن هل نجد شروط هذا النموذج الذى توجه إليه النساء،

أن يصبحن صاحبات مشروعات، شروطاً واقعية؟ وهل امتلاك الشخص لمشروع، مهارة قابلة لأن تتعلمها معظم النساء؟ أم تغيب عن هذا التصور بعض العناصر الجوهرية اللازمة لتحقيق هذا النموذج واقعياً؟ هل يصلح النموذج لتوجيه بناء المشروعات، وتحقيق الاكتفاء الذاتى لها، وتوفير إمكانيات النجاح لها، أم أنه يحتاج توفر شروط بعينها فى السياق المحيط وأخذ العقبات التى تواجه النساء منخفضات الدخل ومحدودات التعليم فى الاعتبار، حتى يكون فاعلا (Mueller 2006; Ofreneo2006)؟

والأهم، هل توفر العولة فرصة اقتصادية للمصريات المنتجات للمشغولات اليدوية؟ وهل تمثل الأسواق العالمية موقعا حقيقيا لبيع المشغولات التى تنتجها المصريات، أم أنها تمثل واقعا عقبات أمام تلك النساء، وتزيد من التفاوتات الاجتماعية الاقتصادية التى يواجهونها؟ وكان بحثى فى إمكانية استخدام الإنترنت فى تسويق مشغولات النساء اليدوية، على أساس مأسسة التجارة الإلكترونية فى مصر التى افترضنا حينها أنها ستحدث فى السنوات المقبلة، رغم عدم تحديد الحكومة آجال دقيقة لهذا. وقد استجابت وكالة تطوير صناعة تكنولوجيا المعلومات بوضع الأنظمة الإلكترونية الضرورية للبيع والشراء على الإنترنت. وأسست أنظمة التوقيع الإلكتروني فى ٢٠٠٥، الأمر الذى عبّد الطريق أمام الاقتصاد الإلكتروني. وتعد المصادقة الإلكترونية على التوقيعات أمراً أساسيا للمعاملات المالية الإلكترونية.

وبصرف النظر عن الفائدة التى تعود على الحرفيات المصريات فى التسويق عبر الإنترنت، فإنى وجدت أن من أجريت معهن مقابلات لم يستفدن استفادة كبيرة من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. بل فى الحقيقة، بات واضحاً أن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات تمثل مجموعة جديدة من القيود والتفاوتات والحوجز التى يواجهها الحرفيون. وبدا واضحاً أيضاً، أن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لا تمثل سوى قسم محدود فقط من دائرة تسويق المشغولات اليدوية، وهناك أمور أخرى أساسية بدرجة أكبر فى عملية الإنتاج والتسويق، تحول نون تصدير المشغولات اليدوية المصرية. ويعد العائق



الأساسى أمام نجاح الحرفيات فى مشروعاتهن المتناهية الصغر، انخفاض مستوى الطلب على المشغولات المصرية فى السوق المحلى. وبالتالي، يصبح التأكيد على الأسواق المحلية للمشغولات اليدوية، حلاً أكثر واقعية بالنسبة لهن فى بناء مشروعاتهن التجارية المستقلة. وستشكل الأسواق المصرية مجالاً لاستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من أجل تسويق حلٍ قادر على الاستمرار لبعض الحرفيات المصريات.

## المنهج

قام التحليل فى هذا الفصل على أوضاع الحرفيات والمنظمات العاملة فى قطاع الحرف. ولاكتساب فهم شامل حول متطلبات التجارة على الإنترنت، قمت أيضاً باستعراض القضايا التنظيمية والمسائل المتعلقة بالنقل فى تصدير المصنوعات، وقدمت تحليلاً سريعاً حول تجارة المشغولات اليدوية على المستوى الوطنى والدولى، فى نطاق ارتباطها بقطاع صانعات المشغولات اليدوية فى مصر. وكان السؤال الرئيسى: ما إذا كانت المشغولات اليدوية المصرية - وفى حالتنا، المشغولات التى تصنعها وتسوقها إناث - قابلة للتسويق ولديها قدرة على المنافسة على المستوى العالمى، وبالتالي يمكنها تحقيق دخلاً كافياً لتغطية النفقات وتوليد أرباح. وفوق هذا، هل يؤدى استخدام الإنترنت إلى تذليل بعض القيود التجارية الموجودة، مثل احتكار وسطاء ينتزعون نسبة ضخمة من أرباح صناع المشغولات اليدوية، كما يحدث الآن؟

لم يكن فى نيتى توسيع الدراسة خارج مصر، ولكن لمقارنة الشروط الضرورية لنجاح التجارة الإلكترونية فى مشغولات المصريات اليدوية، كان من الضرورى فهم الآليات الشاملة لسوق المشغولات اليدوية. فقامت بزيارة لمعرض نيويورك للهدايا، وهو أكبر معرض دولى للمشغولات اليدوية، كمثال على السوق العالمى للحرف.

## حول الحرفيات المشاركات فى البحث

قابلت فى الفترة من ٢٠٠٥ إلى ٢٠٠٦، عشر سيدات من مناطق مختلفة بمصر. واخترت مواقع جغرافية متنوعة، حتى يمكن تجاوز مسألة تعدد الثقافات فى المجتمع. وقمت لأغراض البحث بإجراء مقابلات مع سيدات قاهريات، من المجتمع المحلى لجامعى القمامة الجافة (الزيبالين) الأقباط فى مصر القديمة، ومن سيوة وأسوان وحلوان، المنطقة الصناعية الجنوبية فى القاهرة. وبالإضافة إلى الحرفيات، أجريت مقابلات مع بعض مسئولى المنظمات غير الحكومية المرتبط نشاطها بموضوعنا، وكانت بشكل أساسى، منظمة بشاير وتعاونيات النساء التى تدعمها منظمة التعاون من أجل تنمية البلدان الناشئة COSPE (وهى فرع الوكالة الإيطالية للتعاونيات فى مصر)، وجمعية حماية البيئة APE، وجمعيات المشغولات اليدوية التى تدعمها منظمة التنمية عبر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى العالم العربى Information and Communication Technologies for Development (ArabDev).

ويجدر التنويه إلى أنه نظراً لأن غالبية المصريين مسلمون، مع وجود أقلية قبطية، فقد تضمنت مجموعة الحرفيات اللاتى قابلناهن مسلمات وقبطيات. ولم نجد فرقاً بين النساء من الديانتين فيما يخص موضوع البحث، إذ تعرضت النساء من المجتمعين لنفس الأعراف 'تقليدية الأبوية'. كما شملت المجموعة أيضاً حرفيات من النوبة وسيوة، حيث لديهن مصنوعات تقليدية وخلفيات تاريخية مختلفة.

تراوحت المؤهلات العلمية لنساء المجموعة التى قابلناها، بدءاً من التعليم الجامعى إلى شهادات محو الأمية. وتراوح عمرهن ما بين ١٨ عاماً و٥٣ عاماً. وكان بينهن متزوجات وغير متزوجات، ومتزوجات لديهن أطفال، ومنفصلات، وأخيراً، كان بعضهن يتعاون فى نفقات الأسرة المعيشية، بينما إحداهن كانت من تعول نفسها وطفلها أساساً.

## النتائج

من النادر توفر الجمع بين مهارات صنع المشغولات يدوية ومهارات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات واستخدامها. ولم تكن هناك سوى أمثلة قليلة، شاركت فيها الحرفيات بشكل مباشر في تسويق مشغولاتهن بواسطة الإنترنت في مصر. بل لم يكن حتى التليفون المحمول من الأدوات الشائع استخدامها بين النساء في مجال التسويق. ولا نجد سوى حالات قليلة جداً، توفرت للحرفيات خبرة صناعة المشغولات اليدوية وتكنولوجيا المعلومات في الوقت نفسه. فكانت استثناء، أكثر منها قاعدة.

قالت صانعة مشغولات بالكروشيه من جمعية بشاير، إنها حاولت التعامل مع الإنترنت في تصميم الأفكار. وقالت صانعة شموع من حلوان إنها تبحث عن أفكار على الإنترنت لتستخدمها في إنتاجها. وفي سيوة، استمرت مدرسة كمبيوتر بمنظمة للتنمية المحلية، في عملها كمعلمة في مدرسة بالمدينة، إلى جانب إنتاج المكرميات التقليدية مساءً لزيادة دخلها. ورغم هذا لم تجمع بين عملها الحرفي ومهارات تكنولوجيا المعلومات التي لديها. وعموماً، كانت نماذج الحرفيات اللاتي يستخدمن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات قليلة، ولا يشكلن قاعدة بأية حال.

التوقف عن صناعة مشغولات يدوية للعمل بوظيفة مكتبية في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

انطلقنا من إمكانية توفير تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فرصاً أكبر في الأسواق، ومن ثم توليد عائد أكبر للحرفيات المصريات. ورغم هذا كشف البحث عن وجود ثغرات بالمنتجات فيما يتعلق بالتصميم والإنتاج والجودة، الأمر الذي يحد من القدرة التنافسية للحرفيات المصريات (أو يقضى عليها) وهذا له تأثير أكبر على المبيعات، يفوق تأثير استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في التسويق.

ورغم ذلك، تحدثنا مع نساء كان الإنترنت مورداً بالنسبة لهن. ومن بين حرفيات مجموعة البحث، اللاتي استخدمن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، عملت كثيرات بصفة رسمية كحرفيات، ثم أكملن تعليمهن، بما تضمنه ذلك اكتساب مهارات الكمبيوتر

والإنترنت، ثم غيرن بعدها مصدر دخلهن، بالعمل فى وظيفة كتابية. وفى أكثر الحالات، تركت النساء صناعة المشغولات اليدوية، بمجرد امتلاكهن لمهارات فى مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات يمكن استغلالها فى سوق العمل؛ إذ يحقق العمل الكتابى دخلاً أكبر مما تحققه المشغولات اليدوية. وأصبحت بعض حرفيات ترقين مهنيًا عبر استكمال تعليمهن، فى موقع الإشراف على حرفيات أخريات، ولكنهن توقفن عن صناعة المشغولات اليدوية بشكل مباشر.

### تصدير المصنوعات اليدوية المصرية

تواجه الحرفيات وتاجرات المشغولات اليدوية المصرية، صعوبات فى تصديرها بقدرة على المنافسة فى الأسواق العالمية. ومن تلك الصعوبات، الأمية ومهارات اللغة والمعرفة التكنولوجية ومعرفة كيف تستكمل الأبعاد التنظيمية والقانونية لتجارة التصدير، والتحكم فى الجودة، ومتطلبات النقل، والمعرفة بإمكانية التجارة الإلكترونية، إلى جانب أشياء عديدة يتطلبها نجاح تجارة التصدير.

### جودة المشغولات اليدوية المحدودة

لا تكون معظم منتجات الحرفيات قابلة للبيع مباشرة، تحديداً لتواضع عمليات التشطيب. ويدخل التاجر بعض التشطيبات على المنتجات بنفسه، ويحصل على هامش ربح من ذلك. على سبيل المثال، قد يحصل التجار من الحرفيات على قطعة رائعة من التطريز، ولكن أطرافها غير مجهزة، فيقومون بتسوية أطرافها وتكفيها، وعلى هذا النحو يمكن بيع القطعة بسعر أعلى بكثير.

لم تنجح وكالة التعاون لتنمية البلدان الناشئة (COSPE) فى محاولة تدريب حرفيات سيوة على تحسين الجودة، مثل تعليمهن تقنيات التشطيب. وقالت معظم النساء إنهن لم يكن قادرات على إنهاء تطريزهن بشكل نظيف، بسبب ما عليهن من الواجبات الأسرية الكثيرة.

## انخفاض الطلب على المصنوعات اليدوية في السوق المصري

لا يوجد كثير من الطلب اليومي في مصر على المشغولات اليدوية المحلية، فيما عدا مثلاً، المنتجات الرخيصة التي يستخدمها منخفضو الدخل (مثل القلل، و سلال الجريد، والحديد المشغول المستخدمة في المناطق الريفية)، وهذه الأنواع من المشغولات اليدوية لا تدخل في نطاق بحثنا، إذ تدخل في طائفة الأصناف التي يستخدمها المصري المتوسط يومياً، ولا تحقق سوى هامش ضئيل للربح، وغير قابلة للتسويق في شكلها الحالي إلى الأسواق المتخصصة الأخرى. وعمل معظم نساء المجموعة التي تمت مقابلتها في مصنوعات أكثر تركيبياً في صناعتها وجماليتها، وإن فقدت استخدامها التقليدي بسبب التحديث ذي النمط الغربي، فاستبعدت إلى طائفة "الهدايا التذكارية".

## بيع المشغولات اليدوية باستخدام الإنترنت

ما القضايا والتحديات التي تواجه نساء راغبات في بناء مشروع تجاري لبيع المصنوعات على الإنترنت؟ هل هناك أدوات أخرى لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات يمكنها المساعدة في تسويق المصنوعات؟ هناك بعض الأمثلة نجحت فيها التجارة الإلكترونية، وأقدم حالتين فيما يلي:

### النساجات المغربيات

قادت ديفز مشروعاً لبيع السجاد "نساجات عبر الإنترنت" (Davis, 2004) Women Weavers Online (WVO). يبيع المشروع السجاد التقليدي الذي تصنعه المغربيات من خلال موقع له على شبكة الإنترنت، دون حاجة لأن تتحرك النساء من قراها، وبعضها في مناطق نائية ومعزولة. وأكدت ديفز وجود إمكانية لتسويق وبيع السجاد عبر الإنترنت. ورغم هذا توضح مقالة لها، أن إنشاء موقع على الإنترنت، وتسويق السجاد كان ممكناً فقط بالنسبة لها، وهي أمريكية جيدة التعليم، استخدمت علاقاتها

الاجتماعية ولغتها ومهاراتها التكنولوجية، لتمكن هذا المنفذ من البيع عبر الإنترنت. ولم تدرج دايفز تكلفة العمل الذي قامت به في الميزانية المالية للمشروع، التي يظهر فيها هامش ربح للنساجات من بيع سجادهن في السوق الدولي؛ ويعكس هذا صورة غير حقيقية للإمكانات المالية والتقنية لهذه المبادرة، والتي قد تكون غير متكررة. ولم تكن المؤلفة نفسها متفائلة حول إمكانية تعليم وتدريب شخص من المجتمع المحلى يستطيع تولى هذه المهمة بدلاً منها، من أجل استمرارية المبادرة.

### سوزان، مشروع للمصنوعات عبر الإنترنت

ولفهم السياق والإمكانات والعقبات التي تواجهه المصريات الراغبات في متابعة الهدف المزيج، استخدم وسائل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات مع صناعة المشغولات، أجريت دراسة معمقة على شابة قاهرة ترتب تصدير المشغولات الحرفية خارج البلاد عبر موقع على الإنترنت. وكانت سوزان شابة من الطبقة المتوسطة، غير متزوجة وتعيش مع والديها. أتمت تعليمها في مدرسة لغات أجنبية، ثم حصلت على بكالوريوس تجارة. وبعد العمل في وظائف غير مناسبة لعدة سنوات، قررت إنشاء مشروعها التجارى لتسويق الهدايا التذكارية المصرية في المعارض، عبر إنشاء موقع دولى للبيع على الإنترنت.

سوزان من محبى استخدام الإنترنت، وتتصفح عليها ساعات بحثاً عن تجار الجملة، حتى إنها تحاول عرض سلعها عبر غرف الدردشة. ولديها خبرات حسنة وسيئة حول طريققتها، ولكنها تعرف أن استمرارها سيحقق لها نتائج فى النهاية؛ وبهذه الطريقة وصلت إلى تاجر فى كاليفورنيا راغب فى تجريب بعض المنتجات التى تسوقها، وعندما أنه فى حالة تحقيق التجربة لمبيعات جيدة سيطلب المزيد.

والدا سوزان، يويخانها بسبب فاتورة التليفون المرتفعة. وحاولت أختها مع والديها تقليل همتها بخصوص مشروعها التجارى. إذ يعتقدون أنه يستنفد مجهوداً ومالاً (وخاصة ما يدفع فى خدمات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات) أكبر مما يعود منه، ولكن سوزان أصرت.

سوزان لديها موقع على الإنترنت تواصل تحديثه. وتوصلت إلى حلول بارعة لتذليل عقبات واجهت أنشطتها التجارية الإلكترونية. وكان أحدها غياب هذا النمط من التجارة الإلكترونية في مصر، الأمر الذي يحول دون شحن بطاقات الائتمان للزبائن من خلال التحويل عبر الإنترنت. وكان على سوزان إيجاد حل خلاق، لأن توفير خيار الدفع عبر مدفوعات بطاقة الائتمان أمر ضروري الآن لتحقيق تنافسية في سوق تجارة المشغولات الحرفية عبر الإنترنت. واشترت سوزان عبر موقعها عنواناً للاتصال مع شركة أمريكية، ونجحت بذلك في توفير خيار التجارة الإلكترونية لمستهلكيها.

وإلى جانب حل مشكلات بيع سلعها، كان عليها إيجاد وسائل واقعية وفعالة لشحنها، حيث مثلت تكلفة التجارة الصغيرة تحدياً كبيراً بالنسبة لسوزان. وبحثت في كل شركات الشحن بحراً وجواً لإيجاد سعر شحن اقتصادي من شركة يمكن الاعتماد عليها، حتى تستطيع الثقة في تسليم بضائعها بعناية.

وتعاملت سوزان قبل ذلك أيضاً مع جهاز الجمرک من أجل تصدير بضائعها. واتضح أن الأنظمة شديدة التعقيد، وعليها توظيف شخص على معرفة بأساليب التعامل معهم. والآن، تستخدم شركة عالمية لتدبير أمر الشحن والإجراءات الإدارية المتعلقة به، حيث عرضت هذه الشركة الحلول الأكثر ملاءمة لمشروعها التجاري الصغير.

وكانت الجمارك قضية أساسية بالنسبة لغالبية المتوجهين للتصدير. وفي معرض هدايا نيويورك، قال لنا تاجر أمريكي، إن قواعد الجمارك الأمريكية تتغير من عام لآخر، ويسبب هذا مشاكل لجميع المصدرين والمستوردين؛ إذ لا يتمكنون أبداً من معرفة ما ستسمح قواعد العام القادم باستيراده. على سبيل المثال، قد يعقد شخص إحدى الصفقات لاستيراد كمية من المنسوجات، ثم يجد أن قواعد الاستيراد الأمريكية تغيرت، وأصبح استيراد هذه الأصناف ممنوعاً الآن. وأحياناً، يتحايلون بإعطاء الصنف الذي يستورده اسمًا مختلفًا، وربما ينجحون في الإفلات على هذا النحو، ولكن ذلك غير مضمون. ومن ثم، يتفق معظم التجار مع أشخاص يعتمدون عليهم في مكاتب الجمارك، كنقاط للاتصال، يعرفون منهم القواعد الجديدة في أقل وقت ممكن. ورغم هذا لم تتوقف المشاكل التي تظهر بسبب تغيير القواعد دائماً.

وتعتبر سوزان نموذجاً صغيراً للإصرار وابتداع حلول مبتكرة، تمكنها عبر التجربة والخطأ، من تأسيس نشاط تجارى ناجح فى بيع المشغولات عبر الإنترنت. ورغم هذا، يتطلب إنشاء مثل هذا الموقع، ميولاً تجارية عالية مصحوبة بتعليم ومهارات فنية، أو مالا لتوفير المساعدة الفنية من الخارج. وتجيد سوزان اللغة الإنجليزية بصورة ممتازة - وكان افتقاد معظم الحرفيات اللاتي قابلناهن للمهارات اللغوية عقبة كبيرة أمام استخدام الإنترنت فى التجارة الدولية. وكانت سوزان أيضاً مدعومة بمساعدة مالية من أورتها؛ وهو الشيء المتوقع بالنسبة لفتاة غير متزوجة من الطبقة المتوسطة فى مصر، وإذا لم تكن مدعومة مالياً بالكامل منها، فهى على الأقل مكفولة اجتماعياً بدرجة كبيرة. على سبيل المثال، كانت سوزان متحررة من القلق بشأن تكاليف معيشتها من مأوى وطعام، الشيء الذى قد ينعكس على التمويل الداخلى (وما زالت تدخله) فى مشروع مبادرتها. وتمتلك سوزان كمبيوتراً فى منزلها، وكانت مستخدمة نشطة للإنترنت لأعوام قبل بداية مبادرتها. وبهذا فإن مهاراتها فى مجال تكنولوجيا المعلومات مرتفعة، وهذا جعل استخدام الإنترنت ممكناً بالنسبة لها كمصدر للتسويق.

## الخلاصة

رغم إمكانية استخدام شبكة الإنترنت فى التسويق من التاجر إلى المستهلك (كما وضحت حالة سوزان)، فإنها فى معظم الحالات لم تكن مشروعاً فاعلاً بالنسبة للتكاليف، أو بإمكانية المنافسة فى مجاله. ويمكن استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات مثل التليفون المحمول باعتباره أداة للاتصال فى عملية الإنتاج والتسويق، مما يجعل الحرفيات أقرب إلى المعلومات التى تجعل سلعهن أكثر قابلية للتسويق. وهذا يمثل الحل المتوفر للتعاونيات ومنظمات التنمية العاملة فى مجال تمكين الحرفيين. وربما يصبح التسويق باستخدام الإنترنت ممكناً، إذا جمعت المنظمة كمية كبيرة من الإنتاج معاً، وهكذا تنشئ منفذاً للسلع. ورغم هذا بالنسبة للمصنوعات الحرفية، فهناك حاجة لتأسيس سوق، حتى يقدر النجاح لمثل هذا المنفذ.



وتعد سوق المشغولات العالية محلاً لمنافسة الشديدة، سواء في السعر أو الجودة، ولا يعتبر التصدير استجابة مباشرة على مشكلة تسويق المصنوعات في حالة مصر. وكانت المنافسة الحادة التي تواجه المصنوعات المصرية في السوق العالمية شغلاً شاغلاً لجميع الجهات المانحة والتجار والمنظمات غير الحكومية التي قابلناها. وكان الأولى أن يسبق هذا الانشغال، الاهتمام باستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات أساساً، وخاصة تكنولوجيا المعلومات، لتصبح قناة للتسويق والبيع لتلك السلع.

يمكن أن تصبح تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وسيلة مساعدة في تسويق المنتجات بالنسبة لمنظمات الأعمال، كما اتضح من المثال الذي عرضناه في هذا الفصل، ولكن هذا لن ينطبق على العدد الأكبر من النساء منخفضات الدخل، ويمكن التوصل إلى أن هذه الصيغة قد تتوفر في حالة المشروع الجماعي الذي يتعامل مع المراحل المختلفة من تصميم الإنتاج والتحكم في الجودة والتسويق.

وتوضح أمثلة هذا البحث، أن السوق العالمي لا يحمل إمكانية واقعية للحرفيات المصريات. وفي الحقيقة، قد يوفر السوق المحلي فرصاً أوفر بالنسبة لهن: على سبيل المثال، إذا استطاعوا في مصر بناء قاعدة عريضة للطلب المحلي، مع استخدام الأسلوب المصري في التصميم. وهناك مصنوعات تقليدية كثيرة على وشك الانقراض الآن، يمكن دمجها في مجموعة المشغولات بحيث تعد جزءاً من نمط للتصميم يتم إحيائه. ويعتمد بناء مثل هذا السوق على خلق طلب وجعل المصنوعات متاحة أمام المستهلكين المصريين في مستويات مختلفة من الأسعار.

وسيحسن متخذو القرار في الحكومة والقادة الاجتماعيون صنفاً، إذا دعموا مزيداً من الطلب على المصنوعات المصرية ذات التصميم والطراز المحلي. وسوف ييسر هذا بدوره على الحرفيات تسويق مصنوعاتهن بشكل فردي أو جماعي أو عبر وسيط، وستصبح تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بهذا الشكل أداة مساعدة لهن.

ولم يثبت نجاح الاتجاه الشائع إلى البحث عبر الإنترنت عن منافذ في السوق العالمية للمشغولات اليدوية التي صنعتها المصنريات. ولم تظهر الأدوات الأخرى المرتبطة بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات أو أساليب التسويق التقليدية نجاحاً كبيراً أيضاً في هذا المجال، ولكن الاستمرار في طرح الأسواق الأجنبية كمجال قابل لاعتماد النساء عليه مالياً، فهذا يعد خداعاً غير أخلاقي. وفوق هذا، لإضافة تكنولوجيا جديدة مثل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات إلى الخليط باعتباره حلاً ممكناً للعقبات أمامهن في الوصول إلى الأسواق العالمية، ليس إلا تشويشاً على الفجوة التجارية الواسعة، والخيارات الضئيلة التي لدى النساء في ظل الظروف الحالية.

## المراجع

- Davis, S. S. (2004) 'Women Weavers Online: rural Moroccan women on the Internet', *Gender, Technology and Development*, 8(1): 53–75.
- Mueller, S. D. (2006) 'Rural development, environmental sustainability, and poverty alleviation: a critique of current paradigms', DESA Working Paper no. 11, January, available online at [www.un.org/esa/desa/papers/2006/wp11\\_2006.pdf](http://www.un.org/esa/desa/papers/2006/wp11_2006.pdf).
- Ofreneo, R. P. (2006) 'Problematizing microfinance as an empowerment strategy for women living in poverty: some policy directions', *Gender, Development and Technology*, journal of the Asian Institute of Technology (AIT), Bangkok, available online at [www.upd.edu.ph/~cswcd/webpages/DOCUMENTS/faculty\\_publications/PUBLICATIONS\\_Ofreneo2.pdf](http://www.upd.edu.ph/~cswcd/webpages/DOCUMENTS/faculty_publications/PUBLICATIONS_Ofreneo2.pdf).



## (الباب الثاني)

توفير تكنولوجيا المعلومات والاتصالات

في أماكن للنساء فقط

الآفاق والممارسة



## الفصل السادس

### تمييز السياسات التي لا تراعى الفروق بين الجنسين في توفير تكنولوجيا المعلومات واقع وتصورات طالبات جامعة زيمبابوى

بولى مبامبو-ثاتا

إليزابيث ملامبو؛ بربوس مواتسيا

لا يمكن فصل خبرات النساء حول تكنولوجيا المعلومات والاتصالات عن السياقات الاجتماعية التي يعشنها في زيمبابوى. لقد تلقت مدرسة في عينة بحثنا الرد التالي: "ولكنك مجرد امرأة!"، عندما تطوعت لتحمل مسئولية معمل الكمبيوتر في المدرسة التي كانت إحدى كبار مدرسيها.

ويركز هذا الفصل على خبرات طالبات جامعة زيمبابوى حول تعليم الإنترنت، وكيف انعكس عليهن. ويحاول كشف تفاوت المعاملة الذي يجدهن في التعامل اليومي أثناء تعليمهن بالجامعة، والبنية الاجتماعية للنوع الاجتماعي التي تعكس نفسها في فرص وصول الفتيات إلى معامل الكمبيوتر واستخدامها.

وأشار بحث حديث للباحثة ندولف (Ndlovu, 2001) إلى أن الطلبة الذكور في مؤسسات التعليم العالي، مثل مجتمع جامعة زيمبابوى، ما زالوا قادرين على حماية

مكانتهم المتميزة. وتناضل الطالبات، بلا حظ من النجاح أحياناً، للحصول على فرص متساوية مع الطلاب، في التعامل مع الخدمات العامة، مثل الكافتيريا والمرافق الرياضية والمكتبة وغيرها (Ndlovu 2001). وأكد البحث نفسه على أن إحساس الشخص بذاته يكون حتماً مطبوعاً بما تحمله التنشئة الاجتماعية حول النوع الاجتماعي. إذ بينى الرجال والنساء ذكورتهم وأنوثتهم وفقاً للسياقات التي يُوجدون بها، حسب عمرهم وانتمائهم الاثنى وانتمائهم الدينى. إن تلك الاعتبارات تصنع قالباً لتعلم هؤلاء الطلاب لخبراتهم.

وأكدت جيدزانوا عن قلقها بشأن مسألة الديمقراطية في المؤسسات: "مستوى تمثيل النساء في الجامعات والمجتمع عموماً أقل مما يجب" (١٩٩٦). لم تشغل أى فتاة في جامعة زامبيا أحد المناصب العليا الثلاثة بالمجلس التمثيلى للطلاب حتى عام ١٩٩٧ Council (SRC) Student Representative. وعندما أصبحت هناك سكرتيرة عامة للمجلس لأول مرة، لم تستمر في منصبها كثيراً، واستقالت في أبريل ١٩٩٨ بسبب المضايقات التي تعرضت لها من الطلاب الذكور وقلة دعم الطالبات (Mashingaidze 2006).

ويعتمد هذا الفصل على نتائج البحث الذى أُجرى في جامعة زيمبابوى عام ٢٠٠٥/٢٠٠٦، ويتناول البحث مدى التمكين الذى يحققه التعليم عبر الإنترنت للخريجات. وقبل البحث، لاحظ الباحثون أن غالبية الطلاب الذين يعملون على أجهزة الكمبيوتر في المكتبة وفي معامل الكمبيوتر من الذكور. واستهدفت هذه الدراسة فهم الأسباب وراء هذا الوضع.

وقد تكون نتائج هذا البحث مفيدة، كما نأمل، في التأثير على عمليات اتخاذ القرار فيما يخص السياسات، والتي ينبغى تغذيتها بملاحظات حول الآثار السلبية للسياسات التي لا تراعى النوع الاجتماعى، والعمل على الحد منها، كما ينبغى أن تكون ملتزمة ببناء قدرات الطالبات حتى يستطعن الحصول على مزايا تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الكاملة في الأغراض الأكاديمية.



## منهج البحث

قمنا ببحث كيفي مكثف خلال عام في جامعة زيمبابوى. وأجرى الباحثون مقابلات مع بعض طالبات الدراسات العليا في كليات التربية والقانون والدراسات الاجتماعية والزراعة. وقد سجلت تلك الطالبات أنفسهن للحصول على درجة الماجستير بعد حصولهن على الدرجة العلمية الأولى من الجامعة. وكان أكثر تعرضاً للتعليم عبر الإنترنت من طلاب مرحلة ما قبل التخرج. وحصل بعضهن على فرصة كتابة أطروحة نهاية العام، التي يطلب فيها تحديد طريقة التفكير في موضوع الدراسة من الطلاب. وإلى جانب هذا تستطيع طالبات الدراسات العليا الحديث عن خبراتهن دون قلق. وشاركت في البحث من خلال المقابلات ٢٧ طالبة في الدراسات العليا، بعضهن يدرسن دراسة نظامية كاملة، وأخريات يدرسن لجزء من الوقت فقط. وفي وقت إجراء البحث، كان الباحثون يعملون لدوام كامل في مكتبة الجامعة.

وتوجد بجامعة زيمبابوى عدة قاعات للكمبيوتر، تسمى المعامل، مجهزة لاستخدام الطلاب. وتوضع أجهزة الكمبيوتر الخاصة بالمكتبة في قاعة الاستقبال بها، ومن ثم توفر للباحثين موقعاً مثالياً لملاحظة أى شخص يأتى أو يترك المكتبة. ولم يكن لدى معظم الطلاب كمبيوترات شخصية، وكانوا يعتمدون على فرص استخدام أجهزة الكمبيوتر التي توفرها الجامعة، ومن دون معامل الكمبيوتر بالجامعة، لا تكون لمعظم الطلبة أماكن بديلة توفر فرصة استخدام الكمبيوتر والوصول إلى المراجع العلمية المتوفرة على شبكة الإنترنت. ولاحظ الباحثون أن غالبية مستخدمي أجهزة المكتبة من الطلاب الذكور، والشئ نفسه بالنسبة للمعامل الأخرى في الجامعة كما ذكروا. ولأغراض الدراسة، لاحظنا أنماط استخدام الكمبيوتر في المعامل بالأماكن الأخرى في الحرم الجامعي. كما تضمنت مادة البحث ملاحظات استخلصت من مقابلات غير رسمية، وتقارير عن مقابلات رسمية. وإلى جانب هذا، حللنا سجلات حجز الوقت، التي تقدم للطلاب كل صباح، وعلى أساسها يتم الاستخدام وفقاً لتطبيق قاعدة من يأت أولاً، يحصل على الخدمة أولاً.

عقدت مناقشات جماعية مركزة (FGD)، كحافز لتفاعلات اجتماعية مماثلة لما يحدث في الحياة اليومية، ولكن مع تركيز أكبر (15: Denzin and Lincoln 2000). واعتبرنا المناقشة الجماعية المركزة أمراً أساسياً لخلق فهم مشترك حول أهداف البحث، وخلق مناخ شفاف مفيد لتقليل الشكوك، وجمع مادة حول خبرات النساء حول فرص إتاحة أجهزة الكمبيوتر واستخدامها للدخول على شبكة الإنترنت لأغراض تعليمية. ووفرنا فرصة لطالبات عينة البحث، ليعرضن ما يملن به بخصوص تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وخبراتهم حول ما قد تقدمه لهن تلك التكنولوجيا بوجه عام، وأجهزة الكمبيوتر بوجه خاص.

وأجريت مقابلات التعبير الحر (FAI) أيضاً، من أجل إتاحة فرصة التعاون والتفاهم بين الباحثين والطالبات في عينة البحث، وتوضيح ما يحملون من أفكار حول خبراتهم، دون مقاطعة.

وجدنا عدد الطالبات اللاتي يستخدمن المعامل قليلاً، وسط سيطرة الطلاب الذكور على بيئة معمل المكتبة، وتم الرمز لهن بعبارة "مفردات شاذة" بشكل مقصود لغرض معين. إذ استخدمنا تعبير "المفردات الشاذة" كما يستخدم في البحوث الكيفية، ليعنى أن من يختلف عن القاعدة يكون شاذاً. ولأن الطالبات اللاتي استخدمن معامل الكمبيوتر قليلات، بينما غالبية الطالبات لم يستخدمنه، كانت المجموعة الأولى بالنسبة لنا كباحثين "شاذات". وشرعنا في التعرف على الفوائد التي تعود من استخدام المعامل، والقوة الدافعة لاستخدامهن تلك الأشكال من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، في حين لم تستخدمها الطالبات الأخريات.

## النتائج

نسبة الإناث إلى الذكور في معمل الكمبيوتر في الجدول التالي تظهر من حجز الوقت الذي قام به الطلاب الذكور والإناث ما بين أكتوبر ٢٠٠٥ ومارس ٢٠٠٦.

الشهر	الذكور	% -	الإناث	%	الإجمالي
أكتوبر ٢٠٠٥	٨٢٩٣	٩٣	٥٧٧	٧	٨٨٧٠
نوفمبر ٢٠٠٥	٦٧٧٢	٩٢	٥٧١	٨	٧٣٤٣
ديسمبر ٢٠٠٥	٢٦٠	٨٥	٤٥	١٥	٣٠٥
يناير ٢٠٠٦	٣٦٠	٨١	٨٦	١٩	٤٤٦
فبراير ٢٠٠٦	٧٨١	٨٨	١٠٨	١٢	٨٨٩
مارس ٢٠٠٦	٤٧٢١	٨٤	٨٩٧	١٦	٥٦١٨

وكانت نسبة الطلبة الذكور أعلى من الطالبات في كل الشهور. وبينما مثلت الطالبات ١٣٪ من المستخدمين، بلغت نسبة الطلاب الذكور ٨٧٪ منهم، وفقا لسجل حجز وقت استخدام الكمبيوتر. وتبلغ نسبة الإناث إلى إجمالي الملتحقين بالجامعة ٥١٪، بينما النسبة المناظرة للذكور ٤٩٪. وهكذا عزز تحليل سجل حجز الوقت ملاحظتنا عن غلبة الذكور مستخدمى أجهزة الكمبيوتر الشخصية فى المعامل. رغم أن عدد الطالبات فى الحرم الجامعى أقل، فيمكن توقع أن إحصائيات حجز الوقت ستعكس نسب الالتحاق.

## "الطالبات الطبيعيات"

الشعور بأهمية تعلم مهارات جديدة، شددت الخطة الإستراتيجية الخمسية لجامعة زيمبابوى للفترة من ٢٠٠٣ إلى ٢٠٠٧ فى توصيتها على تطبيق تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى كل مجالات الأنشطة الأكاديمية. وتقدم الجامعة تدريباً إجبارياً على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لجميع الطلاب. واكتسب الطلاب بالفعل بعض المعرفة بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وشعروا بمدى أهميتها وما يمكن أن تؤديه لهم.

وأدركوا مزايا التعليم من خلال الإنترنت وعرفوا أهميته. وأكدت ذلك إحدى طالبات الدراسات العليا في كلية التربية بقولها "عملت تكنولوجيا المعلومات والاتصالات على تمكينى، لأننى تعلمت مهارات جديدة".

ولا تفتقد الطالبات الثقة فى قدراتهن، حتى مقارنة بزملائهن الذكور. وتقول طالبة دراسات عليا فى كلية التخطيط الريفى والحضرى: .

"لا فرق بينى وزملائى الذكور؛ فى أوقات أستطيع إثبات أنى قادرة على التغلب عليهم، وحتى فى المراحل العليا أستطيع أن أكون عند الأداء نفسه".

المتوقع من الشخص وفقا للنوع الاجتماعى: عبرت غالبية الطالبات عن شعورهن بمزايا تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. وكما لاحظت إحدى طالبات عينة البحث:

"إنها تؤدى إلى التمكين فعلاً، أنا متأكدة أن النساء فى الماضى كن معزولات وفقاً لثقافتنا الأفريقية، ولم يكن مفترضاً أن يتعلمن، ولا كان مفترضاً لمسهن لآى شىء من هذه الأدوات الإلكترونية، لأنها أشياء للرجال. ولكننا الآن قادرات بسهولة على الوصول إلى الكمبيوتر، ولذلك أقول إنها مفيدة بالفعل، وتتسم بالكفاءة بالفعل، وهكذا فنحن قادرات على استخدام الإنترنت".

ورغم هذا، كانت هناك متطلبات اقتصادية اجتماعية على وقتهن تحد فرصتهن فى الوصول إلى الكمبيوتر. كان يتوقع منهن العودة إلى المنزل فى وقت محدد لأداء واجبات أسرية. ولا يستطعن الوصول إلى أجهزة الكمبيوتر إلا خلال ساعات معينة، حتى ولو ظل معمل الكمبيوتر مفتوحاً إلى وقت متأخر. وفى هذا قالت إحدى طالبات عينة البحث:

"ربما يستطيع الرجل مواصلة عمله فى معمل الكمبيوتر حتى الساعة الثامنة مساءً، ولكننى كامرأة لا أستطيع ذلك. فعلى أن أعود إلى منزلى".

تحول الأنوار النوعية نون النساء والبقاء فى المعامل، مهما كانت رغبتهن فى قضاء مزيد من الوقت فى العمل على أجهزة الكمبيوتر. وليس لديهن وقت يمضينه فى الحرم

الجامعى بعد المحاضرات، لأنهن طالبات ولديهن مسئوليات أخرى يقمن بها فى الأوقات الأخرى. غالبية الطالبات اللاتى شملهن البحث، كن موظفات لدوام كامل ولديهن مسئوليات أسرية. هذا العبء الثلاثى، يخلق تنافساً على الوقت وبين المسئوليات. وكما ذكرت إحدى طالبات عينة البحث من قبل؛ تغلب مسئوليات الأسرة على البقاء فى الحرم الجامعى للاستفادة من فرصة استخدام الكمبيوتر فى أغراض التعليم. وقالت طالبة فى كلية التربية: "إذا بقيت حتى المساء سوف اتهم بأنى لى علاقات خاصة، ولذلك لا بد من عودتى إلى المنزل والقيام بأشياء أخرى".

اللجوء إلى الطلاب الذكور للمساعدة، ووفقاً لإحدى الطالبات فى البحث من كلية التربية "عندما تعملين مع طلاب ذكور، يجعلك هذا تشعرين كما لو أنك لا تعرفين ماذا تفعلين". يلج على بعض الطالبات شعور، أن عليهن الاعتماد على الطلاب الذكور لمساعدتهن. يعتقدن أن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات حكر على زملائهن الذكور. وأعربت إحدى طالبات فى البحث من كلية التربية عن اعتقادها هذا قائلة: "أتنازل عن اعتزازى بنفسى، وأطلب من زميلى أن يعلمنى، لا أستطيع التعلم إلا فقط بواسطة زميل".

هل تعنى قاعدة من يأت أولاً يحصل على الخدمة أولاً، المساواة فى فرص الحصول على الخدمة؟ فى وقت إجراء البحث، لم تكن المكتبة حصلت على عدد كاف من أجهزة الكمبيوتر لتلبية حاجة كل الطلاب من جميع الكليات، ولم يكن لدى بعض الأقسام معامل للكمبيوتر خاصة بها. ورغم أن فرص الوصول إلى جميع معامل الكمبيوتر، ومن ضمنها معمل الكمبيوتر بالمكتبة، كانت تنظم وفقاً لقاعدة "من يأت أولاً يحصل على الخدمة أولاً"، فإن عدد الطالبات اللاتى كانت لهن فرصة فى الوصول إلى الكمبيوتر كان أقل من عدد الطلبة الذكور. وبالنسبة لبعضهن، بدت هذه القاعدة كما لو أنها تخفف مشكلة عدم التمكن من فرص الوصول إلى الكمبيوتر. وقالت إحدى الطالبات فى البحث عند حديثها على وضع قسمها، "يسير الأمر على قدم المساواة

لأننى إذا ذهبت هناك، أجد ١٧ كمبيوتراً فى مجموعتنا، ونحن ١٥ فقط، لهذا فأنت بمجرد ذهابك، تستطيعين استخدام الكمبيوتر [سواء] كنت رجلاً أم امرأة. فلن يختلف الأمر فى شىء".

هل تحقق قاعدة من يأت أولاً يحصل على الخدمة أولاً إلى المساواة فى الواقع؟ ورغم هذا، ذكرت إحدى الطالبات، أن معظم الحالات يكون فيها تدافع وتضاغط عندما يأتى الأمر إلى فرص الوصول إلى استخدام أجهزة الكمبيوتر. وذكرت طالبة فى البحث من كلية التخطيط الریفى والحضرى عندما تحدثت عن الوضع فى قسمها "عندما يبدأ الضغط، يدفع الطلبة الذكور الآخرين ويضغطون للوصول إلى الكمبيوتر." كما لاحظت طالبة فى عينة البحث من كلية الدراسات الاجتماعية "هناك غلبة للذكور فى معامل الكمبيوتر - البقاء لمن يملك قدرة بدنية أكبر". هذا السلوك البدنى يخيف الطالبات لأنهن غير راغبات فى أن يدخلن فى تزاخم مع الطلاب الذكور.

شعرت طالبة من عينة البحث أن محدودية عدد أجهزة الكمبيوتر يسبب قلقاً كبيراً لهن. وقلن إن معمل كمبيوتر به ٢٥ كمبيوتراً لا يكفى نحو ٣٠٠ شخص فى قسم العلوم الاجتماعية؛ ونتيجة لذلك، يحدث التدافع والضغط للوصول إلى فرصة استخدام الكمبيوتر. وسوف يغلب الطلاب الذكور الأقوى بدنيا الطالبات الأضعف بدنيا.

التماشى مع قاعدة "من يأت أولاً يحصل على الخدمة أولاً": الحلول البديلة للطالبات: لجأت بعض طالبات عينة البحث إلى بديل، بأن يذهبن إلى مقاهى الإنترنت، رغم قولهن إن ذلك لا يمكنه أن يستمر لأن تكلفته عالية. وسعت أخريات إلى مواقع مختلفة للوصول إلى الخدمة التعليمية. قالت إحدى الطالبات من عينة البحث فى إحدى المناقشات الجماعية المركزة "التحقت ببرنامج تعليمى، يشرح مقدمة استخدام الكمبيوتر، بإحدى الكليات بالمدينة". وتقول طالبة فى العينة من كلية التربية "التحقت ببرنامج تعليمى فى "جامعة أفريقيا على شبكة الإنترنت" Africa virtual University.

اقتراحات حول المستقبل: بعض طالبات عينة البحث مقتنعات بأن برنامج منظم للحجز سوف يؤمن فرص استخدام الطالبات اللاتى لديهن أنوار أخرى خارج الجامعة.

واقترح أنه إذا خصص معمل للإنث فقط، سيتمكن حينها من التحايل على الوقت لأداء أنوارهن الأخرى، وفي الوقت نفسه تكون لهن فرصة لاستخدام المعمل فى الدراسة. فهن إذا تمكن من التحايل على تنظيم وقتهن، وتوجهن إلى المكتبة، فلن يجدن أجهزة الكمبيوتر متاحة، لأن الطلاب الذكور يستخدمونها طول الوقت. وفوق هذا، ففى المعمل المخصص للنساء، لن يقتحم الطلاب الذكور المكان، ففتتاح فرص أكبر لاستخدام الطالبات.

المفردات الشاذة: الطالبات اللاتى تمكن من الحصول على فرص استخدام معام الكمبيوتر: استطاع عدد محدود من الطالبات الاستفادة من فرصتهن فى معام الكمبيوتر فى مكتبة الجامعة واستخدام الأجهزة. واكتشفنا عند بحث هذا الأمر أن معظم تلك الطالبات تعرضن للتعامل مع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات قبل الالتحاق بالجامعة، ولا يجدن مشقة فى استخدام أجهزة الكمبيوتر. وبإمكانهن كتابة فروضهن باستخدام شبكة الإنترنت؛ وإجراء اتصالات أيضا عبرها والتعامل مع الشبكات بسهولة. وكانت هذه الطالبات أيضا - اللاتى اعتبرناهن "مفردات شاذة" - مقيمات فى نطاق الحرم الجامعى أثناء مرحلة ما قبل التخرج، وأصغر سناً بين طالبات الدراسات العليا.

لم يكن شاعرات بوجود تحدٍ يشكله الطلاب الذكور الذين يمثلون أغلبية، ويلج عليهن الإحساس بضرورة مشاركة الطلاب والطالبات على قدم المساواة، فى مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. وكن مدركات أن الطالبات الأخريات مستبعدات. وبمعنى ما كانت تلك المفردات الشاذة كاللاتى "يقتحمن قلعة". يذهبن إلى المعامل التى يغلب فيها الذكور، ويواصلن العمل. وبينما لا يعملن على تغيير قواعد اللعب، إلا أنهن كن طليعيات. وربما إذا شاركت طالبات أكثر، سيتمكن من تشكيل كتلة حرجة منهن، وسيصبح استخدام الطالبات لمعامل الكمبيوتر أمراً طبيعياً.

## المناقشات

هل تكفل قاعدة "من يأت أولاً يحصل على الخدمة أولاً" لتحقيق المساواة بين النوعين في فرص الوصول إلى معاملي الكمبيوتر؟ هل تعد سياسة عادلة حقاً؟

بالنسبة للطالبات "الطبيعيات" في عينة المقابلات، كانت فكرة "من يأت أولاً يحصل على الخدمة أولاً" مقبولة. ورأت كثيرات، بناء على خبرتهن السابقة حول عدم حصولهن على فرصة استخدام الكمبيوتر، أن تلك القاعدة تحقق تحسناً أكيداً باتجاه المساواة النوعية، بل وحتى التمكين. ورغم هذا، بينما تمكن من ملاحظة أن الطلاب الذكور يستخدمون المعامل أكثر، إلا أنهن لم يستطعن الربط بين تطبيق هذه القاعدة وضمان واقع فعلي لا يميز ضدهن كنساء. وهكذا تمر الطالبات بخبرة ظلم بسبب النوع الاجتماعي، ولكن لديهن تناقض بين تفسيرهن للواقع في المعامل مع تبني سياسة "من يأت أولاً يحصل على الخدمة أولاً"، وتأييدها.

لم تشعر الطالبات بوجود تمييز على أساس جنسهن في الحصول على فرص الاستخدام، حتى رغم إدراكهن لحقيقة سيطرة الطلاب الذكور على المعامل. وما بقي أكثر من أي شيء آخر في أذهانهن، كيف تمنعهن المسئوليات والعقبات الأخرى التي تواجهها النساء تحديداً من فرص استخدام المعامل في الوقت المحدود المتاح للطلاب جميعاً.

التعارض في سياسة توفير فرص الاستخدام بين المأمول منها والواقع: تحليل من منظور النوع الاجتماعي. أكدت خطة جامعة زيمبابوي (٢٠٠٢-٢٠٠٧) على زيادة كفاءة استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات: "كل طالب يتخرج في جامعة زيمبابوي عليه إجبارياً اجتياز برنامج تعليمي على الأقل حول تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، بصرف النظر عن التخصص العلمي" (University of Zimbabwe 2003). وهكذا، من المتوقع أن يكون خريجو جامعة زيمبابوي قد وصلوا إلى مستوى مرتفع نتيجة لبرامج تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. ورغم هذا كشف بحثنا عن وجود ما قد يعوق هذا الاتجاه الإستراتيجي،



وهو أن فرص استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات متأثرة بالنوع الاجتماعي وغير عادلة. وكما هو وضع مؤسسات التعليم العالي، لا يتم تخصيص مصادر التعليم على أساس النوع، ومنها تكنولوجيا المعلومات والاتصالات كمصدر. وعلى هذا، تعمم الجامعات توفير فرص الاستخدام، دون اعتبار للاختلاف في النوع. ولكن لا يأخذ التطبيق العملي لقاعدة من يأت أولاً يحصل على الخدمة أولاً في الحسبان واقع عدم قدرة الطالبات على الوصول أولاً، نظراً لوجود متطلبات أخرى متنافسة في جدولهن الزمنى. والنقطة الثانية المرتبطة بهذا، أنه مع الموارد المحدودة المتاحة لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، تتضمن المنافسة على فرص الاستخدام في الغالب تدافعاً جسدياً، وفي هذه الحالة يغلب الطلاب الأقوى بدنياً.

وهكذا، تقدم هذه الدراسة برهاناً على فائدة التحليل من منظور النوع الاجتماعي في تخصيص الموارد، وخاصة بالنسبة لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات. وسوف يوفر هذا التحليل الرؤية اللازمة لتأسيس نموذج لتخصيص الموارد يأخذ في حسبان النوع الاجتماعي. وفي ضوء الاستبعاد الذى يؤدي إليه موقف السياسات التي لا تراعى النوع الاجتماعي عند توفير فرص الاستخدام، تبدو المطالبة بسياسات تراعى النوع الاجتماعي مطلباً منطقياً وعادلاً.

وفوق هذا، لاحظنا باهتمام "الإشادة" التي عبرت عنها الطالبات عما يتوفر لهن من فرص استخدام محدودة ومقيدة لأجهزة الكمبيوتر. وطالما كانت الطالبات شاكرات لما بدا لهن "ميزة" تضمينهن في سياسة توفير فرص الاستخدام، فلم تعترض الطالبات "الطبيعية" على تحسينات محدودة وجدت في سياق سيطرة الذكور على المعامل. ويبدو أن فكرة المساواة في فرص الاستخدام، سبقت إلى أذهانهن ما وجدته من تفاوت في فرص الاستخدام. ولكن النظر إلى ما يمر بهن كشىء يتعارض مع سياسة الفرص المتساوية المزمعة التي يقبلنها، فهذا يعد أمراً غير منطقي. إذ إن الشخص حينما يفكر، يصطف مع القيم والمعانى الاجتماعية التي تكون مألوفة لديه. فحتى تتغير نظرتهم لخبرتهن، ويتأملنها دون مشايعة للأساليب القائمة لرؤية الأشياء، يلزمهن خلق معانٍ جديدة.

وحتى تعكس مثل تلك المعانى خبرات النساء، ينبغي أن يتجاوز تفكيرهن المفاهيم والصور الحالية، التى صيغت بالطبع فى ظل مجتمع يهيم عليه الذكور.

نتصرف جميعاً وفقاً لما تمليه علينا المفاهيم المألوفة التى ننتهجها، وتعنى شيئاً مهماً بالنسبة لنا. وعلى هذا النحو ترسخ البطيركية نفسها. إذ يتمثل النساء والرجال قيم هيمنة الذكور وامتيازاتهم، ويعرفونها ويعيدون إنتاجها. ومن هذا المنظور، لا عجب أن توافق غالبية المبحوثات على عدالة قاعدة "من يأت أولاً، يحصل على الخدمة أولاً". فإذا كان لجميع الطلاب، من الناحية النظرية، قدرة التعامل مع فرص استخدام المعامل على قدم المساواة، ستكون إذ هذه السياسة منصفة.

ولكن ما سبب وجود طريقتين متباينتين، لدى "المفردات الطبيعية" و"المفردات الشاذة" من الطالبات، فى إدراك خبراتهن حول سياسة توفير فرص الاستخدام، ما بين التمكين المقترض نظرياً أن تؤدى إليه، والواقع الفعلى؟ وإذا كان هذا التباين يعود إلى استيعاب الطالبات لما يحدث، وعكس ما يعنيه (بالنسبة لهن)، وهذا يتم بتوسيط وعيهن، وبأسلوب تمثلهن للأفكار المحددة، فكيف إذا أصبح الوعى مختلفاً بين المجموعتين؟ هل أدى تعرض "المفردات الشاذة" من الطالبات لاستخدام الكمبيوتر من قبل، وثقتهن فى أنفسهن التى امتلكنها بسبب هذا الاستخدام، إلى قدرتهن على الاستخفاف بالمفاهيم المسيطرة؟ إذا كان الأمر كذلك، فهذا سيفسر لماذا يبدو واضحاً أن هذه المجموعة تملك مزيداً من الفهم للتناقض بين النظرية والتطبيق فى سياسات توفير فرص الاستخدام، وربما مزيداً من الفهم لأنهن مررن بتمييز ضدهن كنساء.

## توصيات

كشفت الدراسة أهمية تحديد الفجوة والتباين المنطقيين بين خبرة النساء، وكيفية فهمهن لها. كما وضعت الواقع المجتمعى كمقدمة لتأثير النوع الاجتماعى على فرص الوصول إلى الموارد، وأسباب ذلك، والنتائج المترتبة عليه.

وتظهر الدراسة أن التعامل بتعميم مع توفير فرص استخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، ومصادر التعليم، قد لا يفي بحاجات النساء. وربما يكون الأوان قد حان لانفتاح التعليم العالى عموماً، وجامعة زامبيا خصوصاً، على تحليل الاختلاف بين النوعين فى التعامل مع الواقع؟ فهذا من شأنه تأسيس المعرفة المطلوبة لإجراء تدخلات تعمل على توفير فرص استخدام متساوية عند التطبيق، وليست فقط كما تبدو فى التصور النظرى الذى تقوده المفاهيم المهيمنة مثل الذى يأتى أولاً يحصل على لخدمة أولاً.

وفوق هذا، فبالنسبة إلى الطالبات اللاتى تأخذ الخبرات لديهن معناها نتيجة استخدام المفهوم المقبول اجتماعياً من يأت أولاً، يحصل على الخدمة أولاً، لن تؤدي الخبرة بهن إلى التمكين إلا مع إدراكهن للأسلوب الذى أدت به عملية تركيب المعنى هذه، إلى اغترابهن عن حقيقة خبراتهن الفعلية. وسيؤهلن التفكير النقدي فى علاقة المعايير والمفاهيم الاجتماعية المهيمنة بخبراتهن الواقعية، ومشاعرهن تجاهها، إلى تعلم نقد ممارسات حالية أخرى تكون متحيزة ومميزة. وسوف يعمل برنامج للتعليم من أجل التمكين، يهدف إلى تحفيز هذا الوعي الانعكاسى بين طالبات الدراسات العليا، على أن تتوفر لهن مهارات حياتية أكثر قيمة، تساعدن فى حماية مسارهن المهني وتطوره، سواء فى حياتهن العملية أو المجتمع.

وذكرت الطالبات المبحوثات أن تخصيص معامل كمبيوتر للنساء سيؤدي إلى تحسين فرصهن فى استخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فى أغراض التعليم. إذ سيستجيب المعمل لحاجات الطالبات، ويكون مفتوحاً فى الساعات التى تتناسب مع الوقت المتاح للنساء، ويقدم دعماً متناسباً فى تصميمه مع تمكينهن من استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بصورة أكثر فاعلية. ومن المهم أيضاً تعزيز ثقة الطالبات بأنفسهن واحترامهن لذاتهن من خلال توفير التدريب اللازم لهن، حتى يستطعن الوصول للاستخدام الأمثل لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، ويتمكن من

صناعة القرارات الخاصة بهن والتحكم فى مواردهن (Rowlands 2003) يجب تشجيع هؤلاء الطالبات حتى يتمكن من وضع أيديهن على شىء حقيقى ومادى. وبهذه الطريقة، يمكنهن الاكتشاف والبحث والتعلم والمشاركة.

وحتى تصبح تكنولوجيا المعلومات والاتصالات عاملاً مساعداً على تمكين النساء، تنبغى ملاحظة العقبات التى تعوق فرص استخدامها المحدودة أصلاً، ومواجهتها والقضاء عليها. وكان من الواضح أيضاً أن هناك صلة بين الاستخدام الواثق لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات والوعى بأن قاعدة "من يأت أولاً يحصل على الخدمة أولاً" لا تكفل فى حد ذاتها تساوى فرص الاستخدام. ويمكن أن يصبح معمل الكمبيوتر المخصص "للنساء فقط"، خطوة أولى مهمة باتجاه تمكين حقيقى من استخدام أشكال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، بغرض استفادة الطالبات من فرص التعليم على الإنترنت فى جامعة زيمبابوى.

## المراجع

- Bahi, A. (2004) 'Internet use in Abidjan cybercafés', CODESRIA Bulletin, 1/2: 67-71.
- Batezat, E. and M. Mwalo (1989) *Women in Zimbabwe*, Harare: Sapes Trust: Harare.
- Buskens, I. (2005) *Free Attitude Interview Manual*, available at [www.GRACE-Network.net](http://www.GRACE-Network.net).
- Chagonda, T. (2001) 'Masculinities and resident male students at the University of Zimbabwe: gender and democracy issues', in R. B. Gaidzanwa (ed.), *Speaking for Ourselves: Masculinities and Femininities amongst Students at the University of Zimbabwe*, Harare: University of Zimbabwe.
- Cottes, J. (2003) 'Young women's participation in international conferences in the new information society', *Women in Action*, 2: 14-16.
- Daly, M. (2003) *Beyond God the Father: Toward a Philosophy of Mbambo-Thata et al.* | 6 76 *Women's Liberation*, Boston, MA: Beacon.
- Denzin, N. K. and Y. S. Lincoln (eds) (2000) *The Sage Handbook of Qualitative Research*, 3rd edn, London: Sage.
- Gaidzanwa, R. (1996) *Speaking for Ourselves: Masculinities and Femininities amongst Students at the University of Zimbabwe*, Harare: University of Zimbabwe.
- (1999) 'The politics of the body and the politics of control: an analysis of class, gender and cultural issues in student politics at the University of Zimbabwe', *Zambezia*, 20(1): 15-34.
- Maboreke, M. (1997) *Who is the Employee of the Labour Relations Act? Exploring the Gender Dimensions of the Labour Relations Legislative Framework*, Harare: Faculty of Law, University of Zimbabwe.
- Mashingaidze, T. M. (2006) 'Gender and higher education in postcolonial Zimbabwe: tentative reflections on policy issues', *OSSREA Bulletin*, 3(1): 33-9.
- Mason, J. (2004) *Qualitative Researching*, 2nd edn, London: Sage.
- Ndlovu, S. (2001) 'Femininities amongst resident female students at the University of Zimbabwe', in R. B. Gaidzanwa, *Speaking for Ourselves: Masculinities and Femininities amongst Students at the University of Zimbabwe*, Harare: University of Zimbabwe.

- Rowlands, J. (2003) *Questioning Empowerment: Working with Women in Honduras*, Oxford: Oxfam.
- Runhare, T. (2003) 'Women perceptions of masculine technical careers: a comparative study of women in feminine and masculine employment occupations in the city of Gweru, Zimbabwe', *Zimbabwe Journal of Educational Research*, 15(3).
- Sen, A. (1999) *Development as Freedom*, New York: Anchor Books.
- University of Zimbabwe (2003) *University of Zimbabwe Five-year Strategic Plan, 2003–2007*, Harare: University of Zimbabwe.

## الفصل السابع

### فضاء عام بديل للنساء

#### احتمالات توفره فى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات

ليلى حنين

طوال التاريخ وعبر الثقافات، أعادت الترتيبات المكانية تعزيز أوضاع التفاوت بين النساء والرجال. ويتمثل موضوع هذا البحث فى مسألة الفضاء وكيفية التعرف عليه من منظور النوع الاجتماعى. إذ يتم التفريق بين النساء والرجال مكانياً، بأساليب تقلل من فرص وصول النساء للمعرفة ومصادر الدخل، وهكذا، يعمل هذا على إعادة تدعيم الوضع الأدنى للنساء مقارنة بالرجال، ويؤدى إضفاء طبيعة نوعية على الأماكن إلى فصل النساء عن المعرفة التى يستخدمها الرجال فى إنتاج السلطة والامتيازات وإعادة إنتاجها (Spain 1992: 3; Folbre 2001).

وفى مصر شجعت النساء رسمياً على المشاركة فى المجالات العامة التى هيمن عليها الرجال تقليدياً، مثل المعاهد التعليمية وبيئات العمل، حتى يصبحن قادرات على اكتساب مستويات تعليمية وتحقيق دخل مثل نظرائهن من الرجال. ورغم هذا، ما زالت المجالات العامة فى مصر متعذرة أمام كثير من الفتيات والنساء. حتى ولو تمكن من الحصول على تعليم وعمل فى فترة من حياتهن، فإن هذا يكون فى حالات كثيرة مؤقتاً، يتم التراجع عنه بمجرد أن تصبح لدى المرأة أسرة خاصة بها.

ويعنى الفضاء العام (public space) كما نعرفه هنا، مكاناً "عمومياً" - منطقة جغرافية واجتماعية، يفترض توجه الناس إليها فى شئون حياتهم اليومية. ويختلف هذا عن التعريف الذى قدمه هابرماس فى عمله "الفضاء العام" (Habermas 1989 [1962])، وكان يحمل دلالة سياسية وبورجوازية أكثر. ويؤيد هذا الفصل النقد الموجه إلى الفضاء العام كما تصوره هابرماس، من زاوية أنه لا يعطى إشارة كافية إلى النوع الاجتماعى. ولكن الفضاء العام كما نستخدمه هنا، يشير إلى مستوى قاعدى أكثر - يشير فى الحقيقة إلى ما عرفه هابرماس على أنه "المجال الخاص" (privet sphere)، هو العالم الاقتصادى حيث يقوم الناس بتبادل السلع والعمل.

كانت قضية المكان، بعداً غير متوقع فى دراسة تبحث عن الدور تلعبه أشكال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى تسويق المشغولات اليدوية التى صنعتها النساء. وفى الفصل الخامس من هذا الكتاب، ناقشت القدرة المحدودة لدى الحرفيات المصريات فى استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. ورغم هذا، أظهر استعراض حياة بعض النساء، أهمية الحصول على فرص للاختيارات المرنة للتعليم والعمل، كأنوات فى تمكين النساء.

من خلال كتاب ((In A Room of One's Own (1929) أو (فى غرفة الشخص الخاصة) أعلنت فرجينيا وولف "لا بد من امتلاك المرأة للمال وحجرة خاصة بها، إذا همت بكتابة قصصاً من الخيال". ويبدو هذا حقيقياً ليس فقط بالنسبة لكاتبات القصص من الخيال فقط، بل ينطبق الشئ نفسه على المصريات العاديات، اللاتى يحتجن دخلاً ومكاناً داعماً من أجل تطوير قدراتهن الخاصة.

أكدت المبحوثات على أهمية وجود "مكان للتعليم" يخصهن - وفى حالتنا كانت إحدى المنظمات غير الحكومية - ليتعلمن فيه مهارات توليد الدخل، ويمكنهن الحصول منه على النصيحة والمساعدة، ويجدن فيه وعياً يساعدهن على إعادة صياغة حياتهن. ويمثل هذا الفضاء مزيجاً من المجال الخاص والعام، حيث تجد النساء التعليم



والعمل المبجور، ويرتفع وعيهم بأنهم قادرات على صياغة حياتهن وفقاً لطموحاتهن، عبر التحايل على ما يعتبر تحدياً صريحاً لما هو متعارف عليه مجتمعياً (على سبيل المثال اختيار مستوى أعلى من التعليم أو العمل خارج المنزل فى بعض الأحوال).

تصل كثيرات إلى هدفهن فى تحقيق الذات عندما يتاح لهن الحصول على تعليم ومهارات من خلال توليفة الفضاءات تلك، التى تجمع بين الخصوصية كمطلب مجتمعى، مع المزايا الناتجة عن التعرض لخارج المنزل والتعليم التى يوفرها لهن المكان العام. ويسبب التعامل المتكرر للمبحوثات مع تلك الفضاءات أصبحن أكثر تمكينا سواء على المستوى الخاص أو العام. إلى حد تحول بعضهن إلى مدافعات عن حقوق المرأة - وأصبحن كلهن مستقلات ماليا وحصلن على مستويات تعليمية أعلى من النساء المتوسطات فى بيئتهن المحيطة.

استنادا على نتائج هذا البحث، نصل إلى أن خلق وتوسيع مناطق خاصة وعمامة ترتادها النساء وتألفها، قد يساعد الفتيات والنساء على الوصول إلى الأهداف الاجتماعية الاقتصادية والتعليمية، وإلى تطوير المهارات التنموية بعيدة المنال فى الوقت الحاضر. وسيفيد المجتمع ككل من حصول تلك الإناث على تعليم، واكتسابهن مزيداً من الفضاءات التى بإمكانهن ارتيادها، وسوف يعفى كثيرات من القيود الجامدة على التعبير عن أنفسهن.

ونعتبر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، بحكم طبيعتها، وسطاً ملائماً لخلق مثل تلك الفضاءات وتدعيمها وتوسيعها. وانطلاقاً من الاستخدام الحالى لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى مصر، نجد أن حجم استخدامها للوصول إلى أطر التعليم والعمل التى توجد حاجة ماسة لها، أقل مما ينبغى. ويعرف الفضاء الإلكتروني بمرونته، وتوفره إمكانية أن يحقق من خلاله، كل من النساء والرجال وأسره، فوائد إنتاجية واجتماعية. ويعطى هذا الفصل بعض الأمثلة المستمدة من مقابلات مع مصريات يشتغلن فى قطاع المشغولات اليدوية، ومشاهداتهن.

## سيوة: دمج التقليدية مع تكنولوجيا المعلومات

يسرت لنا المنظمة الإيطالية "التعاون من أجل تنمية البلدان الناشئة" (COSPE)، الاتصال مع المشاركات في عينة سيوة، وهي واحة قريبة من الحدود المصرية الليبية، تجرى فيها المنظمة مشروعات مختلفة مع "جمعية تنمية المجتمع المحلي وحماية البيئة" (CDEPA - Community Development and Environmental Protection Association)، وهي منظمة غير حكومية محلية. وتجدر الإشارة إلى اختلاف المجتمع السيوي تماماً عن باقي المناطق في مصر. ويعرف السيويون أنفسهم، وهم من حيث الأصل أقرب إلى الليبيين، باعتبارهم بربر (أمازيغ باللغة المحلية).

ويصعب على أي غريب الاتصال بالمرأة السيوية مباشرة. إذ تُعزل المرأة والفتاة السيوية، وإذا ظهرت على الملأ تكون مغطاة بالكامل. وتعمل منظمة التعاون من أجل تنمية البلدان الناشئة، بالتعاون مع المنظمات غير الحكومية المحلية، التي من خلالها يمكن الوصول إلى الإناث السيويات. وكانت لمياء إحداهن (بدلت الاسم لحماية خصوصية اللاتي أجريت المقابلات مفهن)، عمرها ١٨ عاماً، حاصلة على دبلوم الفنون البصرية، وتعمل مدربة على تكنولوجيا المعلومات بمدرسة ثانوية في سيوة. وتدرت لمياء على تكنولوجيا المعلومات، مع غيرها من فتيات سيوة، بواسطة منظمة غير حكومية، واختاروها مدربة للبنات في المدرسة. وكان اتصال لمياء مع الغرباء مقتصرًا على سيدة إيطالية من منظمة التعاون من أجل تنمية البلدان الناشئة. وقد تحمست مديرة الجمعية إلى لقائى مع لمياء، كوسيلة تساعد على اكتساب مزيد من العلاقات الخارجية.

وقابلتها في المدرسة، وهي تعمل مع أحد الفصول في معمل الكمبيوتر. ووفقاً للتقاليد المحلية، كانت لمياء ترتدى ثوباً ونقاباً أسودين، ولا تظهر إلا عينيها فقط، وهي تتعامل في الوقت نفسه مع أحدث التطبيقات على الإنترنت. كما أنهت لمياء أيضاً برنامجاً تدريبياً لشبكة سيسكو، التي تؤهل النساء المحليات للتدريب على تكنولوجيا المعلومات.

وبالإضافة إلى عملها فى تكنولوجيا المعلومات، كانت متفوقة فى التطريز السيوى التقليدى، مثل معظم النساء فى الواحة. قالت لمياء "رغم أنى لا أكاد أجد وقتاً للتطريز، فإن أعمل فى ثوب عرس إحدى جاراتى". وأطلعتنى على تطريزها المتقن ملفوفاً فى طيات من الشاش القطنى الأبيض.

وبعد أن أنهت تدريس فصلها، توجهنا إلى أحد دروس محو الأمية تستضيفه أختها إيمان فى مسكنها الخاص. وذهبنا إلى منزل أسرة يبدو عليه أن دخلهم متوسط مرتفع. وهناك أخلت غرفة لكمبيوتر شخصى مع أربع "شلتات" مصفوفات حول "طبلية"، وهى منضدة مستديرة منخفضة تستخدم تقليدياً للطعام فى الريف المصرى. وكانت إيمان تدير الفصل الدراسى المكون من أربع نساء. وأطلعتنى إحدى المتدربات على برنامج إلكترونى أعدته الحكومة لتعليم القراءة والكتابة، وكان اسمه "فهيمة". وكان بإمكان مستخدمه المتابعة بيسر مع الصوت والصورة، وكان مركز محو الأمية باستخدام تكنولوجيا المعلومات، والذى تلتف المتدربات فيه حول الطبلية، متحركاً يلف أنحاء المدينة. وتستقبله الأسر فى بيوتها حتى لا تضطر السيدات للسير لمسافات طويلة من أجل الذهاب إلى أحد فصول محو الأمية. وتقدم الدروس فى المنازل التى تحظى بمكانة فى المجتمع المحلى. فمن المتوقع أن النساء لن تحضر الدروس إذا قدمت فى مكان عام مثل المدرسة.

ويصعب على لمياء وإيمان، والفتيات الأخريات العاملات فى سيوة (يقال تقليدياً امرأة على السيدة المتزوجة، ولذلك نفرق هنا بين سيوة وفتاة)، الاستمرار فى العمل خارج المنازل بعد الزواج. فبحكم التقاليد السيوية تعيش المرأة مع أسرة زوجها بعد الزواج، ولا يسمح لها بالعمل خارج المنزل. وأصبحت كثيرات فى العقود الماضية، قادرات على اكتساب دخل بواسطة التطريز، بسبب انفتاح الواحة على العالم الخارجى<sup>(١)</sup>.

لمياء لديها أخت أخرى متزوجة تعيش مع زوجها، الذى يعمل فى ليبيا. وتستطيع أختها العمل هناك، ما دامت خارج سيوة. وتقول لمياء "أود الزواج والذهاب إلى ليبيا أيضاً،

هذه هي الطريقة التي أستطيع بها مواصلة عملي في تكنولوجيا المعلومات. وإذا كان على البقاء في سيوة بعد الزواج، لن أستطيع مواصلة التدريس بالمدرسة. وسألتها إذا كانت قادرة على تأسيس مجموعة منزلية مثل فصل محو الأمية، يخصص فقط للتدريب على تكنولوجيا المعلومات الأكثر تقدماً. ردت قائلة، ربما أستطيع تطبيق هذه الفكرة.

### عبير - مهنية وطالبة بالجامعة غير متزوجة ولديها أطفال

عبير عمرها ٢٥ عاماً، غير متزوجة وتعول طفليها اعتماداً على عملها أمينة مخزن في منظمة البشائر غير حكومية. ولتحسين عملها أكملت تعليمها بالدراسة مساءً، وحصلت على بكالوريوس تجارة، تعيش عبير بالقرب من عائلتها، وتعتني والدتها بطفليها بعد انتهاء يومها الدراسي.

وألحقت عبير طفليها بحضانة البشائر عندما كانوا صغيرين، مما ساعدها على مواصلة عملها في المنظمة غير الحكومية. بدأت عملها في حضانة البشائر منذ ١٤ عاماً، وأصبحت مديرة لها بعد عدة سنوات من العمل، وتقول: "خبرة العمل بالتدريس أعطتني الخلفية التربوية اللازمة لتربية أطفالى. ثم عملت لفترة قصيرة في قسم الحسابات بالمنظمة غير الحكومية، إذ كنت حاصلة على دبلوم تجارة، ثم أصبحت مسئولة عن قسم المخازن".

بدأت عبير استخدام الكمبيوتر منذ نحو عشر سنوات. وتدرت على ذلك أثناء عملها، ومن ثم استطاعت استخدام برنامج حفظ الملفات الإلكتروني في نظام المخازن. إذ استخدمت البشائر مصمماً للبرامج، لعمل برنامج قاعدة معلومات لمخزنها، ولكن البرنامج كان يعطى نتائج خاطئة، وسرعان ما أوقفت البشائر استخدامه. وأرادت عبير الحصول على تدريب على برنامج إكسل لتحويل أوراقها المنفصلة إلى صورة رقمية. وكان ذلك يغطى ما يحتاج إليه المخزن حينها. لم تكن هناك حاجة ماسة إلى تطبيقات

مركبة فى تكنولوجيا المعلومات، ولكن توجد حاجة إلى تطبيقات عملية ومفيدة فى تحسين الإنتاجية.

وتقول عبير: "اعتدت على أن يكون لدى كمبيوتر فى المنزل، الأمر الذى أتاح لى التآلف مع تكنولوجيا المعلومات. أنا وزوجى منفصلان منذ عامين، وعندما ترك المنزل أخذ الكمبيوتر معه. وحتى الآن لم أجمع مالا كافيا لشراء جهاز لنفسى، ولكنى أمل أن أستطيع الحصول على أحد الأجهزة مستقبلاً."

وكان السبب الرئيسى للانفصال ضرب زوجها لها. وحاولت عائلتها إقناعها أن الضرب "سيتوقف، وستصبح الأشياء على ما يرام مرة أخرى بينكما"، ولكن عبير رفضت قبول الضرب. وهى صاحبة الدخل الرئيسى لأسرتها، حتى أثناء زواجها، وترى فى هذا مبرراً أكبر لعدم تسامحها مع إساءة زوجها معاملتها بدنياً. وبصرف النظر عن قدرتها فى الحصول على دخل، لم تكن عبير تحب أن تصبح العائل الرئيسى؛ فهى لا تمنع فى تحقيق دخل يعمل على تعزيز وضع الأسرة، ولكنها تفضل أن يكون لديها زوج أكثر قدرة على تولى المسؤولية المالية:

"يرتاح الرجال هذه الأيام إلى حصول زوجاتهم على دخل، فهذا يجعل الحياة أيسر بالنسبة للرجال، إنهم يؤمنون حقوقهم التقليدية، ويأخذون فوقها أخرى جديدة. لا يزعجنى أن أكون متزوجة على الورق، فمواجهة المجتمع كامرأة متزوجة شرعياً أسهل من المطلقة، وهذا أفضل أيضاً بالنسبة للأطفال. ولن يدفعنى للطلاق، إلا فقط زواجه من أخرى؛ فلن أسمح بأن أكون الزوجة الثانية".

ويعطيها دخلها حرية لا يمكن الاستغناء عنها؛ فهى لم تكن، لولا تعليمها ووظيفتها، قادرة على ترك زوجها. وقد ساعدتها المنظمة غير الحكومية فى العناية بالأطفال وفى تطوير تعليمها، وكان كلاهما مهماً حتى تظل عبير قادرة على إعالة نفسها مالياً.

## الأحلام تغير الحياة

تنتمى فيفيان وسلمى إلى مجتمع هامشى، مجتمع جامعى القمامة والعاملين فى إعادة تدويرها، حى الزبالين. وتعيش فى حى الزبالين مجموعة اجتماعية متميزة، يتزوج أفرادها غالباً من بعضهم بعضاً، ويحافظون على العادات الصارمة التقليدية لصعيد مصر، وهى المنطقة التى جاءوا منها. وتنتقل مهنتهم من الآباء إلى الأبناء، وتعمل البنات مع آبائهن وإخوانهن حتى يصلن إلى سن البلوغ<sup>(٢)</sup>. أمضت سلمى وفيفيان طفولتهما كعاملتين، تجمعان القمامة وتصنفاها. وحيث إنهما جزءا ممن يدرون دخلاً على الأسرة، لم يتح لهما الذهاب إلى المدرسة خشية أن يتعارض هذا مع عملهما.

وتتحدث فيفيان بحزن عن طفولتها:

منذ كنت فى السادسة من العمر، عملت فى إعادة تدوير القمامة، لأنها مهنة أبى، ويسهم جميع الأسرة فيها. لم أذهب إلى المدرسة أبداً، رغم أنى كنت راغبة فى ذلك بشدة. ونظرت إلى أطفال المدارس بحسد، أنظر إلى ملابسهم النظيفة، ويغظنى أنهم يسيرون على مهل إلى المدرسة بينما، يكون على الذهاب بصحبة أبى إلى العمل فى المشغولات اليدوية من القمامة.

رغبت دائماً فيما هو أكثر من مجرد الحياة. ولدى إرادة قوية، ويصعب التغلب على. عندما سمعت عن دورات محو الأمية فى كنيسة المنطقة، واصلت مطالبة أسرتهى السماح لى بالالتحاق. ورضخوا فى نهاية الأمر، ولكن كان على العمل فى إعادة التدوير والقيام بأعمال المنزل طيلة اليوم حتى أستطيع الذهاب لنورة محو الأمية. واطببت على الدورة لثلاثة أشهر، وكان أدائى ممتازاً. ولم أكن راغبة فى التوقف عند هذا الحد.

وفى آخر الثمانينيات، قدمت جمعية حماية البيئة (APE) فى حى الزبالين دورات للفتيات فى النسيج وفصول محو الأمة، ومشروع توليد دخل من منتجات النسيج بعد اكتمالها. ورغبت سلمى وفيفيان بالالتحاق بالتدريب على النسيج، ولكن لم يوافق أى من أبويهما. ثم اتفقت فيفيان مع أسرتهى، بعد خوضها مشادات مع الأم، على أن تسهم بدخلها من النسيج فى نفقات الأسرة.

وبعد التدريب، أعطوا البنات أنوالاً، يأخذنها إلى منازلهن، وينسجن السجاجيد عليها. وبعد إنهاء السجادة، تسلمها الفتاة إلى الجمعية لتحصل على الأجر. ودون تمكين البنات من استخدام النول في المنزل، لم تكن تلك البنات قادرات على إنهاء النسيج، لأنه لم يكن مسموحاً لهن العمل في أماكن عامة إذا كان العمل دائماً.

واتخذت فيفيان وسلمى، بعد أن شجعهما التدريب والدخل، خطوة أبعد فى تطوير نفسيهما، فحضرتا فصول محو الأمية، والتحقنا ببرنامج للحصول على دبلوم المدارس العليا فى النسيج، يستغرق ٧ أعوام. واليوم أصبحنا ضمن أهم أعضاء فريق العمل فى جمعية حماية البيئة: إذ أصبحت فيفيان السكرتيرة التنفيذية، وسلمى أمينة المخزن.

وتغيرت حياة سلمى بصورة درامية فى هذا السياق:

خلال عملى مع المنظمة غير الحكومية، زرت باريس سنة ١٩٩٢، والصين سنة ١٩٩٥، وجعلتنى زيارة النول الأخرى أكثر ثقة فى نفسى، ووسعت منظورى وفهمى للحياة. قبل سفرى، لم أكن أترك البيت مساءً أبداً؛ والآن لا أخشى التوجه بعد الإظلام لشراء بعض الضروريات.

وتعتزم سلمى بناء غرفة لنفسها فوق سطح منزل أخيها. وانضمت إلى أسرة أخيها بعد وفاة والديها. والآن بلغت سن الأربعين، وهى غير متزوجة. وتساعد أبناء أخيها فى واجبات المدرسة المنزلية، لأن زوجة أخيها أمية. ولا تقوم سلمى سوى بالقليل من أعمال المنزل؛ وتسهم مالياً فى ميزانية الأسرة، ومن ثم لها مكانة مرتفعة فيها. وقد واجهت سلمى عقبات صحية خلال حياتها. ولكن اكتسابها الدخل والاتصالات من عملها، أتاح لها فرصاً للحصول على رعاية صحية أفضل.

أما فيفيان، فقد وفر لها التعليم والدخل قدرة للتعبير عن نفسها فى نطاق الأسرة والمجتمع المحلى. وأتيح لها التحدث علناً ضد ممارسة ختان الإناث، وأن تنفق من أموالها على الصحة والتعليم ونفقات الحياة. كانت فيفيان ضحية لختان الإناث، وتضغط الآن لتجنب بنات أشقائها وأصدقائها وأقاربها التعرض لهذه المشكلة.

ولم تختزن فيفيان ابنتها. وتدفع نفقات تعليمها في حضانة خاصة للأطفال. وكانت حاملاً في شهرها التاسع أثناء المقابلة، وأخبرتني أنها سبق لها ولادة جنين ميت في مستشفى عام، ولذلك سوف تدفع نفقات الولادة في مستشفى خاص.

وعايدة أيضاً، من الملتحقات ببرنامج تعليم النسيج في جمعية حماية البيئة. وتعيش في حي الزبالين، رغم أن أسرتها لم تكن أصلاً من الحي. لقد انتقلت أمها للعيش في تلك المنطقة لأنها رخيصة؛ فبعد وفاة زوجها، أتت مع عايدة وأختها إليها للقيام بأعمال التنظيف، وكانت تشجع ابنتها على الذهاب إلى المدرسة حتى حصلت الاثنان على الدبلوم.

وعانت عايدة فترة شباب قاسية، وأدركت أن المجتمع المحيط بها لا يدعم أسرة من النساء، هذا إذا لم يناصبهن عداً صريحاً. وجعلها هذا المفهوم تركز على الأمان، الذي تمثل لها في الحصول على منزل آمن للأسرة. وبالفعل بنت منزلاً متواضعاً، وإن كان ينقصه كثير من الإصلاحات بسبب سوء قيام المقاولين بعملهم؛ ومن وجهة نظر عايدة فهذا يرجع إلى أن العمال لا يأخذون المرأة جدياً. وترغب في إعادة بناء منزل أمها الذي تعيش فيه معها وزوجها الجديد. وكانت تدخر المال لهذا، ولكن مدخراتها ذهبت لتغطية نفقات زواجها. ثم بدأت في تكوين مدخرات جديدة، وهي مصرة على بناء منزل قوى وجميل، كما أوضحت:

من الصعب الحياة بون أب أو أخ أو أقارب ذكور آخرين حول المرأة. حاول جاري توسيع منزله بالاستيلاء على منطقة ملكية عامة في الممر المجاور لنا. وعندما شكوت، هاجم منزلنا في الساعة الثالثة صباحاً، وهو سكران. وتقدمت بشكوى في قسم الشرطة، ولكن ما نفعني حقاً، كان تدعيم أعضاء من المنظمة غير الحكومية لوقوفى في هذه الشكوى القانونية؛ وبمساعدهم كنا قادرات على وقف المزيد من اعتداءات الجار.

وبسبب ظروفها الشاقة، وصلت عايدة حينما كانت في السنة النهائية من التعليم المتوسط، إلى قرار ترك التعليم الرسمي والاتحاق بالعمل على النول في المنظمة، للحصول على دخل يكفي لإعالة أمها. وشجعتها المنظمة على العمل مع أمها من المنزل



ومواصلة دراستها. وبالفعل حصلت على دبلوم التجارة، وعملت موظفة مكتبية فى المنظمة. وأصبحت الآن إحدى أربع نساء مسئولات عن قسم الورق الناتج عن إعادة التدوير. وينتج هذا القسم، كروتاً وأوراقاً للتغليف، وورقاً للكتابة وأنواعاً أخرى من السلع الورقية. وتباع المنتجات النهائية للفنادق والمدارس والشركات، وتعرض فى المتجر التابع للمنظمة غير الحكومية، القائم فى مبناها.

هل تسهم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى خلق مجال عام بديل للنساء

تتعارض الأمثلة التى سقناها لتعليم وعمل النساء فى سيوة وحى الزبالين مع المحاور التى تركز عليها أنظمة التعليم والعمل الحالية فى مصر، إذ يدور توجهها نحو مشاركة النساء فى المجال العام. ورغم هذا، ينبغى على الإناث الخروج إلى المجال العام للاستفادة من النظم. تمثل ثنائية المقابلة بين المجالين، العام فى مواجهة الخاص، قضية محورية فى تنمية المرأة (Gilman 1917)، وحتى تاريخنا هذا لم تحل بشكل كاف، مشكلة النظر فى واجبات وقيود المرأة اليومية الحالية (Valian 1999; Waring 1988).

سادت فكرة "العاملة النموذجية فى مقابل التدجين"، ولا تزال سائدة فى طريقة رؤية مشاركة النساء فى الاقتصاد. وتتمثل فكرة "العامل النموذجى" كما ترى ويليامز (Williams 2000: 1-6)، فى العامل الذى يعمل لنوام كامل، فضلاً عن العمل الإضافى فى أغلب الأحيان، ولا يكون مرتبطاً بواجبات الأسرة. و"العامل النموذجى" فى الأصل رجل، تسانده زوجته، التى تبقى فى المنزل للاعتناء بالجانب الصحى والأطفال. وينظر إلى التدجين باعتباره حزمة كلية من السمات تشكل حياة لا تتواءم بأى حال مع معطيات "العامل النموذجى"، مثل تربية الأطفال وأعباء الأسرة المعيشية، والواجبات الاجتماعية التى تتعارض مع العمل المدفوع الأجر، وهكذا.. (Stone 2007; Swiss and Walker 1993; Hirshman 2006).

وتظهر القصص التي روتها لمياء وإيمان وعبير وسلمى وفيفيان وعائدة، مدى التقدم الذى أحرزته بعض النساء فى تطورها، إذا أخذنا فى اعتبارها العقبات والحواجز التى واجهتها. لقد كان الأسهل عليهن الخروج عن نموذج المجتمع، من خلال بناء قدراتهن أولاً بواسطة أطر تراعى الصعوبات المجتمعية التى تواجهها النساء. وبالعكس، سيصعب الأمر أكثر إذا فرضت على النساء مواجهة القيود المجتمعية المفروضة فى البداية، حتى يتمكن من السعى إلى أهدافهن فى المجال العام، وبالتالي قد تحجم كثيرات وتتعثّر آماله.

وحتى الآن، "لم توجد الدولة... التى تكفل نسيجاً وثقافة حضرية، تدعم الرجال والنساء على قدم المساواة كمواطنين وعمال" (Hayden 2002: 232) ولا بد من التمرس مع الحياة وأطر العمل التى توفر فرصاً أكبر للتعليم وتنمية المهارات والإنتاجية، والدخول الأعلى نتيجة لكل ذلك. وتبدو تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، أداة مثالية لنموذج تنمية المرأة، ورغم هذا، لا بد من تجاوز سياق استخدام تلك التكنولوجيا، للهياكل السائدة التى لا تراعى النوع الاجتماعى. ويؤيد بحثنا، السعى المبدع إلى نموذج للحياة والعمل والتمكين، يكون أكثر تلاؤماً مع استخدام النساء للأشكال التكنولوجية المتاحة (وخاصة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات) التى يمكن توظيفها لتشجيع وزيادة أنظمة التعليم والعمل البديلة.

وفى حالة سلمى وعبير، نجح استخدام أنظمة تعليم الكبار المعتمدة على النوام الجزئى، رغم أن عموم الناس فى مصر يعتبرون هذا التعليم الموازى أقل كفاءة. وانعكس هذا الموقف فى المقابلات. أسماء، الباحثة التى تعيش فى أسوان، حصلت على دبلوم تجارة لمدة عامين، وأرادت الحصول على درجة جامعية حتى تستطيع الحصول على وظيفة مكتبية، ووجدت تعليم الكبار لنوام جزئى رديناً حتى إنها لم تستطع النجاح فى الامتحانات، رغم دخولها مرتين:

توقفت بعد محاولتى مرتين. لم أتعلم طوال العام ما يكفى لحصولى على الدرجات المطلوبة فى امتحانات نهاية الفصل الدراسى. والآن قدمت سيرتى الذاتية لمكتب القوى العاملة فى أسوان، على أمل أن يتم توظيفى بالدبلوم.

لا تظن سلمى أن تدريب الكمبيوتر الذى حصلت عليه سيحقق لها ميزة تضمن بها وظيفة حكومية. وتقول إنها أيضاً نسيت كثيراً مما تعلمته، لأنها لم تستخدمها<sup>(٣)</sup>. وتعيش أسماء فى قرية، وتشعر بالفعل بالتضرر لأن أسرتها لم تسمح لها بالإلتحاق بإحدى الكليات وبمركز للاتصال.

## الخلاصة

بحث الدراسة فى أهمية الأطر البديلة لتمكين النساء، من خلال نماذج مختارة من المصريات العاملات فى المشغولات اليدوية. وأظهرت المقابلات المشتركة النساء اعتبرنه داعماً لتحسين ظروف حياتهن بدرجة كبيرة. أكدت تلك الأطر للتعليم توليد الدخل، على مدى أهمية الفضاء والعوامل الجغرافية فى تنمية المرأة، فيما يتعلق بالمجموعة المبحوثة.

وفىما يلى بعض النتائج التى خرجت بها الدراسة:

- تستفيد النساء من المشاركة فى أنشطة المنظمات غير الحكومية التى تراعى الأعراف المحلية وتعمل على مسافة قريبة من القيود التى تواجهها النساء.
- التواصل عن قرب بشكل مستمر مع منظمة تقدم دعماً (مثل المنظمة غير الحكومية) أتاح لتلك النساء إمكانية استدامة وتدعيم التحسينات التى يحققنها.
- عبرت جميع النساء تقريباً عن حلمهن بالحصول على درجة جامعية، بصرف النظر عن حقيقة محدودية فرص التوظيف بالنسبة للحاصلات على تلك الدرجات. وترجع الأهمية التى تعطيها المصريات للتعليم إلى ما كانت توفره الدرجة الجامعية من حراك اجتماعى فى عهد النظام الناصرى. وسيكون من المفيد توفير تعليم وتدريب على المهارات للنساء، بشكل يحقق واقعياً فرصاً لتوليد دخل فى مصر المعاصرة.

- من الضروري أن تتوفر بمصر أنظمة بديلة وموازية ذات جودة عالية. وفي الوقت الراهن، يعتبر التعليم خارج العالم الرسمي وتوقيتاته، أقل جودة في معظم الحالات، والقيمة المترتبة عليه تكون أقل. وتعتبر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات أداة ممتازة لتوفير تعليم جيد للكبار في أطر خارج الهياكل الرسمية.

- ويجدر لفت انتباه صانعي القرارات إلى أمثلة ناجحة من النساء، عندما وجدن الفضاء الذي يكفي حاجات التعليم والعمل مع واقع حياتهن (الواجبات المنزلية والقيود المتعلقة بالمشاركة في المجال العام)، أصبحن قادرات على الوصول إلى مستويات عالية من التنمية الشخصية. وتعد تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ملائمة بصورة خاصة لتقريب المسافة بين الفضاء العام والمنزلي، إذ تخلق فضاءات افتراضية يمكن للنساء النفاذ إليها، إلى جانب الأشخاص الآخرين المعزولين في المجتمع (حالياً)، مثل الأشخاص الذين لديهم إعاقات. وحتى الآن، لم يتم في مصر استكشاف الإمكانية الكاملة لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات في التعليم والعمل، وباعتبارها أدوات للحصول على معلومات. إذ تستخدم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات غالباً داخل الأنماط التقليدية للعمل والتعليم، بدلاً من استخدامها في تأسيس نماذج للتعليم والإنتاجية تتميز بمرونة أكبر في الفضاء والوقت، وجعل الوصول إليها أيسر، لصالح النساء والرجال العاديين في مصر.

- دمجت أغراض الدراسة فضاءات النساء التقليدية داخل إطار اجتماعي اقتصادي مدعوم بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، يقلل إلى أقصى درجة الحاجة إلى الحضور في الفضاءات العامة من أجل التعليم والعمل. بصرف النظر عن واقع توفير تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لطرق بديلة في الاتصال والتواصل، فإن استخدام الإطار التقليدي للحياة أي العمل ما زال مستمراً، بما يحرم الاقتصاد المصري قدرًا هائلًا من الموارد البشرية.

- نوصى صانعى السياسات بالنظر إلى حاجات النساء بصورة أكثر نقدية ، إذا أرادوا تدعيم مشاركة المرأة فى تنمية مصر. ويمكن مضاعفة الاستثمارات التى تمت حتى الآن فى مجال تعليم المصريين، بجعل التعليم وتطوير المهارات متاحين فى المكان الذى توجد به النساء. وتعنى تقوية وإعادة تصميم بنية بديلة للتعليم والتدريب على المهارات والعمل، فضلا عن توفير وسائل تكنولوجية (حيث تلعب تكنولوجيا المعلومات والاتصالات دوراً كبيراً)، أن تصبح النساء قادرات على تطوير وزيادة إمكاناتهن، بدرجة تفوق بكثير ما يمكنهن تحقيقه فى ظل المجال العام الذى يهيمن عليه الذكور فى الوقت الحالى.

## الهوامش

- (١) أصبحت سيوة وجهة سياحية بعد مد طريق يربط الواحة بالطريق السريع الرئيسي في منتصف الثمانينيات. وأدى انفتاح الواحة إلى كثير من التغييرات عليها؛ منها شراء الفضة القديمة من الواحة، والتعامل التجاري الفج مع المشغولات اليدوية التقليدية.
- (٢) فيما بعد دخلت تغييرات كبيرة على حي الزبالين، نتيجة لاتخاذ الحكومة قراراً بتحديث نظام جمع القمامة، وإسناد المهمة إلى شركات إسبانية وإيطالية. وتم التوصل إلى اتفاق يتيح للزبالين العمل في جوانب بعينها في دورة جمع القمامة.
- (٣) خطوط الاتصال مع القرية ضعيفة جداً، حتى إن أجهزة الكمبيوتر الشخصية في المنظمات غير الحكومية لا يمكن استخدامها تقريباً في الدخول على شبكة الإنترنت.

## المراجع

- Folbre, N. (2001) *The Invisible Heart: Economics and Family Values*, New York: New Press.
- Gilman, C. P. (1917) 'The housekeeper and the food problem', *Annals of the American Academy of Political Science*, 123: 127.
- Habermas, J. (1989 [1962]) *The Structural Transformation of the Public Sphere: An Inquiry into a Category of Bourgeois Society*, Cambridge, MA: MIT Press.
- Hayden, D. (2002) *Redesigning the American Dream: The Future of Housing, Work, and Family Life*, New York: Norton.
- Hirshman, L. (2006) *Get to Work: A Manifesto for Women of the World*, New York: Viking.
- Spain, D. (1992) *Gendered Spaces*, Chapel Hill: University of North Carolina Press.
- Stone, P. (2007) *Opting Out? Why Women Really Quit Careers and Head Home*, Berkeley: University of California Press.
- Swiss, D. J. and J. P. Walker (1993) *Women and the Work/Family Dilemma: How Today's Professional Women are Finding Solutions*, New York: Wiley.
- Valian, V. (1999) *Why So Slow? The Advancement of Women*, Boston, MA: MIT Press.
- Waring, M. (1988) *If Women Counted: A New Feminist Economics*, New York: Harper & Row.
- Williams, J. (2000) *Unbending Gender: Why Family and Work Conflict and What to Do about It*, Oxford: Oxford University Press.
- Woolf, V. (1929) *A Room of One's Own*, London: Hogarth Press.





## الفصل الثامن

### استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في تحقيق الآمال وأداء الالتزامات النضال ضد العنف على أساس النوع في المغرب

أمانة تافنوت؛ عاطفة تيجردين

التغيير، الأمل، بداية جديدة، اليأس، الهزيمة، السلطة، التحدي، الالتزام

بتلك الكلمات عبرنا عن أنفسنا، أثناء المقابلات التي أجريناها مع الناجيات من التعنيف، والعاملات في مراكز الاستشارات للمساعدة القانونية في المغرب، التي تحول إليها المعنفات عند الحاجة لذلك. وحينما رفضت الناجيات اعتبار العنف حقيقة محببة ومهذرة لكرامتهن، كان هذا يعني تغييراً ضمنياً. كما لمسنا أيضاً الإحساس بالأمل في مستقبل أفضل وعالم مختلف للنساء، يسوده السلام وتصان فيه كرامتهن. وبصرف النظر عن الصدع الذي ترك علامته في جانب من حياتهن، فإنهن كن قادرات على الانفتاح مرة أخرى على العالم، والتوجه في ثقة وجرأة إلى خبرة جديدة، وهكذا بدأن من جديد. وهذا على الرغم من وجود أخريات شعرن باليأس والهزيمة، اللاتي كسرن تحت وطأة الفقر والعنف.

وأبدت العاملات في المراكز الاستشارية قدرة ورغبة في مواجهة التحديات، ومواجهة الثقافة السائدة، التي تسمح بالعنف والتمييز وتضفي عليهما شرعية، واستعداداً لمكافحة العقليات التي تتعامل مع النساء باعتبارهن أدنى من الرجل، والخطاب الصادر عنها. وكن ملتزمات بخلق مناهج جديدة للدفاع عن النساء، ومؤمنات بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وكن يعتبرنهن الأدوات الأكثر فاعلية في فضح العنف وإدارة المراكز أيضاً. ورأين تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ثورة في وسائل الإعلام، وانفتحا على التنمية والتواصل، وأصلاً رئيسياً بالنسبة لهما.

### خلفية البحث

عندما فكرنا في دراسة حول أشكال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من منظور استخدامها من مراكز الاستشارات والمساعدة القانونية، وضحايا العنف في المغرب، بدا البحث ذا طبيعة عامة ووصفية. ورغم هذا، ففي سياق التحضير للجوانب الخاصة بالفروض والمنهج، والتفكير فيها، أثرت بعض الأسئلة:

- أي الأساليب البحثية يمكن تبنيها في معالجة العنف القائم على النوع الاجتماعي، في سياق يشكل فيه هذا العنف جانباً مقبولاً في الفضاء الخاص، ولا يعد انتهاكاً لحقوق النساء كجزء من حقوق الإنسان، ولا ظاهرة اجتماعية في حاجة إلى الدراسة التحليلية؟

- ما الأسلوب النظري والمنهجي الممكن تبنيه في معالجة مسألة استخدام الناجيات من العنف الأسرى لأشكال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات؟

واتضح لنا أن سؤال البحث نفسه مثير للجدل حول دور أشكال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات كأدوات يمكن للنساء استخدامها في سعيهن لمواجهة كل أشكال التمييز. وفي الوقت الحالي، لفت "العنف ضد النساء" قدراً كبيراً من الانتباه في المغرب من قبل جمعيات حقوق الإنسان والمرأة. وبسبب التركيز حالياً على استخدام أشكال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، أدرجت قضية العنف ضد النساء في خطاب التغيير والتنمية عند الحديث عن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

بما أننا نحيا الآن عالماً أصبحت فيه تكنولوجيا المعلومات أداة للعمل، ووسيلة لتمكين الأشخاص، وسببياً للدخول إلى عوالم متعددة، وتقريب المسافات وتكوين علاقات، فقد أثرنا السؤال على النحو التالي: كيف، ولماذا، تلجأ الناجيات من العنف والعاملات في مراكز الاستشارة والمساعدة القانونية، إلى استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في مكافحة العنف القائم على النوع الاجتماعي؟ ويفيد في الإجابة عن هذا السؤال، إلقاء الضوء على ما إذا كانت الناجيات من العنف يستفدن فعلياً من انفتاح المغرب على عالم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

نعلم أن بيئة المغرب التي نحيا ونعمل فيها، تتسم بتفاوت بين الرجال والنساء وغياب الوعي النوعي. وقلة مشاركة النساء في صناعة القرار أيضاً، وعدم بذل مجهود لمحو الأمية الرقمية، وغياب محاولات تذليل العقبات التي تعاني منها النساء في أداء الأدوار النوعية الثلاثية (Smyth et al. 1999: 14).

تواجه المغربيات تحديات عديدة، اقتصادية واجتماعية وثقافية، تمنع عنهن فرص الوصول إلى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات واستخدامها (من ثم تقلل قدرتهن على الاستفادة منها). ويتسم قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بوجود تفاوت بين الرجال والنساء، ولا يعطى النوع الاجتماعي، أو المساواة في التنمية اعتباراً عند معالجة المشاكل الاجتماعية. وفوق هذا، يحد قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من إمكانية إدماج النساء اجتماعياً ومهنياً أيضاً، خاصة الفقيرات والأميات منهن. ويرجع هذا إلى ما يتطلبه استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من مستوى تعليمي متوسط على الأقل، ووسائل مالية للدفع في شراء الأجهزة، ووقت للتدريب (خاصة بالنسبة للنساء اللاتي يتولين مسؤوليات الأسرة) وقد أوضحت لنا إحدى مبحوثاتنا ما يلي:

"بالنسبة لي، أرغب في تعلم طرق استخدامها، ولكن لا يمكنني هذا الآن. فهي توفر خدمات كثيرة. وأصبحت ضرورية، ومن لا يعرف استخدامها يعد أمياً. فأنا أعتبر نفسي أمية. وقد بدأت التعلم بعض الوقت، ولكنني توقفت. فالأمر يحتاج إلى عدد من الساعات يومياً".

يكمن جوهر المشكلة فى مسألة وضع المرأة فى المجال العام بالمغرب. فإذا ما تركت المرأة عائلتها، تصبح خاضعة للمعايير العامة للسيطرة الأبوية أخلاقيا واجتماعيا، وتفقد أى قدر قد يكون لديها من "السيادة" على نفسها. ويسهم هذا فى واقع التباين بين حضور النساء والرجال على فضاء الإنترنت، وبالتالي يعمق الفجوة الرقمية القائمة بين النوعين فى المجتمع المغربى (Centre National de Documentation du Maroc 2003: 104). لا يقبل المجتمع إلى حد كبير وجود النساء فى بعض الفضاءات العامة (منها مقاهى الإنترنت)، لأنهم يعتبرونها فضاءات مقصورة على الرجال (وخاصة بالنسبة لاستخدام الإنترنت، إذ يستخدمها بعض الرجال فى مشاهدة مواد إباحية). وقالت لنا ليا من مكناس:

فى مقهى الإنترنت، لا تكون هناك رقابة على الرجال. ويستخدمون مواقع إباحية فى بعض الأحيان، وليس هناك من يهتم بذلك. ولكن النساء يشعرن بالإحراج لأن الآخرين يشاهدونهن بعين راصدة لما يكتبن أو يشاهدن، حتى ولو كان من قبل صاحب مقهى الإنترنت. وعلى هذا لا تكون لديهن خصوصية.

تزامنت دراستنا مع النقاش الدائر فى المجتمع المغربى حول قضايا كانت محرمة لفترة طويلة، وأهمها قضية حقوق النساء، التى أصبحت الآن مركز جدل سياسى، وفى المجتمع المدنى. وفى هذه الحالة، كان علينا تحديد موقفنا بوضوح. فنحن، كباحثات ونسويات، فاعلات فى التغيير الجارى حولنا، بكل ما نمثله، وبكل ما نملك، فيما يتعلق بالتمكين. ومثلت لنا هذه الدراسة حول استخدام النساء لأشكال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى مكافحة العنف القائم على النوع الاجتماعى، فرصة مزدوجة، كباحثات ونساء مهتمات بشدة بتمكين النساء: تمكين أنفسنا مع الإمكانيات سريعة التطور، الذى يعد نوعاً من استكشاف مهارتنا، وتمكين النساء اللاتى نعمل معهن بواسطة إدخالهن هذه العملية البحثية المحددة.

## منهج البحث

تضمنت المشاركات فى بحثنا، عاملات فى مراكز قانونية (مشرفات على العمل والتنسيق مع الجمعية التى تتبعها المراكز)؛ ومستشارات للمرأة والمساعدة القانونية اللاتى تتمثل مهمتهن فى الاستماع للنساء ومساعدتهن، والاتصال بأصحاب الأمر المعنيين بظاهرة العنف؛ والناجيات من العنف اللاتى يتوجهن إلى المراكز بحثاً عن الإرشاد والاستشارة والمساعدة النفسية والقانونية.

لاختيار الناجيات من العنف، لجأنا إلى مساعدة مديرات المراكز، حيث لديهن وسائل الاتصال اللازمة. ولم تكن الناجيات فى العمر نفسه، ولا منتميات إلى الطبقة الاجتماعية نفسها، ولا من المستوى التعليمى نفسه أيضاً. وفى هذا الفصل اقتبسنا عن أربع من الناجيات (لم نستخدم أسماءهن الحقيقية، من أجل حمايتهن) يعكس التنوع بين النساء اللاتى يلجأن إلى تلك المراكز للمساعدة. وهذا على الرغم من تكويننا لفهم العام حول الموضوع، استندت على محادثات أجريناها مع أربعين من المستعینات بخدمات المراكز، ومديرات ستة مراكز قانونية، تقع مقراتها فى الرباط (مركزان) وفيز ومكناس ومراكش وأوجادين.

وأكتشفنا أن إجراء دراسة حول العلاقة بين العنف القائم على النوع الاجتماعى واستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من الأشياء السهلة والصعبة فى الوقت نفسه. سهلة بمعنى أننا نستطيع توفير المادة البحثية وأدوات العمل، ولأن لدينا تصورات واضحة على المستوى المنهجى حول كيفية معالجة مشكلة البحث، ولكنها صعبة، لأن هؤلاء النساء كن فى أزمة حين تقابلنا معهن، وكن متنوعات أيضاً. جئنا إلى هذه المراكز خصيصاً بحثاً عن حل لمشكلاتهن، ولهذا صعب علينا الوصول إلى إجابات عن أسئلتنا حول موضوع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات التى قد لا يجدها أولوية بالنسبة لهن فى هذه اللحظة.

ويقودنا في تحديد محور تركيز البحث حلمٌ بمستقبل أفضل لنساء المغرب. ويفترض هذا الحلم أن فرص استخدام المعلومات حقاً للجميع، وبإمكان الناجيات من العنف المطالبة بحقهن في العيش بأمان اقتصادي واجتماعي ونفسي، والمطالبة بحقهن في فرص الحصول على المعلومات ومنتجاتها.

## ذواتنا.. وذوات الآخرين

لم ننظر إلى المبحوثات باعتبارهن موضوعاً للدراسة، و لم نتعامل أيضاً معهن باعتبارهن مجرد المواد المفسرة لتكون المعنى في حياتهن اليومية، وبناء منطقها. بل نظرنا إليهن باعتبارهن فاعلات يشاركن في خلق واقعهن، وهكذا يسهمن حتماً بشكل رئيسي في إحداث تغيير اجتماعي يتلاءم مع حياتهن. وقادنا هذا المنظور إلى تبني أسلوب بحث العمل الميداني التفاعلي، وأن نتخذ موقفاً نقدياً تجاه عملية بناء المعرفة، مدركين أن المبحوثات اللاتي عشن ظروفاً صعبة في حياتهن، تصبح الصعوبات أمامهن أكبر، إذا فقدن فرص استخدام قنوات التعبير عن الذات. كما تضمنت أهدافنا أيضاً تطوير خطط فاعلة للعمل، استناداً على هذا البحث، وهكذا ننتقل إلى الخطوة التالية، الحلم التالي.

استطعنا بناء علاقات مع الناجيات من العنف، ومع العاملات في المراكز أو الجمعيات أيضاً، اللاتي تمكنا معهن من مواصلة العمل لرسم إستراتيجيات وبرامج، تهدف إلى القضاء على العنف ضد النساء، وكسر نماذج التحريم والصمت التي تشجع اصحاب السلوك العنيف على مواصلة عنفهم. وفي عملنا الميداني ومقابلاتنا مع النساء، حاولنا الانفتاح على النساء مع الاحتفاظ بموقفنا الانعكاسي (RA) في الوقت نفسه، الجمع بين المهنية والحميمية. ويعود الفضل فيما عرفنا عن المبحوثات إلى قدرتهن على التعبير عن أنفسهن، فالحق في الكلام أمر لا يمنع، ولكنه يؤخذ.

## النتائج

العاملات في المراكز واعيات بأهميتهن ودورهن في تحقيق التغيير، وتأثير خبرتهن في الضغط والتفاوض وتعزيز التضامن. وقد اكتسبن قوة وقدرة من خلال انتمائهن إلى مجموعة عاملة ومناضلة من أجل هدف واحد، من خلال منظور واحد، داخل المغرب وخارجها. ويعطين هذا ثقة في النفس ويدفعهن إلى الأمام وقتما يتسلل اليأس إليهن. ولقد استخدمن بالفعل كل أدوات تكنولوجيا المعلومات المتنوعة (تليفون، وإي ميل، وإنترنت)، وهكذا كان لاستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، تأثير إيجابي في مكافحة العنف الأسرى، من خلال تحسين الاتصالات، وصناعة القرار.

تسمح تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بالتعبير عن الذات والعمل الجماعي. وتقول فتيحة من الرباط، وهي تعمل في مركز قانوني:

إنها تيسر العمل فعلياً. على سبيل المثال، على المستوى الإحصائي، اعتدنا العمل اليدوي، ولكن الآن بفضل الشبكة لا نجد صعوبة في الحصول على أي نتيجة معينة نريدها، مثل العمر والمنطقة.. إلخ. وكنا نعتمد من قبل في الاتصال بالضحية على العنوان والتليفون الأرضي، ولكن معظمهن الآن يعطوننا أرقام تليفوناتهن المحمولة. وفيما يتعلق بملفات الضحايا، نبحت الآن عن اسم الضحية بواسطة الكمبيوتر لتحديد الملف الكامل بالإضافة إلى البيانات الأخرى.

ويصرف النظر عن المهام المنسوبة إليهن، سواء كن مستشارات أم مديرات أو معاونات، تدرك العاملات في المراكز القانونية الدور المهم الذي تلعبه تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، في رفع الوعي حول ظاهرة العنف وفتح آفاق أساسية جديدة للعمل، إذ حسنت أساليب العمل ويسرت تبادل المعلومات مع المراكز القانونية الأخرى. وقالت زكية من مراكش:

إنها تسهل كثيراً من الأشياء. فبدلاً من الانتقال إلى مراكش أو الرباط في يوم واحد، ييسر علينا العمل إرسال إيميل. وأستطيع الرد على الإيميل بينما أعمل. وأستطيع القيام بأشياء كثيرة في الوقت نفسه، الفاكس، الإنترنت والتليفون. وبدلاً من إرسال خطاب، قد يستغرق ثلاثة أيام. يصلك الرد على الإيميل فوراً. وبدلاً من إنجاز وحدة من العمل كل شهر، أنجزها في يوم واحد.

أخبرتنا الناجيات من العنف، اللاتي فتحن قلوبهن لنا، عن حياتهن فى لحظات الصعود والهبوط، وحول ما يرتبط أيضاً بخبرتهن مع العنف، وشعرنا أنه أمر لن ينسى بالنسبة لهن. ولكن تحدثت بعض الناجيات من العنف أيضاً حول حياتهن الجديدة، وكن يشعرن بالانفتاح مجدداً على الحياة كالمراهقات.

وعندما طلبنا من تلك النساء الحديث عما تعنيه تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى كلمات قليلة، لم نكن متوقعين مثل هذه الخبرة القوية والعميقة. لقد اعتبرت بعض المبحوثات التليفون المحمول مثل "الصديق وقت الحاجة، وأخيك وأمك وأبوك"، وحلال للمشكلات، و"يجعل الناس أقرب"، و"الحماية فى بعض الأوقات"، و"ضرورة". وقالت أخريات عن الانترنت: "لا نستخدمها لفضح العنف فقط، ولكن فى المعرفة أيضاً، وفى علاقاتنا وتعليمنا". ويمكن تفسير تلك الكلمات البسيطة والعميقة بالظروف والأحوال التى تستخدم فيها النساء هذه التكنولوجيا، وربطها بها.

فتقول سناء من مكناس: "كنت مطرودة من منزلى، فاتصلت بأبى وطلبت منه زيارتى. واتصلت بعائلتى لتساعدنى. وربما إذا لم يكن هناك تليفون محمول، لما تمكنا من الحضور إلى".

وتقول لمياء من مكناس:

"فيما سبق، كان الوضع مختلفاً عما هو عليه الآن. كان هناك عنف فى سياق معين. فقد اعتاد الناس العيش فى أسر ممتدة. فإذا ارتكب الزوج عنفاً، تتدخل العائلة وتوفر الحماية. الآن ربما ترتكب جريمة ولا يكون هناك أى شخص يقدم حماية. فهناك الله والتليفون المحمول".

### الناجيات مستعدات للتغيير

بدأت الناجيات من العنف اللاتي أبدين استعداداً للتغيير، ممتلئات بالحياة والحيوية. وتمكنت الواصلات من أنفسهن واللاتي يمتلكن القوة، من استعادة احترامهن لذاتهن، والتصالح مع النفس. وتمكن من ذلك باتخاذ قرار بشأن حالتهم غير السارة،



بصرف النظر عن التأثيرات الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والعائلية. وتوصلن إلى اكتساب قدر من التحكم فى حياتهن ومصيرهن، وحياء ومصير أسرهن وأطفالهن. ورفضن العنف وتسلحن لمكافحة. وتحولت تلك النساء من كونهن ناجيات من العنف، إلى أن أصبحن فاعلات ومناضلات.

وعندما حصلت تلك النساء على أدوات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، مثل التليفون المحمول، كن مدركات للدور الإستراتيجى لها فى حماية أنفسهن، والانفتاح على ما يحدث خارج الدائرة المحيطة بهن، ومحيطهن المحدود. ووفقا لهن، حل التليفون المحمول محل دور العائلة فى الإبلاغ عن مشكلة. وكما أوضحت إحدى الناجيات من العنف: "فيما سبق عندما كان زوجك يضربك، تبحثين عن المساعدة فى أسرتك التى تطلب منك الصبر، ولكن الآن بإمكانك الاتصال بمركز المساعدة القانونية، الذى ربما تعرفين من خلاله أخريات لديهن قضيتك نفسها، ومن ثم تساعدين الأخريات فى رفض العنف".

وبعض تلك النساء استخدمن الإنترنت مع كل ما تقدمه من خدمات، إذ أصبحت فضاء مهم للإبداع ونشر المعلومات. ويتمكن النساء عبرها من تكوين علاقات والإلمام بخبرات أخريات فى أنحاء العالم. عازمت تلك النساء على التدريب والتعليم من أجل مواكبة التقدم التكنولوجى، ورفض استبعادهن وخسارتهم للفرص. وصارت تلك الناجيات من العنف، متحكمت فى مواردهن، لا يحتجن إذنا من أى شخص للحصول على تلك الأدوات أو استخدامها.

**إتاحة فرص الاستخدام للنساء مع غياب قدرتهن على التحكم فى مصيرهن**

بعض النساء اللاتى رفضن ظروفهن، بقين مع هذا "خاضعات"، ولم يصلن حد التمرد والتحول عن شكل حياتهن السابق. ومن بينهن من لم يتمكن من قوة للتحكم فى مصيرهن. وكن محاصرات بالخوف وغياب الثقة بالنفس، رغم تطلعهن إلى الأمل

فى المستقبل بشكل من الأشكال. وكن حتى تك اللحظة لا يدركن أن ما يعشن فيه ويعانين منه، لم يتسبن فيه، كما أنه ليس حتميا. ومن بينهن، نساء يمتلكن وسائل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، ولكنهن ينظرن إليها باعتبارها تعمل على زيادة التفاوت بين الفقراء والأغنياء، ويعلمن أن بإمكانهن توقع مزيد من الإمكانيات عبر تلك الأدوات. ومن بينهن أيضاً، نساء يمتلكن وسائل تكنولوجيا، وخاصة التليفون المحمول، ولكن ليس لديهن قدرة على التحكم فى استخدامه، لانهن معرضات للحرمان منه فى أى وقت، أو لا يستطعن استخدامه إذا كان ذلك يفضب أزواجهن. وقالت لنا عائشة: يجب أن أخبر زوجى، لأن موافقته ضرورية. فالرجال ينظرون إلى التليفون المحمول كما لو كان عدواً. وإذا كان للرجل حق امتلاك تليفون محمول، لماذا لا يكون للمرأة هذا الحق أيضاً، إذا احتاجت إليه؟

لا تشعر تلك النساء أنهن مؤهلات للمشاركة فى المستقبل المشرق الذى "تعد" به تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، من خلال توفيرها لفرص الحصول على المعرفة وتحسين شروط المعيشة. وقالت امرأة من فين:

لست مقتنعة. الجانب المالى ليس سببا فى عدم امتلاكى تليفون محمول. لدى المال. لا أعرف طريقة استخدام التليفون المحمول. يقول لى أخى، إنه لا بد من استخدام السبورة فى التعلم، لم تكن لدى فرصة التعليم.

### عدم توفر فرص الاستخدام رغم اجتياز الخطوة الأولى

وهناك أيضاً نساء ما زلن يعانين من ظروفهن الصعبة، وليس لديهن قدرة على تغييرها. ولكن حتى تعبيرهن عن اليأس بدموعهن، كما فعلت بعضهن فعلياً، يمكن تفسيره رغم ذلك على أنه رفض لقبول الصبر، الذى يعدونه أفضل طريق للمرأة لتصل فى النهاية إلى علاقة يمكن تحملها مع زوجها. ومن هنا، يمكن النظر إلى التعبير عن الشكوى والغضب باعتباره خطوة أولى فى التغلب على اليأس.

## التصورات حول عقبات استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات

وفقا للمستشارات والمساعدات فى المراكز القانونية، استنادا على خبراتهم فى العمل اليومي والاتصال المباشر مع الناجيات من العنف، تمثلت العقبات الأساسية فى استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بالنسبة للنساء، فى التيار الكهربى والفقر و"نقص الوعي" وتسلط أزواجهن عليهن.

وبالنسبة للعاملات فى المراكز، كان نقص التدريب الحاجز الأول دون استخدام الإنترنت. ورغم هذا كان الأسلوب الذى تبنته الجمعيات، إرغام المراكز على توظيف أشخاص متخصصين فى معالجة البيانات. ورأت مديرات المراكز أن الوسائل المالية المحدودة تعد الحاجز الرئيسى أمام التكنولوجيا. وصحیح أن المملكة المغربية بدأت فى إدراك دور مثل هذه الجمعيات (خاصة جمعيات المرأة والمراكز الحقوقية) فى التنمية ورفع الوعي، ولكن المراكز تعتمد على المنظمات الدولية فى تمويل المشروعات، وتسعى دائما إلى التمويل من أجل تأمين استمرارها.

## الخلاصة

من خلال بحثنا ومقابلة المبحوثات، اتضح لنا أننا لا نستطيع الحديث عن فرص وصول النساء إلى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى سياق يتسم بغياب وسائل تعمل على مراعاة النوع الاجتماعى وحاجات الأشخاص الفقراء.

اتضح صحة افتراض أن كل النساء متساويات فى العنف، بصرف النظر عن عمرهن ومستوى تعليمهن، والظروف الاجتماعية والاقتصادية والموقع الجغرافى (ريف أو حضر). إذ ضمت المناقشات الجماعية المكثفة (FGD)، نساءً مختلفات فى الأعمار والثقافة والظروف الاقتصادية والاجتماعية. إذ كانت هناك بالغات وشابات وأميات وغير أميات وموظفات وعاملات ومدرسات وغير متزوجات ومتزوجات ومطلقات. واتضح لنا الدور الذى تلعبه تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى رفع الوعي بالعنف على أساس

النوع الاجتماعي. وأنها أيضاً وسيلة تعبير ، وانفتاح على أفق جديدة للعمل وتحسين أساليبه وتوفير الوقت الثمين.

ورغم هذا، فما بين السبورة في عالم تعلم القراءة والكتابة، والتكنولوجيا المعاصرة فجوة تاريخية، تبدو غير قابلة للقفز عليها لدى نسبة كبيرة من النساء. لا يمكن العودة إلى السبورة السوداء، ولا يمكن أيضاً الدخول في مزايا العوالم الافتراضية. وهكذا تتحول العلاقة مع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، إلى أحد الموضوعات المجهولة. فما العلاقة في ذلك بسلطة الرجال؟ هل يمكن الحديث عن نوع من "تكنولوجيا الذكور"؟ وكما ذكرت لنا إحدى مبحوثاتنا : "يتحكم الزوج أو الأب أو الأخ الأكبر في الريموت كونترول".

توفر تنمية تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فرصاً هائلة لتمكين النساء. ورغم ان الدراسة التي أجرتها اليونسكو في ٢٠٠٣ أعادت التأكيد على وجود فجوة رقمية بين النوعين، وأن أولويات التدخل، فضلاً عن الاستخدام المتساوي لأشكال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بين النساء والرجال، لا بد من تركيزها أيضاً على مشاركة النساء في صناعة القرار، ومحاربة الأمية وتذليل العقبات المرتبطة بالأدوار النوعية الثلاثية الملقاة على عاتق النساء.

واستناداً إلى آراء العاملات في المراكز الحقوقية، خلصنا إلى أن أشكال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات تعد أدوات أساسية في احتواء ظاهرة العنف من خلال السيطرة على المعلومات المرتبطة بها وامتلاكها. وزعم هذا كانت فرص الناجيات من العنف لاستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات محكومة بأوضاعهن الاقتصادية الاجتماعية، ومستواهن التعليمي، وظورف معيشتهم، ومدى استقلالهن. ويثير ذلك تساؤلاً حول تحقيق الديمقراطية وتعميم استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وتبنى ما يلزم من إجراءات تدعم من جديد فرص استخدام النساء لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات. ولقد اعتقدنا أن هؤلاء النساء سيستطعن المحافظة على مواكبة التقدم التكنولوجي الذي تشهده بلادنا، ولكن يبدو أن تأنيث الفقر والأمية وصل إلى أعلى مستوياته (Association Démocratique des Femmes du Maroc 2007).

من الضروري أن تهتم السياسات الداعمة لتمكين المرأة بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات باعتبارها عنصراً رئيسياً للتغلب على الفجوة الرقمية التي تعاني منها النساء، وخاصة الناجيات من العنف، وباعتبارها خطوة باتجاه كسر الصمت المحيط بهذه الظاهرة.

وقد ظهر أن بين الناجيات من العنف، كثيرات غير قادرات على الاستفادة من الفرصة المصاحبة للتقدم الرقمي الذي يسود العالم، إلا أن ما علمناه أيضاً حول خبرات استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، أطلق بعض الآمال، وجعلنا متفائلين، وزاد إيماننا وثقتنا في قدرة النساء على استخدام تلك الأشكال التكنولوجية لجعل حياتهن أفضل ولتحقيق التغيير المرجو.

## المراجع

- Association Démocratique des Femmes du Maroc (2007) Rapport parallèle des ONG au 3ème et 4ème rapports périodiques du gouvernement marocain.
- Centre National de Documentation du Maroc (2003) L'implantation d'Internet au Maroc: enjeux et perspectives.
- Smyth, I., C. March and M. Mukhopadhyay(1999) Guide to Gender Analysis Framework, Oxfam Publishing, Arabic version.
- United Nations ICT Task Force (2003) Tools for Development: Using Information and Communications Technology to Achieve the Millennium Development Goals, Working paper.

## الفصل التاسع

### الأسماء فى دليك لأرقام التليفون هل تملك شبكات التليفون المحمول دوراً فاعلاً فى الدفاع عن حقوق النساء فى زامبيا؟

كيس برين إبراهيم

منذ زمن طويل، تؤسس النساء مجموعات وتنظيمات داخل مجتمعاتهن الخاصة من أجل حل مشاكلهن المشتركة بصورة جماعية، وتكوين شبكاتهن، وتبادل الخبرات، وممارسة الأنشطة الداعية التغيير. واتخذن أشكالاً مثل الجماعات الطبيعية التى تنشأ حول الجمعيات الكنسية، ومبادرات المجتمع المحلى والأحياء، وجماعات المصالح المهنية. وقد أثر دخول التليفون المحمول على الاتصالات فى هذه المجموعات النسائية بأساليب مختلفة، الأمر الذى خلق حاجة للبحث فى هذه الأساليب.

قد تعوق بعض الصعوبات الاستفادة من إمكانات الاتصال بواسطة التليفون المحمول، فى حشد التأييد حول الدعاية لقضايا المرأة. قد تتضمن تكاليف تقديم الخدمة الباهظة، وغياب الإدماج الرسمى والفعلى للتليفون المحمول فى مبادرات تكوين شبكات إدارية، فضلاً عن القيود (سواء العملية أو الناتجة عن التقاليد) التى تقيد حرية النساء فى التمتع بفرص الوصول لخدمات الاتصال واستخدامها بصورة مستقلة.

يعتمد هذا الفصل على البحث الذي أجريناه فى ليسوتو عامى ٢٠٠٧ و ٢٠٠٨، واستهدف اكتشاف مدى التغيير أو التأثير الذى قد يطرأ على الاتصالات التى تجربها المجموعات النسائية فى سياق دعايتها وسعيها لتغيير الأوضاع (الجماعات المؤسسة لهذا الغرض تحديداً)، من خلال استخدام التليفون المحمول.

## إجراءات البحث

استندت كمصدر رئيسى للمعلومات على رئيسات خمس مجموعات نسائية، تنشط أساساً حول تمكين النساء (مجموعات تشارك، أو مرتبطة، بنشاط الشبكات الأعضاء فى مجلس تنسيق المنظمات غير الحكومية (Non-Governmental Organizations) (Coordinating Council)، ومسؤولين من الهيئة التنظيمية الحكومية المسنولة عن تقديم خدمة التليفون المحمول، وممثلين عن مقدمى خدمة التليفون المحمول. وقد أجريت مقابلات كيفية مركزة مع هؤلاء الأشخاص.

## النتائج

إمكانات النساء فى تشكيل الشبكات: الاتصالات عبر التليفون المحمول ممكنة فى أنحاء زامبيا المختلفة، أيا كان بعدها، نظراً لاستخدام تكنولوجيا لا سلكية، لا تتطلب سوى حد أدنى من ترتيبات البنية التحتية لتشغيلها، على عكس أنظمة الاتصال عبر تليفونات الخطوط الأرضية الثابتة. وتستطيع النساء أو المجموعات النسائية التى لديها تليفونات محمولة الاتصال بنساء ورجال آخرين، دون حاجة إلى وجود رقابة، ويتطور محتوى الاتصال أثناء إجرائه، دون وجود شخص خارجى يقوم بإخضاع المكالمات لإعادة صياغة.

يظل مستخدمو التليفون المحمول أشخاصاً على صلة وثيقة بالآخرين طالما كانت أسماءهم مدرجة فى دليل الأرقام التليفونية والعناوين المخزونة فى ذاكرة التليفون



الخاص بهم. ويؤمن المستخدمون لأنفسهم، بواسطة دليل الأرقام التليفونية، فرصة الوصول للمستخدمين الآخرين بصرف النظر عن بعد المسافة إليهم. وقد استخدم أنصار تمكين المرأة هذه الإمكانية لخلق قناة لبث رسائل المناصرة إلى مستخدمى التليفون المحمول. ونتيجة لهذا، تمكنوا من تكوين شبكات ربطت بين المستخدمين الأفراد من أجل الدفاع عن قضايا مطروحة على الاهتمام العام. وتحولت هذه الشبكات إلى مجتمعات واقعية، حيث يمكن للمستخدمين خلق قنوات لبث الدعوة عبر قوائم عامة حول قضايا تهمهم سعيًا إلى التأييد. وتمتلك منظمات مثل مجلس تنسيق المنظمات غير الحكومية (NGOCC)<sup>(1)</sup>، إمكانات في الاتصال غير محدودة تتجاوز عضويتها، من خلال قوائم النساء المدرجة في دليل تليفونات أعضائها كأفراد.

وتعتبر المنظمات النسائية وشبكات النشاط العناصر الأساسية التي يستخدمها مجلس تنسيق المنظمات غير الحكومية، في تحقيق تغييرات كبيرة باتجاه تقدم النساء، ليس فقط في نطاق بينتها التنظيمية المباشرة، ولكن على المستوى القومى أيضا. وتشارك عضوات شبكة مجلس تنسيق المنظمات غير الحكومية العامة، مثل بريسيلا مبونو Priscilla Mpundu<sup>(2)</sup>، المديرة التنفيذية السابقة لجمعية زامبيا للبحوث والتنمية Zambia Association for Research and Development (ZARD)، في المبادرات الدفاعية التي ينظمها المجلس، أيا كان موقعهن الجغرافى. وتوضح بريسيلا هذا فيما يلى:

"انتقلت من لوساكا، وأقيم حاليا في منطقة كويرفيلد (شمال زامبيا). تصلنى آخر الأنباء من سكرتارية مجلس تنسيق المنظمات غير الحكومية بخصوص الأنشطة الدفاعية، على الإيميل الخاص بى وعلى التليفون المحمول، وأجد رسائل التليفون المحمول أسرع، فأكون على علم بما يحدث، على عكس الإنترنت، إذ لا أقوم بفحص بريدى الإلكتروني كل يوم. وأعيد نشر الرسائل إلى الأعضاء فى المنظمة الجديدة التى شكلتها هنا".

وفى توضيح لمدى استخدام مجلس تنسيق المنظمات غير الحكومية للتليفون المحمول فى تعبئة التأييد، تقول لياه ميتابا Leah Mitaba، المختصة فى عملية الاتصال داخل مجلس تنسيق المنظمات غير الحكومية: "نتصل هاتفيا عادة بأعضائنا لخطرهم

بترتيبات الأنشطة الدفاعية المشتركة، ونبعث برسائل نصية إلى أعضائنا بخصوص المناسبات المهمة التي ننظمها، مثل جلسات العرض على المحكمة، وندعوهم للاحتشاد فيها لدعم النساء.

وهناك مجموعة أخرى، استفادت من التليفون المحمول في تكوين شبكة تهدف إلى تنمية النساء، وهي جمعية مدينة شيباتا النسائية *Chipata District Women's Association*. إذ تكونت منظمة للمجتمع المحلي، عبارة عن مشروع للتليفون المحمول في مدينة شيباتا الريفية في المحافظة الشرقية، بدعم من جمعية أفريقيا الواحدة لتنمية النساء في الريف (*Oneworld Africa District Women's Development Association*). واعتمدوا إستراتيجياً ثلاث نواحٍ لاستخدام التليفون المحمول: النشاط دعوى، وتوفير مال لمواجهة متطلبات الحياة، وتأسيس مشروعات تجارية. وكانت الجمعية تهدف من خلال تحديد تلك النواحي لاستغلال التليفون المحمول، إلى تشجيع العمل من أجل التغيير التقدمي للنساء في مجتمعهن المحلي<sup>(٣)</sup>. وحتى تتمكن النساء من تحسين مستويات معيشتهن والاستمرار في استخدام التليفون المحمول، سعين إلى توليد الدخل من خلال تقديم خدمات الاتصالات على أساس تجارى لمجتمعهن المحلي.

اقتصادات التواصل من خلال التليفون المحمول : بينما يمكن بالفعل إقامة مجتمعات من خلال تبادل الآراء والمعلومات عبر التليفونات المحمولة، إلا أن التكلفة كانت عاملاً مهماً يجب اعتباره. تحدد حالة النساء الاقتصادية سلفاً وضعهن في علاقات الشبكات الافتراضية المعتمدة على التليفون المحمول (*mobile-phone-sustained virtual network*). وينعكس هذا الاعتبار على قدرة النساء في التواصل. ووفقاً لياه ميتابا، من مجلس تنسيق المنظمات غير الحكومية، ستكون من لديهن رصيد<sup>(٤)</sup> أكثر العضوات تميزاً في مجتمع التليفون المحمول، فهن القادرات على مبادرة الآخرين بالتحدث، ولديهن سلطة اختيار وقت الاتصال مع الأخريات وفق رغبتهن. ولكن من ليس

(\*) في الأصل talk-time. (الترجمة).

لديهن رصيد قد يكون انضمامهن مرهونا بمشيئة مالكات هذه الميزة. وقد يؤثر هذا سلبيا على تلك الشبكات، ويزيد عدم المساواة إذا لم يتم تداركه.

وبعد فترة من الزمن، بدأت منخفضات الدخل العضوات في الشبكة الافتراضية المعتمدة على التليفون المحمول، يخسرن "فرصتهن في التعبير". وأصبحن مستمعات صامتات، ومتلقيات للرسائل والإشعارات فقط من العضوات المتمكنات مالية بدرجة أكبر. أصبحت "الطبقة الأدنى" في هذه الشبكة الافتراضية. وتشتكى بريندا زولو Brenda Zulu الصحفية المتخصصة في تكنولوجيا المعلومات المقيمة في لوساكا:

"عندما تكون لديك أسماء أشخاص فقراء في دليل الأرقام التليفونية، لن تكون لديك قنوات كثيرة لتطوير نفسك باستخدام التليفون. وفي الوقت نفسه ستكون أرقام مالكي الموارد في فهرس أرقامك مفيدة أكثر؛ فهكذا يكون بإمكانك الاتصال بهم عندما تواجهك مشاكل، وسيقدمون إليك المساعدة. الفقراء لن يربوا لك المكالمات إذا طلبت منهم، لأنهم لا يستطيعون عادة تحمل تكلفتها".

وهناك بعض الأساليب التي تلائم أوضاع المستخدمين الراغبين في تجنب التكلفة، مثل إرسال رنة (أى طلب رقم مستخدم وإغلاق الخط قبل أن يجيب، وهكذا لا يحسب عليك ثمن المكالمات) وخدمة الرسائل القصيرة (تواصل مستخدمى التليفون المحمول عبر رسائل نصية قصيرة SMS)، فالرسائل القصيرة شبه مجانية، بينما يكون استخدام أسلوب إرسال رنة مجاني تماما. وبتزايد شيوع هذه الأساليب، إذا رغب المستخدمون في تجنب تكاليف إجراء المكالمات المعتادة. ورغم هذا، يظهر نظام طبقي افتراضى كما تقول إحدى المستخدمات: "يسبب مستخدمى أسلوب إرسال رنة إزعاجاً دائماً، إنهم يضايقونك برناتهم حتى تتصلى أنت بهم، دون اعتبار أنك تستخدمين مالك الخاص للاتصال بهم".

وتعبر تلك المشاعر تجاه "المستخدم الأقل قدرة" عن "الاستياء من التكلفة المرتبطة باستخدام التليفون المحمول. وإذا كانت هذه الممارسات قد تمثل إزعاجاً للمرسل إليهم، إلا أيضاً فإنها فرصة للتواصل لآخرين يمرون بأزمة أو فى ضائقة. وبوجه عام،

بينما تعد النساء الأكثر معاناة من الفقر في زامبيا، إذ يمكننا افتراض أن بين طيف مستخدمي التليفون المحمول في زامبيا، يوجد عدد هائل من المستخدمين الأقل قدرة.

بينما تستخدم مؤسسة رسمية مثل مجلس تنسيق المنظمات غير الحكومية، شبكات الاتصال عبر التليفون المحمول، فإنها لا تُعدل ميزانيات نشاطها الدفاعي بحيث تتضمن التكاليف اللازمة لاستدامة هذا النظام، بالسرعة المطلوبة. وتعتقد لياه من مجلس تنسيق المنظمات غير الحكومية، أن تبنى تكاليف التليفون المحمول في الميزانيات التنظيمية يؤدي إلى تمكين عضوات الشبكة الصامتات بسبب العجز عن شراء رصيد، وستيسر المؤسسة الاتصال عبر التليفون المحمول، عندما يتولى فريق العمل إجراء المكالمات لعضوات الشبكة. وأوضحت قائلة:

“في قسم نشاطنا الدفاعي نستخدم تليفوناتنا الشخصية في أغلب الأحوال، لأن العضوات تتصل بنا على تليفوناتنا الخاصة، ونميل إلى إعادة الاتصال بهن على نفس التليفون، لأن ذلك يزيد من سرعة تبادل المعلومات. ويمثل لنا هذا مشكلة، على عكس المنظمات التضامنية التي توفر لموظفيها بدلات لاستخدام التليفون المحمول، بينما لا تطبق منظمنا هذه السياسة.”

وفيما يتعلق بالرضا العاطفي، تزداد أهمية إجراء المكالمات بنفسها، عند “المستخدمة” الفقيرة، على ثمن المكالمات في حد ذاته أو المكسب الاقتصادي أو المعلومات. وإذا لم تتمكن من هذا ستؤدي المكالمات التليفونية إلى ترسيخ فقرها. وهكذا، فإن التخوف من ترسيخ الفقر لدى العضوات الفقيرات في شبكات النشاط الدفاعي، له مبررات قوية، حيث لا يولد النشاط الدفاعي دخلاً بشكل مباشر. ويأملون حتى يكون النشاط الدفاعي عبر التليفون المحمول قائماً على المساواة، في التوصل إلى الإستراتيجيات التي توظف لضمان التضمين المستمر للعضوات الصامتات (نظراً لانخفاض الدخل) في المحادثات حول التنمية. ويحدث هذا في مشروع التليفون المحمول لجمعية أفريقيا الواحدة لتنمية نساء الريف. وفقاً لوجهة نظر كيلفن شيبومبا Kelvin Chibomba العضوة في الجمعية، فهي تشير إلى المشروع على النحو التالي:

تستخدم النساء التليفون المحمول بفاعلية فى الدفاع عن حقوق النساء، والخدمات الاجتماعية. ويطورن آليات جماعية لضمان تغطية تكاليف الرصيد من خلال أنشطة جماعية أخرى مولدة للدخل، وهذا للحفاظ على استدامة النشاط الدفاعى غير المستهدف للربح.

الصراعات التى تنشأ بسبب النوع الاجتماعى: والعقبة الأخرى أمام استخدام شبكة التليفون المحمول فى النشاط الدفاعى، هى وجود نزاع ينشأ بسبب النوع الاجتماعى حول استخدام التليفون المحمول. وقد أُلحِت وسائل الإعلام الزامية فى تغطيتها لموضوع اتصالات التليفون المحمول والعلاقات بين الأزواج، إلى حدوث توترات متعلقة بالنوع الاجتماعى (Chakwe 2007; Batista 2002) وذكُرت التقارير كيف أثرت القيم الثقافية على النحو الذى تجرى به النساء مكالماتها، ومدى عرقلة حريتهن فى التعبير، وتكوين شبكة علاقات. وقد وجدت لهذا التصور صدأ لدى امرأة تحدثت معها.

أثناء المناقشات التى أجريناها حول المنازعات المرتبطة بعلاقات النوع، تكررت الإشارة إلى منازعات بسبب استخدام التليفون المحمول. ينشأ النزاع عادة بسبب الشك، لدى الزوج أو الزوجة على السواء، فى وجود علاقة مع الطرف الآخر المتحدث. وينبغى على المرأة أن تتعامل مع دليل الأرقام فى تليفونها الشخصى بحرص، خشية أن تسبب بعض الأرقام ضيقاً لزوجها. وتوضح لياه ميتابا هذا فيما يلى:

وفقاً للخلفيات الثقافية العميقة، سواء كانت تقليدية أم دينية، تعتقد معظم المتزوجات الزاميات فى مبدأ أن الزوجين يصبحان شيئاً واحداً. ويتعارض هذا المبدأ مع نموذج الملكية لدى شركات التليفون المحمول، التى توفر التليفون باعتباره ملكية خاصة، وشخصية مستخدمها.

وفى البيوت التى يكون فى حوزة كلا الزوجين تليفونا محمولاً، تتقاطع حدود الملكية مع الغيرة والشك، وتجاوز استقلالية المرأة. ويميل الأزواج للقلق بسبب رغبتهم فى معرفة الطرف الآخر فى الاتصال، ويسبب مبدأ "الزوجين شخص واحد" تنشأ المطالبة بحق المعرفة. ويحدث النزاع عندما يتمسك أى من الطرفين باستقلاليته. وفى بعض الحالات، تعرضت إناث للاعتداء عندما طالبن باستقلاليتهن فى استخدام التليفون المحمول (Chakwe 2007). وبلغت فى حالات متطرفة، حد الإساءات الشديدة والوفاة والطلاق.

## المناقشات

تؤسس الشبكات مجتمعات افتراضية عبر التليفون المحمول، وتكون رأس مال اجتماعياً، بمعنى أنها تراكم مخزوناً من الثقة الاجتماعية والقواعد والشبكات التي تستطيع النساء الاستفادة منها في حل مشاكلهن المشتركة (Sirianni and Friedland n.d.; Sinha 2005). ولكن هذا المخزون للثقة الاجتماعية والقواعد والشبكات، يكون في هذا السياق افتراضياً وغير متبلور، ولكن يظهر تجسده في دليل الأرقام التليفونية، فهو يجمع علاقات المستخدم. ورغم أن العلاقات تكون فردية فإن استخدامها يتاح في تشكيل شبكات تتناسب مع الأغراض المختلفة. وبمجرد التشكيل المتعمد لشبكات المشاركة المدنية حول قضايا ورؤى مرتبطة بالتغيير بأسلوب بعينه تمكنت النساء من التعبير عنه، فقد أصبحت بمثابة رأس مال اجتماعي. ويقدر كثافة تلك الشبكات، يزداد احتمال استجابة أفراد المجتمع المحلي وصانعي القرار لتوصياتها (Sirianni and Friedland n.d.).

وتؤكد سينها (Sinha, 2005)، أن المكالمات التليفونية تضمن تقوية الشبكات الافتراضية، وتخلق بدورها رأس مال اجتماعياً. وهكذا، تشكل مجموعات أو منظمات النساء شبكات لغرض معين، وتصبحن قادرات على الاتصال ببعضهن بعضاً تليفونياً، وعلى التعاون باستمرار في تحقيق تغييرات لتحسين أوضاع النساء. ويمثل رأس المال الاجتماعي لتلك المنظمات، شرطاً لازماً للتأثير في السياسات والدعوة الناجحة. ووفقاً لخبراتها، تحقق إلى هذا في عدد من الحالات التي تم فيها استخدام التليفون المحمول<sup>(٤)</sup>.

وعلى الرغم من هذا، ينشأ نظام طبقي افتراضي، يفرق بين من لديهم رصيد ومن ليس لديهم. وينعكس بصورة سلبية على الدفاع عن تمكين النساء، لأنه يؤدي إلى إقصاء غير القادرات عن الخطاب التتموي، حيث يكون فهرس الأرقام بالنسبة للمستخدم التي لديها رصيد، بوابة حقيقية تمكنها من النفاذ إلى أشكال من الرفاهية الاجتماعية، مثل المعلومات أو الرضا العاطفي أو الموارد، في حين تقلص هذه

الاحتمالات بالنسبة للمستخدمات المحرومات، نظراً لعدم قدرتهن على تحمل نفقات الاتصالات الراغبات فيها. وتعد هذه القدرة المتناقصة في حد ذاتها، مؤشراً على الفقر. ووفقاً لما ذكره أمرتيا سن في كتابه التنمية باعتبارها حرية (Development as Freedom) (1999)، يمكن تعريف الفقر على أساس غياب القدرة، إذ قد يعيش الفقراء استبعاداً اجتماعياً، وهم لا يستطيعون عادة شغل موقع في حياة مجتمعهم الخاص، يتضمن ذلك في حالتنا هنا، الاستبعاد من المجتمع الافتراضي.

وهكذا، يمكن اعتبار الدخل الكافي وسيلة لامتلاك القدرة، بينما تعمل تكاليف استخدام التليفون المحمول على خفض قدرات المستخدمين الفقيرات، إذ تتناقص مواردهن المالية مع كل حالة شراء رصيد. والجدير بالذكر، أن كفاءة الأنشطة الدفاعية باستخدام التليفون المحمول، تعتمد على إجراء اتصالات بشكل دائم، أى على الاستمرار فى شراء رصيد للاتصال بالتليفون. بينما فى الواقع، يشكل شراء رصيد لعضو الشبكة الافتراضية الفقير الذى ليست لديه قدرة كافية، تهديداً يصبح عبئاً إضافياً على فقره. ولن تستطيع الشبكات المعتمدة على استخدام التليفون المحمول فى الأنشطة الدفاعية لتمكين النساء، العمل على تحقيق هذا الغرض، بمشاركة رقيقات الحال من الناحية الاقتصادية، ما لم تتخذ تدابير عمدية لتمكين تلك النساء اقتصادياً.

وهكذا بالنسبة "للفقراء"، يبدأ تسلسل التفكير هذا فى إهدار مفهوم "الحرية" المصاحب لاستخدام التليفون المحمول، فتكلفة الاتصال المرتفعة تجعل "الفرص الحرة" لاستخدام التليفون المحمول "والتواصل الحر عبر التليفون المحمول" مجرد مفاهيم غير واقعية ومضلة.

وتؤثر النزاعات فى العلاقات بين النوعين بخصوص استخدام التليفون المحمول سلباً على الشبكات المؤسسة بين النساء لأهداف خاصة بالنشاط الدفاعى عبر التليفون المحمول. وهذا نظراً لأن تلك النزاعات تقيد حرية النساء فى الاتصال والتعبير عن أنفسهن. وفى مقال ساسكيا ساسين Saskia Sassen بعنوان "الثقافة النوع الاجتماعى" المنشور فى كتاب "هل يكون التعدد الثقافى فى غير صالح المرأة؟"

Is Multiculturalism Bad for Women? (١٩٩٩)، صنفت الحقوق الجماعية باعتبارها حقوقاً ثقافية، وأكدت أن الحقوق الجماعية تعد سبيلاً للحفاظ على أهمية الثقافة. وفي هذا السياق، لاحظنا أن الحقوق الفردية لمستخدمي التليفون، ربما تتعارض مع المبدأ الثقافي الذي يعتبر الزوجين شخصاً واحداً. وأكدت ساسين صعوبة حصول النساء على كلا الأمرين؛ أن يمارسن الإحساس الفردي بالذات، وأن يكسبن ثراء الخبرة والأعراف والطقوس، في الثقافات التي يكون وضع النساء فيها أضعف. وهذا الشعور بالذات، هو ما يتعارض مع المطلوب ثقافياً فيما يتعلق بتبعية النساء وإدماجهن في النظام الأبوي الراهن. وعندما ينشأ هذا النزاع ويصبح مؤثراً على النساء، غالباً ما يرجع هذا إلى تضحية النساء بالحقوق الجماعية، الداعمة للقيم الأبوية، لصالح حقوقهن الفردية.

الصراعات التي تنشأ حالياً بين النوعين حول استخدام التليفون المحمول، تكشف بوضوح مقاومة النساء للقيود الثقافية التي تحد من حريتهن في التعبير وفي تكوين شبكات. وتواجه النساء معضلة، عندما ينشأ نزاع بسبب استقلالهن حديث العهد مع استخدامهن للتليفون المحمول، فإما يكيفن استخدامهن للتليفون المحمول بما يتلاءم مع تبعيتهن الثابتة ثقافياً وتقليدياً، أو يكيفنه مع ما يرغبنه من تحرر، أو ما يمثل اختيارهن لأنفسهن. وفي الحقيقة، يقدم التليفون المحمول نفسه باعتباره أداة تثوير ثقافية، تستحضر في الصدارة تفاوتات قائمة منذ زمن طويل، لم يتم حلها.

## الخلاصة

تسفر جهود شبكات النساء للأنشطة الدفاعية التي تستخدم التليفون المحمول عن فوائد أكثر مباشرة إذا كانت الشبكات كثيفة. ووفقاً لشدة هذه الكثافة، تتشكل الشبكات الاجتماعية، وتتحقق إمكانية مراكمة رأسمال اجتماعي من أجل التغيير. ويمكن اعتبار رأس المال الاجتماعي شرطاً ضرورياً للتغيير التقدمي لصالح النساء.



إن عدم قدرة المشاركات المحرومات من الإمكانيات، على تحمل المشاركة المتواصلة في الخطاب التنموي الذي يتم الحشد له عبر التليفون المحمول، تعكس حالة الفقر والتفاوت بين النساء. وتوضح أيضاً، التخوف من تجاهل أصوات "الفقيرات" في أنشطة الدفاع عبر التليفون المحمول، إذا لم تتخذ إجراءات متعمدة لتضمينهن، بناء على الاعتراف بغيابهن والظروف المسؤولة عنه. وفوق ذلك، يجب أن تختار النساء تبني حقوقهن الفردية والجماعية وسط مجتمع أبوى، يعيش فيه ويقاوم الأعراف التقليدية المتعلقة بالنوع الاجتماعي التي تحد من حريتهن في التعبير وتأسيس الشبكات.

فقط عندما سيتم التغلب على هاتين العقبتين، سيكون في "دليل أرقام التليفونات" معنى جوهري في تأسيس الشبكات من أجل حقوق النساء في زامبيا.

## الهوامش

(١) NGOCC منظمة غير حكومية تعمل كهيئة مظلية للمنظمات النسائية، تنسق بين المنظمات المشتركة فيها، سواء كانت منظمات غير حكومية أم منظمات قاعدية، التي تتناول قضية النوع الاجتماعي والتنمية من خلال بناء القدرات وتأسيس شبكات.

(٢) وافقت تلك المبحوثات على استخدام أسمائهن الحقيقية في هذا الفصل.

(٣) يدرن، بالتعاون مع محطة الإذاعة بمجتمعهم المحلي، برنامج إذاعي من خلال التليفون، وفيه يدعون القادة المحليين ويؤسسون منتدى حيث يمكن طرح تساؤلات تنموية وإيجابية عنها. ويستخدمن أيضا تلك التليفونات في خلق شبكة من العلاقات حول قضايا التنمية من أجل تمكين النساء في مجتمعهم المحلي.

(٤) تضمنت البرامج الأخرى التي تستخدم فيها NGOCC التليفونات المحمولة في عملها:

(أ) ستة عشر يوماً من الأنشطة ضد العنف بالمرتبط بالنوع الاجتماعي: رسائل نصية للتذكير بأيام الاحتفال، وأيضا رسائل بها مضمون للدعوة حول الاحتفال بالذكرى موجهة إلى عامة الناس.

(ب) انتخابات نساء في منصب عام: كان هناك ارتفاع ثابت في عدد المسؤولات المنتخبات، اعتماداً إلى حد ما على حملات أعضاء NGOCC التي استخدمت الرسائل النصية في التأكيد على أعضاء الجمعية العمومية لتذكر التصويت للنساء.

(ج) عرائض قضايا قانونية: تدعم المنظمة النساء ضحايا انتهاكات حقوق الإنسان، وتبني الأعضاء بشكل جماعي للتوجه إلى جلسات العرض على المحكمة، وإظهار التضامن مع الضحايا، وهي تفيد في محاولة نشر الموضوع على الرأي العام بالنسبة للجمهور المتعلمين.

(د) نشر واستقبال المعلومات العامة المتعلقة بالحقوق الإنسانية للنساء

(Leah Mitaba, NGOCC, January 2008).

## المراجع

- Batista, E. (2002) 'Cell phones: the marriage breaker'. *Wired*, [www.wired.com/gadgets/wireless/news/2002/06/53452](http://www.wired.com/gadgets/wireless/news/2002/06/53452), accessed September 2008.
- Chakwe, M. (2007) 'Marriages in a cell phone era', *The Post*, 22 April, [postzambia.com/post-read\\_article.php?articleId=25563](http://postzambia.com/post-read_article.php?articleId=25563), accessed March 2008.
- NGOCC (2004) *Beijing +10 Shadow Report on the Situation of Women in Zambia*, Lusaka: Zambia Association for Research and Development ZARD/ Non-Governmental Organization Coordinating Council (NGOCC).
- Sassen, O. (1999) 'Culture beyond gender', in S. M. Okin, *Is Multiculturalism Bad for Women?*, Princeton, NJ: Princeton University Press.
- Sen, A. (1999) *Development as Freedom*, New York: Knopf.
- Sinha, C. (2005) 'Effect of mobile telephony on empowering rural communities', Conference on Digital Divide, Global Development and the Information Society 2005, [www.irfd.org/events/wf2005/papers/sinha\\_chaitali.pdf](http://www.irfd.org/events/wf2005/papers/sinha_chaitali.pdf), accessed March 2008.
- Sirianni, C. and L. Friedland (n.d.) 'Social capital', Civic Renewal Movement, [www.cpn.org/tools/dictionary/capital.html](http://www.cpn.org/tools/dictionary/capital.html), accessed March 2008.



## (الباب الثالث)

استخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات:

هل يجعل الحياة أفضل؟



## الفصل العاشر

### التليفون المحمول فى زمن الحداثة تاجرات الأسماك والمشتغلات فى تجهيزها بذاكار والسعى إلى مزيد من الاكتفاء الذاتى

إيبو سين؛ مامادو بالا تراورى

يحرك تطور تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات بشدة، المشاهد الاجتماعية الاقتصادية والثقافية للمجتمعات البشرية، التى استقرت لفترات طويلة. إذ تدفع حدود أفعال البشر إلى التغيير، واعتبرها كثيرون الدواء الناجع لمختلف العلل الإنسانية، خاصة فى بلدان الجنوب. ومن هنا نشأت الآمال والتخوفات المصاحبة لهذه التكنولوجيا. إذ تعيد تصميم هندسة العالم الذى نعيش فيه، بسرعة وكثافة لم يسبق لهما مثيل فى تاريخ المجتمعات البشرية.

ويسلم الناس بدرجة كبيرة هذه الأيام، بأن تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات عامل مؤثر فى بناء وتدعيم التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى الشمال والجنوب. وأن هناك حاجة ملحة للبحث عن أساليب ملائمة لسد الفجوات التى تفصل بين البلدان الأفريقية والبلدان المتقدمة فى هذا الصدد (Mottin-Sylla et al. 2004).

واليوم، يثير تأثير تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات تساؤلات عديدة. وتتولد عنها أوهام كثيرة من جميع الأنواع، وتخلق أحلاماً كثيرة لدى ملايين النساء والرجال

فى أنحاء العالم. وفى بعض التحليلات، تنسب إليها قوى هائلة تدفع التحولات فى المجتمع، بينما يقرر آخرون أنها لاتملك قوة لإحداث تغيير فى المجتمع، ولكنها فقط تصاحب حركة عامة وواسعة الانتشار، شاهدة على تبادلات اقتصادية وثقافية تحدث على مستوى العالم. ويبدو أن القراءات الأكثر تفاؤلاً حول تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، كانت الأكثر قبولاً فى الأدبيات (Flichy 1991).

وبعد أن تجاهل منظرو التنمية الاقتصادية، دور تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فى تحول العلاقات الاجتماعية الاقتصادية، إلا أنها الآن ينظر إليها كأداة قادرة على المساهمة فى خلق ثروات للشعوب. إذ قد تعمل كأداة ضغط لتسريع النمو والتنمية، عبر تيسير التبادلات الاجتماعية والأنشطة الاقتصادية. والآن، أصبح مفهوم التقدم عبر تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات "وفقاً للنزعة التنموية"، مأخوذاً به فى جميع النول الأفريقية كأسلوب لحل مشكلات التخلف والفقر الكبيرة التى يعانى منها المواطنون. (Commissariat général au Plan 1991).

ويأتى اهتمام السنغاليين بالإنترنت والتليفون المحمول فى المقام الأول بين أشكال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات (Chéneau-Loquay 2001). والغالب هو استخدام التليفونات المحمولة، ورغم هذا، يحول غياب الوسائل الاقتصادية لدى معظم السكان دون الانتشار الأوسع لاستخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، فضلاً عن نسبة الأمية الكبيرة، والمستوى المنخفض للتعليم باللغة الفرنسية.

ومثلهن مثل نساء سائر البلدان الأفريقية، يتزايد عدد السنغاليات بصورة هائلة فى الاقتصاد الشعبى (popular economy) - يطلقون عليه خطأً فى مواقع أخرى، الاقتصاد "غير الرسمى (Informal)"، بينما نطلق عليه هنا "الاقتصاد الشعبى والتعاونى". ولوحظ ترافق هذا مع نمو لم يسبق له مثيل فى استخدام التليفون المحمول<sup>(١)</sup>. وتمثل هذه العملية جزءاً لا يتجزأ من التغييرات الاجتماعية الاقتصادية، التى تسفر عن سلوكيات جديدة مرتبطة بالاقتصاد الرأسمالى العالمى، تدفع النساء والرجال إلى التواؤم مع النسيج الاقتصادي للدولة. ومع الضغوط الاقتصادية المؤثرة فى نسبة



كبيرة من الشعب، تصبح النساء أكثر انخراطاً فى الأنشطة المولدة للدخل. وتتجه النساء من خلال امتلاك هذه المشاريع تجارية، إلى تعزيز مهارتهن الإنتاجية، ويؤكدن اعتمادهن على أنفسهن مالياً، ويترتب على هذا مشاركتهن فى تحريك عملية تؤدى إلى مواجهة سلطة الرجال السنغاليين التقليدية فى المنزل.

وتلعب تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات دوراً مهماً فى هذا السعى من جانب النساء، لتعزيز اكتفائهن الذاتى. وكان التليفون المحمول أداة مفضلة فى التعاملات التجارية التى تقوم بها تاجرات الأسماك، والعاملات فى تجهيزه بداكار، الجماعة التى نركز عليها فى هذا الفصل. إذ يجعل التليفون مهنتهن أقل صعوبة، حيث تزيد هذه التكنولوجيا من تحكمهن فى الوقت (اختصاره) والفضاء.

ويركز التحليل فى هذا الفصل على جهود منظمات الأعمال بالسنغال من هذه الفئة (وبذلك نسلط مزيداً من الضوء عليهن) حينما يخرطن فى عملية تحرير إمكاناتهن الإبداعية بغرض التغيير الاجتماعى. وبعبارة أخرى، نضع بحثنا فى نطاق خطاب النوع الاجتماعى والتنمية المستهدف إحداث تحول فى العلاقات الاجتماعى بين الجنسين.

### الإطار النظرى والمقاربة المنهجية

قد يفيد التأكيد هنا على الافتراضات التى تمثل جوهر هذا الفصل، حتى ولو اختصاراً. مع بدأنا فى البحث، وضعنا يدنا على صعوبات متعددة ستواجه الدول الأفريقية إذا أرادت التحديث استناداً على مخططات للتنمية مجلوبة من الخارج، ولجأنا إلى تحديد موقع مشاركتنا البحثية فى إطار التنمية الاقتصادية، والتغيير الاجتماعى النابع من الذات. ووبرنا اختيارنا لهذا الموقف من رفضنا استخدام نظريات التنمية العامة التى لا تراعى تصوراتها المجردة، وجهات نظر الفاعلين الاجتماعيين الذين ستقع عليهم آثار تطبيق تلك التصورات، ولا علاقات النوع الاجتماعى المرتبطة بذلك (وهو أمر يفسر بلا شك عدم نجاح نماذج التنمية المجلوبة من الخارج تلك فى تحقيق النتائج التى كانت متوقعة منها).

فى إطار جمع المادة العلمية اللازمة لهذا البحث، عقدت سلسلة من اللقاءات مع رؤساء الهيئات المكلفة برعاية قطاع مصايد الأسماك على المستوى الوطنى: الهيئة الإقليمية لمساحة المحيطات، وإدارة المصايد البحرية. وتشارك تلك الهيئات فى مجال إنتاج المصايد السمكية، الذى يغلب عليه دائماً فاعليات اقتصادية مثل شركات الصيد، وتاجرات الأسماك، ويائعات الأسماك الصغيرة والمشتغلين فى تجهيز الأسماك (من الجنسين). وكان علينا السعى أيضاً إلى الحصول على تصريح تلك السلطات ومساعدتها، لنستطيع إجراء المقابلات مع النساء فى المواقع التى اخترناها فى دراستنا، لنحدد معهم إطار المناقشة أيضاً<sup>(٢)</sup>.

وكانت الخطوة الثانية فى جمع المادة التمهيديّة، إجراء سلسلة من اللقاءات مع نساء مصايد الأسماك، داخل أحواض صيد السمك الأساسية فى منطقة داكار: سومبيديونى Soumbédioune، هان ياراخ Hann Yarakh، بينثيوم ثياروى Penthium Thiaroye، وسوق الأسماك المركزى Marché central au poisson.

وبعد مناقشة أولية مع منظمات الأعمال فى تلك المواقع، استطعنا تأكيد مشاركتهم فى دراستنا، وتمكنا معهم من تطوير مصطلحات وفروض هذا البحث. واستفدنا أيضاً من شرح مشروع بحثنا لرئيسات مجموعات النساء اللاتى تقابلنا معهن.

ولم تكن عمليات البحث التى قمنا بها سهلة، ويرجع هذا إلى إجراءاتها شتاءً، حيث أدت الفيضانات إلى تشريد السكان، وانتقلوا بناء على ذلك إلى مراكز أخرى وملاجئ مؤقتة. ومن خلال المسح الذى أجريناه، أتبع لنا التعامل مع مجموعات السكان التالية: عضوات من مجموعة النهوض بالمرأة Group for the Promotion of Women (GPW)، وكان لدى بعض النساء تليفونات محمولة يستخدمنها، ويتعاملن معها بكفاءة كجزء من تعاملاتهن التجارية، وكان هناك من ليست لديهن مثل هذه التليفونات واستخدمنها عرضاً. وهكذا أمكننا التوصل إلى الإلمام بالسكان الذين نحتاج إلى توجيه الأسئلة لهم، حتى نحصل على عينة موثوق فيها، تفى بمبادئ كفاية المادة.

وقابلنا ٦٠ امرأة، وأستخدم فى الحديث معهن لغة الولوف Wolof، اللغة الرئيسية فى السنغال، وتناولت المقابلات ظروف المعيشة الاقتصادية للسنگاليات، وأستخدم منظمات الأعمال للتليفونات المحمولة. وتكونت منهن ثلاث حلقات للمناقشة الجماعية المركزة (FGD)، ضمت كل منها مجموعة متنوعة من النساء، بالنسبة للأعمار والانتماء إلى تجمعات المصلحة الاقتصادية. وقسمنا المجموعات بناء على: البيئة الاقتصادية الاجتماعية للنساء، والعلاقات الاجتماعية بين الجنسين، والعلاقات الأسرية (الزوج - الزوجة - الأقارب)، وعمل المجموعات وتأثيرها فى النهوض بالمرأة وتجمعات المصالح الاقتصادية، وأستخدم التليفونات المحمولة، واحتياجات التدريب. وسجلنا أيضا سير الحياة وملاحظات كل مشاركة من واقع ممارستها.

ويغرض تطوير فهمنا لتأجرات الأسماك والمشتغلات بتجهيز الأسماك فى دكا، اللاتى حاولن تحقيق نجاح أكبر لمشاريعهن بأستخدم التليفون المحمول، امتنعنا عن اعتبار أنفسنا "سائحين" من خارج الظاهرة التى نتوجه لدراستها. واخترنا المشاركة مع وجود مسافة كمبدأ لعملنا، وحرصنا فترة بقائنا وسط نساء العينة على النظرة الموضوعية لتجسد الأفكار "objectify objectification" وفى الحقيقة، نظراً للتعقيد الذى يتسم به قطاع مصايد الأسماك (المشهور بتقاليده وطقوسه)، لم نتمكن من التغلب على الحواجز التى تواجه المراقبين القادمين من خارج البيئة عموماً، إلا فقط بالانغماس التام فى هذه البيئة، بالمعنى الأنثروبولوجى (مثل المشاركة وتقاسم المصالح المشتركة). وتأتى العقبات عادة من غياب الثقة، الأمر الذى قد يجعلهن مترددات فى تقديم معلومات فى مناطق تعد محظورة (على سبيل المثال، كما ينظر إلى العلاقات بين الجنسين). ومن خلال تهيئة ظروف للاحتكاك المشترك بشكل واضح، تمكنا من بناء علاقات حميمة مع تأجرات الأسماك والمشتغلات فى تجهيز الأسماك، إلى حد أن وجودنا أصبح تدريجياً غير ملحوظ لهم عملياً، بينما نتقدم فى لدراستنا.

وسمح لنا هذا الخيار المنهجى برؤية ظواهر (مثل وقوع أحداث تتضمن تصرفات خشنة أثناء عملية التجارة) دون تأثر كبير بوجودنا، والوصول إلى فهم أفضل للمعنى

والشعور الذى يعطيه هؤلاء الالعبات لتحركاتهن فى المجال التجارى. ومع التقدم التدريجى من المعرفة المحدودة للوقائع الخاضعة للدراسة إلى وضع أكثر فهماً، حاولنا تجنب المزالق المعتادة، وانحرافات أساليب البحث التقليدية. إذ يوجد أحياناً ميل لتفضيل مفهوم "الإنسان الاقصادى" (\*)، بمعنى الفرد الذى تفترض رشادته التامة وأنانيته وحرصه على اتباع الحسابات؛ وفى أحيان أخرى يفضل البعض "الإنسان الاجتماعى"، بمعنى الفرد الذى يظل محتفظاً بمعايير اجتماعية شبه ثابتة. ونحن نفضل بدلاً من ذلك استخدام "الكائن المتكيف مع موضعه" (Homo situs). وهو مفهوم يرفض تلك الاختزالية فى العلوم التقليدية. إذ يتصرف وفق "عقلانية مركبة مرتبطة بالموضع، الأمر الذى يستلزم حل نماذج أكثر تركيباً من النموذج الذى تقدمه العقلانية الاقتصادية المعتادة" (Zaoual 1998).

وكنا حريصين على مراعاة ظروف العمل القاسية لتاجرات الأسماك والمشتغلات فى تجهيز الأسماك، حيث يقمن بالعمل فى أحواض صيد السمك فى الموانئ، وفقاً لورود الأوامر إليهن، وقد يعملن فى موقع ما لساعات تمتد من ٤ ساعات إلى ٢٢ ساعة فى اليوم الواحد، بمناطق متسمة بانعدام الأمن، أو عنف ناشئ عن انتشار الجريمة المنظمة، أو تفتقر إلى التجهيزات الأساسية الملائمة. وتعجبنا أيضاً من إصرارهن الشديد على تأمين الخدمات اللازمة لأسرهن، فى مواجهة التأثيرات الصعبة للأزمات الاقتصادية المؤثرة على معظم المواطنين السنغاليين منذ تطبيق برامج التكيف الهيكلى فى الثمانينيات.

ويعتبر النظر عن طريقة بحثنا المتمثلة فى المشاركة بالتناوب مع الاحتفاظ بمسافة، فإننا كنا مدركين للانحرافات المتعددة التى لا يستطيع أى بحث تجنبها تماماً، مثل انحراف المادة المجموعة، والتحيزات العاطفية والتقدير الجزافى.

---

(\* فى الأصل (Homo economicus) ترجم الإنسان الاقصادى، و(Homo sociologicus) وترجم الإنسان الاجتماعى (الترجمة).

## السياق الاجتماعى الاقتصادى والسياسى للبحث

نستطيع تمييز اتجاهين فى تحليل المجتمع السنغالى فيما يتعلق بالعلاقات النوعية. يؤكد الأول خفاء الأنشطة الرئيسية للنساء فى إدارة الاقتصاد والبيئة؛ وغيابهن عن إحصائيات العمل فى الإنتاج الاقتصادى أو الغذاء؛ وتهميشهن وعدم أخذ تلك الأنشطة فى الاعتبار؛ بصرف النظر عن أهميتها على المستوى الاقتصادى؛ والحط من قدرهن ودورهن فى اقتصاد يقوم على مفهوم الدخل النقدى. ويؤكد الثانى على ضرورة أخذ تلك الأدوار التى تقوم بها النساء فى الحسبان (Sow 2004: 50).

حاولنا تحديد العوامل الرئيسية التى تشكل أساس عدم المساواة بين الجنسين فى السنغال. وتكشف إحدى الدراسات حول المجتمع السنغالى، أن التنظيم الهرارى للعلاقات الاجتماعية يمثل أوضح سمات العلاقات النوعية، إذ تكون النساء وفقا له خاضعات للرجال. وتنسب السلطة فى المجتمع السنغالى التقليدى للرجال. ويترجم هذا فى وجود ميادين وأنشطة وسمات منفصلة لكل من الجنسين (Diop 1981).

فى مثل ذلك السياق، المتميز بعمق تأثير البنى القديمة المنظمة لعلاقات الرجال والنساء وانتشارها، حاولت الدولة الوطنية فى السنغال بناء حداثة ذات طابع محلى منذ ١٩٦٠ (عام الاستقلال)، الأمر الذى لم يكن حتى يومنا هذا سوى وهم. وفى الحقيقة، كانت نتائج سياسات التنمية الاقتصادية والاجتماعية المتبعة المبنية على نماذج مغتربة عن واقع هذه البلاد، محدودة إذا لم نقل فاشلة.

ومن أجل إعادة التعامل مع الوضع الاقتصادى المتردى، والانتقال إلى بداية جديدة، أجبرت البلاد منذ الثمانينيات على طلب معونة مؤسسات مالية دولية مثل البنك الدولى وصندوق النقد الدولى. ومعنى هذا تطبيق برامج التكيف الهيكلى المعتمدة على شرط الاقتراض من الخارج؛ وبعبارة أخرى، مصادرة سيادة الدولة الاقتصادية.

ووفقا لدايى وتيجانى (Ndiaye and Tidjani, 1995)، يقوم جوهر برامج التكيف الهيكلى غالباً على البحث عن نظام اجتماعى سياسى يهين منطق السوق عليه،

وإزاحة الدولة عن القطاعات المهمة للاقتصاد الوطنى (المياه، الكهرباء، الزراعة، الصناعة.. إلخ) (انظر أيضا 1992; Duruffé 1988). وفاقت تلك البرامج تدهور ظروف المعيشة والعمل، وأسفرت عن عواقب متعددة: عمليات تسريح للعمال، وإغلاق الشركات، وإعادة هيكلة الاقتصاد وفقا لمسارات ليبرالية تماما، وخفض الأجور، وتضاؤل القوة الشرائية للعمال، والاعتماد فى الإدارة على فريق عمل مرن.

وإجمالاً، كان كل شىء يشير إلى النتائج العكسية لبرامج التكيف الهيكلى، وزاد إفقار وتهميش عدد كبير من الرجال والنساء، سواء فى المناطق الريفية أو الحضرية، وهكذا أدى وضع التوظيف الكارثى فى السنغال إلى إضعاف المكانة المهيمنة للرجال، وأسهم فى زعزعة استقرار أسر كثيرة. وفى هذا السياق، لعبت جمعيات نسائية وجماعات النهوض بالمرأة دوراً مهماً فى تعبئة النساء من خلال رؤية تقوم على تخفيف المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التى تلقى بعبئها الثقيل على كاهل الأسر. وللقيام بذلك، شاركت باستثمارات كبيرة فى الاقتصاد الشعبى والتضامنى.

وعلى مر السنين منذ ١٩٧٥، حيث إعلان عقد الأمم المتحدة للنساء، عرفت جماعات النهوض بالمرأة تطوراً وتوسعاً متواصلين. واستندت فلسفتها التحفيزية على فكرة أن تنمية الأنشطة المشتركة والحصول على تمويل كمجموعة وليس كأفراد، أمراً أسهل على النساء. وتمثلت الميزة الواضحة لهذا المنهج فى تغيير المنظور، مع المنهج النوع الاجتماعى الحالى، الذى يشجع إستراتيجية بارزة لتقليص (حتى القضاء على) التفاوت بين الجنسين.

يحتاج ظهور النساء فى مجال المشاريع بالسنغال، إلى إثبات قدرة حقيقية على المبادرة عبر شبكات موحدة نشطة: أى اتحاد فى صورة جمعية، أو مجموعات نقابية شديدة الارتباط بواقع حياة تلك النساء. ومثل هذه البنى التنظيمية، تخفف آثار الأزمات الأساسية مادياً ونفسياً من ناحية، وتسهل على العضوات الاكتفاء الذاتى مالياً من ناحية أخرى، إذ تضمن لهن فرصاً أفضل فى تلبية التزامات أسرهن، إلى جانب حل مشاكل شخصية أو تلبية رغبات بعينها. وبينما تعمل هذه البنى على تذليل العقبات

أمام دور النساء ووضعهن، فهي تقوى أيضا حركية عضواتها، إذ تتيح لهن إقامة اتصالات اجتماعية - اقتصادية خارج دائرة المنزل والأقارب. وباختصار، تعطى الجماعات لعضواتها فرصة التعبير عن ذاتيتهن عبر فضاءات جديدة، وداخلها، وهي فضاءات أكثر انفتاحاً على رغبتهن في التحرر.

ومن خلال تجمعات المصالح الاقتصادية المجسدة للإنتاج المادي، تسمح آليات تلك البنى واقعياً بمزيد من تحرر منظمة أعمال أنفسهن من القيود والعقبات الاجتماعية والثقافية، التي تحجم التوسع الكامل لحركة تحرير القوى المبدعة للنساء، باتجاه اعتماد أكبر على النفس وإحساس بالحرية. وإن تم ذلك ببطء فإنه مؤكد. وتواجه منظمات الأعمال تحديات مختلفة في سياق مسارهن المهني، من بينها التمييز وصعوبة إيجاد منافذ للتمويل وشروط الائتمان التي لا تتيح سوى مزايا ضئيلة.

## النتائج

تعد أشكال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات مجرد أداة، فهي وسائل للحصول على معلومات والاتصال، ولا تستطيع في حد ذاتها حل المشاكل الاجتماعية (Mottin-Sylla et al. 2004: 140).

وتنظر دولة السنغال في سعيها للتنمية، إلى قطاع الاتصالات الإلكترونية باعتباره عنصراً إستراتيجياً في نماذج التدخل الاقتصادية والسياسية. وتلعب الاتصالات كمتغير دوراً مهماً في توجيه وتحسين الموارد المطلوب تعبئتها، وتنسيق الأنشطة التي يتم الشروع فيها. وبالتالي، تشهد تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات تطور وتوسع سريع - وهذا ما يتم عملياً في سائر أنحاء أفريقيا. وإلى مدى بعيد، يمثل التليفون المحمول أكثر تكنولوجيات الاتصالات والمعلومات استخداماً، وينسجم ذلك مع الأهمية التي تعطيها المجتمعات الأفريقية للمحادثات الشفهية.

وبالنسبة للمشاركات في بحثنا، فقد استفدن من التليفون المحمول الذي مكنهن من توفير الوقت وزيادة حجم أعمالهن بصورة واضحة. وقلن إن التليفون المحمول يعمل

على حل مشكلة المسافة. كما قالت إحدى المبحوثات، عمرها ٤٤ عاماً وأم لديها ٦ أطفال: "عندما اشتريت تليفونى المحمول، كان ذلك بغرض استخدامه فى أعمالى. أحياناً، يكون عملائى فى حاجة إلى التحدث معى، ولكن لا تتوفر لهم فرصة الوصول لى. والآن يوقر التليفون هذه الإمكانية، عندما لا تكون لى رغبة فى السفر لحل مشاكلى. أرى التليفون المحمول ضرورياً." وتشاركها الرأى مبحوثة أخرى متزوجة، عمرها ٤١ عاماً، ووالدة ٩ أطفال:

"للضرورة، اشتريت تليفوناً محمولاً. أحياناً، يكون لدى عملاء يتصلون بى ليحصلوا على أخبار حول السوق... وكثيراً ما يتصل الشخص الذى يورد لى الأسماك الطازجة فى ساعة متأخرة، ويحدث أيضاً، أن يكون على البقاء فى موانئ الصيد، حتى ساعة متأخرة جداً، ومن خلال تليفونى المحمول، أستطيع الاتصال بزوجى وأخبره بذلك. ويحدث أن تكون لى حاجات ملحة، أحلها بواسطة التليفون المحمول. لقد اتسعت إمكاناتى فى الحركة مع التليفون المحمول، ولا أخشى احتمال ألا تتمكن أسرتى من الاتصال بى عندما يريدون ذلك. ورغم هذا، لا أعرف القراءة، ولذلك لا أعرف إرسال رسائل نصية قصيرة."

واتفقت مع ذلك مطلقة عمرها ٢٩ عاماً وأم لطفلين:

"قبل ذلك، كنت عندما أترك المنزل، لا يتخلى عنى القلق تماماً حتى أعود مرة أخرى. والآن، مع تليفونى المحمول، يمكنهم الوصول لى بسرعة شديدة. وأفضل الاتصال بعملائى بمجرد وصولى إلى السوق. ولا يكون على السفر أو الإعلان عما لدى من بضائع مطلوبة. بالإضافة إلى ذلك، يحدث أحياناً أن تعلمنا الجمعية بموعد اجتماع فورى؛ وفى هذه الحالة، استخدم التليفون المحمول لأخبر أسرتى بذلك حتى لا تسبب لهم فى قلق. ومع التليفون المحمول، أشعر بحرية أكبر، ولم أعد قلقة على أسرتى بعد الآن. بالإضافة إلى ذلك، أقرأ الرسائل النصية القصيرة وأعرف طريقة إرسالها."

أوضحت الشهادات التى جمعناها من المشتركات فى بحثنا، الآثار الإيجابية للتليفون المحمول. وتوضح الزيادة الكبيرة الواضحة فى استخدام التليفون المحمول فى السنغال منذ ١٩٩٦، أن هذه الأداة أصبحت الآن جزءاً لا يتجزأ من الوسائل



التي جعلت منظمات الأعمال قادرات على أداء عملهن، إنه يسهم بصورة كبيرة في زيادة المعاملات التجارية، ويحسن نوع العلاقات مع الموردين والعملاء. وتعود كثير من الفوائد على الاقتصاد الشعبي والتضامني، إلى سرعة تطور هذا الشكل الجديد من الاتصالات، مما أدى بإحدى المبحوثات إلى قول "إذا لم يوجد التليفون المحمول، لكانا في حاجة حقيقية لاختراعه من أجل تلبية الحاجات الكثيرة التي يعبر عنها، أو لا يعبر، نساء ورجال كثيرون في أنحاء العالم".

الشيء الوحيد الواضح: أن التليفون المحمول أصبح أداة رئيسية في الحياة اليومية لعدد كبير من النساء والرجال. فهل يعبر عن طراز سائد، أم أداة للعمل؟ لا شك أنه يمثل الأمرين معاً. لقد استخدمت جميع فئات الفاعلين الاجتماعيين في السنغال التليفون المحمول، من فئات الإدارة العليا إلى صاندي الأسماك، وقد أوضحوا تماماً أنهم لا يرونه ظاهرة زائدة. ورغم ذلك، يوجد شعور واضح أن هناك حاجة إلى مزيد من الفهم خلال بحث أعمق.

في قطاع تسويق منتجات الأسماك، أوضحت نتائجنا مزايا مختلفة مرتبطة باستخدام التليفون المحمول:

- تقليل أعباء السفر بدرجة كبيرة.
- التعامل الجديد مع الوقت باختصاره.
- إتاحة فرصة للاتصالات السريعة.
- الحفاظ على ولاء العملاء بدرجة أكبر.

أشارت النساء أيضاً لحاجتهن للتدريب على موضوعات متنوعة، حتى يتاح لهن الحصول على المهارات الضرورية اللازمة لإنجاز الأعمال المرتبطة بتجارتهن بكفاءة (Sané and Traoré 2008). وتعد الحاجة للتدريب أمراً ملحاً بشكل خاص، طالما ينظرن إلى التليفون المحمول كأداة رئيسية في العمل، والشيء نفسه بالنسبة لاستخدام الإنترنت. وذكرن أن استخدام الإنترنت سيفتح فرصاً جديدة لهن بالنسبة للتصدير إلى

بلاد ليست على حدود بلادهن. ونظراً لمستوى الأمية المرتفع بينهن فى اللغة الفرنسية، فهن فى حاجة إلى محو أمية وظيفى على نحو أفضل، يكون متكيفاً مع حاجاتهن الخاصة، وإلى مقدمة فى علم إعداد الحسابات والإدارة المالية.

### تغيير العلاقات الاقتصادية الاجتماعية فى المجتمع والأسرة بالبيئات الحضرية

كان تطوير المناطق الحضرية فى السنغال، مرتبطاً بتطبيق الإدارة والاقتصاد الاستعماري، ثم تسارعت وتيرته بعد الاستقلال عام ١٩٦٠، وأخذت الدولة الجديدة على عاتقها سلسلة من الإصلاحات لتحقيق الازدهار الاقتصادي والتنمية الاجتماعية، وسعيًا إلى الانفصال عن النموذج الاستعماري على المستويات السياسية والاقتصادية والمؤسسية. وعالجت القوانين هياكل الإنتاج فى قانون الإصلاح الزراعى (١٩٦٤)، وقانون الإدارة المحلية والإقليمية (١٩٧٢) ولائحة الأسرة (١٩٧٣).

وترجع الزيادة الحضرية الكبيرة بدءاً من ١٩٦٠ حتى الثمانينيات، إلى ظهور فرص جديدة (فى الوظائف والتجارة والصناعة) توفرت بالمدن، وخاصة فى منطقة دكار. وكاستجابة إلى تاكل الاقتصاد الريفى التقليدى المتميز بمحاصيل الحبوب، تدفق الريفيون والريفيات باتجاه المراكز الحضرية بحثاً عن الأنشطة المولدة للدخل. والجدير بالذكر أن هجرة سكان الريف نحو المدن كانت أحد أبعاد التمزق التدريجى فى القيم الاجتماعية والثقافية والأخلاقية الذى حدث نتيجة للتوتر بين التقليدى والتغيرات الاجتماعية الجارية.

ومن أجل فهم أفضل لديناميكيات الحالية للسنغاليات، لا بد أن نلاحظ أن التنظيم الهرارىكى لمجتمعات الساحل التقليدية يقوم على روابط النسب، بدلاً من الروابط القائمة على الزواج، وهى سمة الحدائة الحالية. وكما أشرنا بالفعل، يحبذ التنظيم التقليدى الفصل بين وظائف الإنتاج والاستهلاك والإقامة. وفى مثل هذا السياق تكون لدى الرجال والنساء فرص الوصول إلى موارد واضحة المعالم، وتولى مسؤوليات مختلفة أيضاً.

ويعد مثل هذا النموذج الاجتماعي (الذي تعاد هيكلته حالياً) مصدراً للاكتفاء الذاتي للنساء بدرجات متفاوتة. وفي بلدان الساحل عموماً والسنغال خصوصاً، يحتفظ الزوجان بالملكية الفردية للممتلكات. ونادراً ما تكون ملكية السلع ورأس المال مشتركة بينهما، ويأخذ كل طرف على عاتقه أدواراً ومسئوليات مختلفة فيما يتعلق بالإنفاق. ويعد هذا الشعور بالاكْتفاء الذاتي المتحقق للنساء، سبباً إضافياً لتطور صاحبات الأعمال. ويظهر هذا العرف الحكيم في تناقض صارخ مع القوى المحافظة الحالية، التي تتبنى معايير أبوية.

وبدأت النساء هذه الأيام في تولى أدوار جديدة لهن، مع عودة تكوين النماذج التقليدية للأسرة، حيث تتحول الأسرة إلى أسرة نووية، وتجرى تغييرات في نظم القيم تعارض هيمنة الارتباط بالنسب، وما يؤكد من لعلاقات هيراركية. وكانت للمسيرة تجاه "تحرير" النساء أثراً جانبيّاً في زيادة نسبة الطلاق، وزيادة الأسر التي ترأسها نساء، سواء في القرية أو المدن.

وكما أشرنا سابقاً، أسفرت أزمة استيراد نموذج التنمية، وعدم قدرته على خلق بدائل ذات مصداقية للوضع الراهن، مع وجود قوى إنتاجية متخلفة، عن وضع سبب في سوق العمل "الرسمي" وقلة الوظائف المتاحة لامتناسص قوى العمل المتكاثرة. ويوضح هذا السبب تزايد عدد الرجال والنساء الذين يحاولون الهروب من الشعور بعدم الأمان والفقر، ويحاولون إيجاد طرق لمعيشتهم داخل الاقتصاد الشعبي والتضامني.

وفي ظل الأزمة الاجتماعية والاقتصادية الحالية المؤثرة بشدة على الأسر السنغالية عموماً، وأسر النساء والشباب خصوصاً، نلاحظ عدم القدرة المتزايدة لرؤساء الأسر (الرجال) على توفير جميع الحاجات الأساسية لأسرهم المعيشية اعتماداً على أنفسهم (Antoine et al.1995). ومع هذه الحالة من القطع مع الماضي القريب نسبياً، يتضح لماذا تخرج النساء من عالمهن المنزلي لتشارك في العالم الاقتصادي بحثاً عن

فرص جديدة لتوليد الدخل. ومن هذه النقطة، يصبح عمل النساء خارج أسرهن ضرورة لا غنى عنها.

تشير سير الحياة التي سجلناها، إلى أن الحياة اليومية لتاجرات الأسماك والمشتغلات في تجهيز الأسماك، كانت بمثابة تفاعل بين حياة الأسرة والحياة المهنية. وتحملت النساء، مثل الأخريات المرتبطات بالاقتصاد الشعبي والتضامني، أنواراً متعارضة من الناحية التقليدية، إذ أصبحن يكسبن دخلاً تعيش عليه الأسرة، بمشاركة الأزواج أو ملهم. وانتشر هذا الاتجاه إلى مدى أبعد في المناطق الحضرية، وقوض بناء الأسرة التقليدية. وتحدى هذا الوضع غير المتوقع أولوية الذكور في إدارة شئون الأسرة المعيشية بصورة عميقة. وعملياً، كانت معظم السيدات اللاتي قابلناهن مضطرات للقيام بدور أساسي في دعم الأسرة، سواء لأن أزواجهن عاطلون أو متقاعدون.

ومن ثم، أسهمت التغيرات الاجتماعية الاقتصادية، المؤثرة بعمق في المجتمع، في نشوء سلطة اجتماعية للمشاركات في الاقتصاد الشعبي والتضامني. وأظهرت النساء، اللاتي كن مواجهات بصعوبة متزايدة في الظروف المعيشية (مثل كثيرات في المناطق الريفية والحضرية)، قدرة هائلة على إدارة أنفسهن، ومهارات كبيرة في التكيف. وأسسن كيانات متعددة الجوانب (جمعيات النهوض بالمرأة، وتجمعات المصالح الاقتصادية ومؤسسات التأمين التكافلي،... وما إلى ذلك)، هدفت إلى تعزيز الأنشطة التي تحقق الربح، ودعم التعاون بينهن على السواء. وكان هذا التطور بلا شك أكثر وضوحاً في المناطق الحضرية، نظراً لتمييزها بالانغماس الأعمق في الاقتصاد العالمي الرأسمالي، مما دفع كثيرات للبحث عن التحرر الاجتماعي والسياسي خارج البنى الأبوية الاجتماعية والثقافية. والنسبة لهن، أصبح التعليم والتدريب طموحاً ووسيلة للترقى الاجتماعي. ويؤدي تصميم النساء المتنامي على الخروج من المجال المنزلي (Mbow 2005)، بينما يبحثن عن توازن جديد بين الجنسين داخل ما يمر به المجتمع من تحول، إلى شيء من التوتر في بعض الأحيان.

الأيدولوجية التقليدية التي تتبنى تبعية النساء للرجال (وخاصة الأزواج)، كما يوصى الإسلام، دين غالبية السنغاليين، دفعت في أحيان كثيرة إلى الحد من حركة تحرير النساء. وصيغت الاعتراضات عموماً في صورة: أن الأنشطة التي تقوم بها النساء خارج البيوت تبعدهن عن مسئولياتهن الأسرية والتربوية، كما أن إعطاءهن حرية، ووفقاً للمنطق نفسه، قد يؤدي بهن إلى الخيانة. ورغم هذا، فمع وجود مثل تلك المقاومة الذكورية، ما زال التطور تجاه إعادة توزيع حقيقي للأدوار بين الرجال والنساء، ناجحاً في متابعة مساره المنطقي.

### الخلاصة والتوصيات

في سياق دراستنا لعملية التغيير الاقتصادية والاجتماعية والمجتمعية، أردنا إيضاح كيف تسعى بعض السنغاليات في قطاع صيد الأسماك إلى تقليل العقبات والعوائق التي تحول بينهم وبين التحقيق الكامل لنواتهن من خلال إنشاء مشاريعهن الخاصة. وكيف استخدمن أداة ناجحة؛ مثل التليفون المحمول في تعظيم معاملتهن التجارية؟ وكيف أثرت عوامل، مثل الأمية والفقر والصعوبات الفنية والمادية، في كبح رغبتهن القوية في القطع مع نموذج المجتمع يتبع فترة تاريخية أخرى (التقاليد)، ولا تتوافق مبادئه الأساسية (التمييز، والتهميش، وما إلى آخر ذلك) مع تحرر النساء (الاكتفاء الذاتي، المساواة في الحقوق والمساعة، وما إلى آخره).

توجد حاجة ملحة - لصالحهن ولصالح عديد من المشاركات الأخريات في الاقتصاد الشعبي والتضامني - للوصول إلى سياسة اقتصادية واجتماعية قادرة بدرجة كبيرة على تحسين ظروف معيشتهن وعملهن. ومن شأن مثل تلك المبادرات التأثير الحاسم على سلوكهن ومواقفهن في المستقبل، وهكذا تتاح لهن المشاركة الكاملة في عملية التحديث الجارية حالياً داخل السنغال.

وبناء على جميع ما أشرنا له فيما سبق، نخرج بالتوصيات التالية:

- بالإضافة إلى الجهود الحالية لتسريع تنمية مشاريع النساء التجارية، والمنظمات التي تدعم النساء وتنهض بهن، ينبغي أن تزيد دولة السنغال من مساهمتها، بأن تقوم بدور ميسر لضمان أن تصبح مشاريع النساء بناء حقيقياً من أجل النهوض بهن وتحررهن.

- بلا شك يتطلب التقدم الاجتماعي للنساء، سياسة متعددة الأبعاد للسلطات العامة، تؤثر بالتزامن، على نظام التعليم والتوظيف والبيئة الاجتماعية والثقافية.

- إعادة تعريف أنوار الذكور والإناث على السواء ستكون ضرورة لا غنى عنها. وستستدعي مثل تلك العملية مراجعة صورة المرأة لتكون أكثر تماشياً مع الاتجاه المعاصر للمجتمع السنغالي، الذي يتشرب قيماً جديدة للحدثة بشكل متزايد، من بينها استخدام التليفونات المحمولة لانتزاع فضاء لحريات وإنجازات متزايدة.

## الهوامش

(١) لدينا اعتراضات على تسميات مثل الاقتصاد غير الرسمي أو التحتي، لأنها تضع هذا القطاع في تعارض مع القطاع الذي يفترض أنه "حديث"، أو رسمي، رغم أن هذا القطاع الجديد يجمع معظم العمال النشطاء، ويجمع الاقتصاد الشعبي والتضامني بين ثلاثة تفرعات: سوق، ونشاط غير التجاري، ونشاط غير نقدي (See Ndiaye 2005).

(٢) كانت هناك دوائر العامة قدمت مساعدات للنساء. ومن ثم كان من المهم إبلاغ السلطات، حتى يمكن إجراء مقابلات معهن في ظل ظروف ملائمة.

## المراجع

- Antoine, P. et al. (1995) *Les Familles dakaroises face à la crise*, Dakar: IFAN-ORSTOM.
- Chéneau-Loquay, A. (2001) *Les Territoires de la téléphonie mobile en Afrique*, available online at [www.africanti.org/resultats/documents/ACL\\_mobile.PDF](http://www.africanti.org/resultats/documents/ACL_mobile.PDF).
- Commissariat général au Plan (1991) *Technologies de l'information et performances économiques*, Paris.
- Diop, A. B. (1981) *La Société wolof. Tradition et changement. Les systèmes d'inégalité et de domination*, Paris: Karthala.
- Diouf, M. (1992) 'La crise et l'ajustement', *Politique Africaine*, 45.
- Durouflé, G. (1988) *L'Ajustement en Afrique*, Paris: Karthala.
- Flichy, P. (1991) *Une Histoire de la communication moderne. Espace publique et vie privée*, Paris: La
- Découverte. Mbow, P. (ed.) (2005) 'Hommes et femmes entre sphères publiques et privées', Série genre [Gender Series] no. 5, Dakar: CODESRIA.
- Mottin-Sylla, M. H. et al. (2004) *Citoyennes africaines de la société de l'information*, Dakar: ENDA.
- Ndiaye, A. I. and B. Tidjani (1995) 'Mouvements ouvriers et crise économique', Dakar: CODESRIA, Série de monographies [Series of monographs], pp. 3-95.
- Ndiaye, S. (2005) *Economie populaire et développement local en contexte de précarité. L'entreprenariat communautaire dans la ville de Saint-Louis (Senegal)*, PhD thesis, University of Quebec, Montreal.
- Sané, I. and M. B. Traoré (2008) 'Femmes et technologies de l'information et des communications au Sénégal. Cas des transformatrices de poisson et mareyeuses de Dakar, Senegal', Report available at: [www.GRACE-Network.net](http://www.GRACE-Network.net).



- Sow, F. (2004) 'L'analyse de genre et les sciences sociales en Afrique', in M. I. Ayesha, A. Mama and F. Sow (eds), *Sexe, genre-et société* [Sex, gender, and society], Paris: CODESRIA/Karthala, p. 50.
- Zaoual, H. (1998) 'Le besoin de croire: une nouvelle énigme pour les sciences sociales du développement', *Culture et Développement*[Culture and Development], 33, Brussels.



## الفصل الحادى عشر

### منظمات الأعمال التجارية فى نىروبي دراسة اختىارات النساء داخل سياقها المحدد

أليس وانجيرا مونىوا

يشترى مليارات الناس تليفونات محمولة فى جميع أنحاء العالم. كما يفيد تقرير الاتحاد العالمى للاتصالات اللاسلكية عام ٢٠٠٧، ووفقا للتقرير، قدرت قيمة التليفونات المحمولة المستخدمة على مستوى العالم بنحو ٢٣٠٥ مليار . وتشير زيادة المتابعين لهذه التكنولوجيا، أمالاً فى استفادة العالم منها فى تطوره (Gamos 2003).

وفى كينيا، يتزايد الطلب الضخم على التليفونات المحمولة باستمرار؛ وليس لدى كثير من مستخدمى التليفون المحمول خطوط أرضية فى منازلهم أو فى أماكن عملهم. وقد أظهر التقرير السنوى لهيئة الاتصالات فى كينيا عام ٢٠٠٦/٢٠٠٥، أن عدد المشتركين فى الخطوط الأرضية، المستمر فى التناقص، ما زال أقل من ٢٠٠ ألف مشترك، بينما ارتفع استخدام التليفون المحمول من ٤,٦ ملايين إلى ٦,٤ ملايين مشترك خلال فترة التقرير. ويذكر أن نسبة أساسية من أصحاب التجارة الصغيرة يستخدمون التليفونات المحمولة كوسيلة وحيدة فى الاتصال" (Vodafone 2005: 51). ويؤكد هذا أن التليفونات المحمولة تستخدم فى أفريقيا باعتبارها وسيلة أساسية، وليست مجرد استكمال

للخطوط الأرضية (Donner 2007). وينظر إلى التليفون المحمول على أنه يوفر مزايا تتفوق على الخطوط الأرضية.

وكشفت دراسة عن منظمات الأعمال في كينيا، أن التليفون المحمول يؤثر بالفعل في فاعليتهن وكفاءتهن (Wanjira Munyua and Mureithi 2008) فهل أسهم استعمال التليفون المحمول واستخدامه بغرض تحقيق النجاح التجارى، فى تمكين منظمات الأعمال أيضاً؟ يناقش هذا الفصل الخيارات التى اتخذتها منظمات الأعمال فى مجال تجارتهن، مع تباين الفئات المنتميات لها سواء من حيث القدرات أو الحجم<sup>(١)</sup>، واستكشاف مدى تيسير التليفون المحمول لإدارتهن أعمالهن التجارية الصغيرة بكفاءة فضلاً عن مسؤولياتهن المنزلية، وأثار هذا على تمكين النساء.

### خلفية البحث

أشارت معظم منظمات الأعمال الكينيات اللاتى تحدثنا معهن، إلى أن الأسباب الرئيسية التى دفعتهن للمغامرة فى التجارة كانت الحاجة للتحقق والاستقلال والمرونة فى حياتهن، إلى جانب توفير فرص التعليم لأطفالهن (Wanjira Munyua and Mureithi 2008). وكشفت دراستنا فى نيروبي عام ٢٠٠٨ مع ٢٢ سيدة، عن أن مجال الأعمال أصبح اختياراً مهنياً رائجاً بشكل متزايد وسط الكينيين. وبينما وجدنا بعضهن قد بدأن هذا العمل بسبب الحاجة للاستقلال، إلا أن غالبية منظمات الأعمال اخترن المجال التجارى كاستجابة لأوضاع خارجية، تتضمن سوء المعاملة والأحباط فى أماكن عملهن الحالية، والأجور، واحتياجهن إلى قدر أكبر من المرونة.

فى السنوات الأخيرة، لعبت المشاريع الصغيرة ومتناهية الصغر (Micro and Small Enterprises (MSEs)، كجزء من القطاع غير الرسمى، دوراً مهماً فى كينيا. وفقاً لدراسة إكيارا (Ikiara, 2001)، وتقرير البنك الدولى (٢٠٠١). وتوفر تلك المشاريع مساراً بديلاً للنمو الاقتصادى، وخاصة فى سياق الفقر والبطالة المتزايدين، كما تقدم أيضاً حلولاً للإصلاحات الاقتصادية التى توجه الاقتصاد إلى مزيد من الليبرالية.

وذكر المسح الذي أجراه وولف (Wolf, 2001) في جنوب أفريقيا وكينيا وتنزانيا، أن المشاريع الصغيرة ومتناهية الصغر وفرت وظائف لأكثر من ٥٠٪ من السكان أصحاب الدخل. وقدّر أن هذه المشاريع مسؤولة في كينيا عن ١٢٪ إلى ١٤٪ من الناتج المحلي الإجمالي، وهي مهيمنة على الاقتصاد الكيني باعتبارها جانباً أكثر ديناميكية في القطاع الخاص (ibid.).

ومن السمات المهمة لهذا القطاع أنه كلما نما، وفر نسبة أكبر من فرص العمل لقوة العمل النسائية في البلاد. ووفقاً للمسح الأساسي لبرنامج كينيا للمشروعات الريفية (Kenya Rural Enterprise Programme- KREP) ومكتب الإحصاء الوطني (Central Bureau of Statistics (CBS) Baseline Survey) سنة ١٩٩٩، كان عدد المشروعات المملوكة للرجال والنساء متساوية تقريباً، ٦٧٠٧٢٧ و ٦١٢٨٤٨ مشروعاً على التوالي. ولكن رغم هذا، لوحظ اختلاف كبير في نوع الأنشطة التي اختارها الرجال والنساء، والدخل المتولد عن هذه الأنشطة (Republic of Kenya 1998, 1999, 2000). ويشير المسح إلى أن النساء ربما اختارت تلك الأنماط من المشاريع، لأنها من شريحة لا يتطلب البدء فيها كثيراً من الضروريات، سواء من المهارات الجديدة أو رأس المال أو المعدات اللازمة.

وجد جاكوير (Gakure, 2004) أن أنشطة النساء الإنتاجية تتركز في المشاريع المتناهية الصغر التي تتفق مع أنوارهن النوعية، مثل إعداد الأطعمة وصناعة الملابس. ويكشف المسح الأساسي لمكتب الإحصاء الوطني (Republic of Kenya 1999) أنه بينما يتساوى عدد المشروعات المملوكة للنساء والرجال، إلا أن نسبة مشاريع النساء تزيد في مجال الخدمات (٥٥,٧٪ للنساء)، وتزيد نسبة مشاريع الرجال في التصنيع (٦٥,٧٪ للرجال) والإنشاءات (٩١,٢٪ للرجال). وظهر ارتباط بين نوع المشروع المختار من النساء أو الرجال وربحيته. إذ تولد المشاريع الصغيرة ومتناهية الصغر المملوكة للرجال دخلاً أكبر بنسبة ٧٥٪ من مشاريع النساء، حصلت النساء على ٤٢٤٤ شللاً كينياً مقابل ٧٦٢٦ شللاً للرجال.

وأشارت مجلة صادرة عن مكتب الإحصاء الوطني الكيني فى الفترة نفسها، إلى أن عدد الإغلاقات فى المشاريع التى تمتلكها النساء (٥٥٨٥ حالة) أكبر من مشاريع الرجال (٤٠٤٥ حالة) (Kibas and K'Aol 2004)، وبالنسبة لأسباب الإغلاق، كانت قلة التمويل سبباً مشتركاً فى مشاريع الرجال والنساء؛ وكان سبب عدم وجود زبائن وزيادة المنافسة بنسبة ٢٦,٨٪ فى مشاريع النساء، مقابل ١٢,٥٪ للرجال. وأضافت النساء أسباباً شخصية، مثل رعاية طفل، عندما يجدن صعوبة متزايدة فى الموازنة بين العمل ومسئوليات الأسرة. وبلغت نسبة الإغلاقات بسبب رعاية أفراد مرضى من العائلة ٢٣,١٪ من مشاريع النساء المغلقة، بينما مثلت ٢,٣٪ لدى الرجال (ibid.) ووفقاً لما ذكره مينسير (Mincer,1978) ويولاشيك (Polachek,1981)، تكون النساء فى الوضع الأسوأ عموماً عندما تنافس الرجال، سواء فى المشاريع وفرص العمل. وتقبل معظم المجتمعات أن تترك النساء سوق العمل لأغراض مثل الولادة ورعاية الطفل وما يصاحبها من مسؤوليات منزلية، وهى مهارات لا تأخذ حقها فى التقدير، وينظر إليها على أنها لا تتوافق مع المشاريع وفرص سوق العمل. وبينما تشير الإحصائيات الحكومية إلى تزايد صاحبات الشركات التى توظف عمالاً فى السنوات الأخيرة، فإنه حتى مع هذا التطور لا تمثل شركات النساء نسبة كبيرة من الشركات التى تحقق نمو مرتفع.

## اختيارات صاحبات الأعمال

وكما ذكر جاكوير (Gakure, 2004)، تميل معظم منظمات الأعمال فى كينيا إلى البناء على مهاراتهم المنزلية فى إنشاء مشاريع متناهية الصغر. ويستخلص من ذلك أنه عندما تدخل قاعدة المهارة محدداً فى اختيار المشروع، سيُحمل الاختيار بطابع نوع اجتماعى فى المقام الأول. وسيعكس تأثير الثقافة الكينية المنحازة، فى التعليم والتدريب، على الخيارات المهنية. ويشير كونيل (Connell, 2002) إلى ما تنتجه البنية النوعية فى المدرسة فى معظم الأحوال، من أفكار شديدة الصرامة حول ما يعنيه أن تكون رجلاً أم امرأة، مع استقطاب كبير للصفات المميزة للأنوثة والذكورة. وتتصل التنشئة الاجتماعية

فى المدارس بمناهج دراسية غير الرسمية (خفية)، تمثل بعداً حاسماً فى التعليم، ويمكن من خلالها أيضاً أن تشكل البيئات التعليمية تغييراً فى وجهات النظر الاجتماعية، ولكنها عموماً تواصل إعادة إنتاج القيم والمواقف التقليدية. ويتم التوصل إلى هذه التنشئة الاجتماعية عبر منظومة واسعة من الممارسات، تتراوح بين مواقف الإداريين والمدرسين وتوقعاتهم، إلى الرسائل المضمنة فى الكتب المدرسية، إلى التفاعلات بين الأقران والديناميكيات داخل الفصول الدراسية. وهناك أيضاً توقعات مؤثرة على مواقف التلاميذ، حول الأدوار المفترض أن يلعبوها فى المستقبل، إلى جانب السلوكيات التى تمارس خارج الفصل الدراسى.

وذكر مجلس السكان عام ٢٠٠٥ أن الدول النامية جميعاً، لم يلتحق بالمدرسة فيها نحو ١٠٪ من الأولاد، و٤٠٪ من البنات، فى العمر بين ٦ و ١١ عاماً. ويظهر هذا بشكل خاص فى المناطق المتوفرة بها عوامل مثل انخفاض احتمالات الحصول على فرصة عمل، وتدنى مستوى تعليم الأمهات، وحيث تمثل الأعمال المنزلية ورعاية الأطفال الأنوار المتوقعة أكثرلا بالنسبة للبنات، حتى لو طلب منهن الاشتراك فى أنشطة مولدة للدخل لتعزيز دخل الأسرة المعيشية.

ووفقاً لكونيل (٢٠٠٢)، يفترض وفقاً للتنشئة الاجتماعية، أن يتوقع الناس من الرجل القيام بدور توفير الدخل والتطابق مع صور الذكورة النمطية، ويتوقعوا من النساء دور ربة المنزل والتطابق مع صور الأنوثة النمطية. وينتج عن هذا، تفضيل الرجال والنساء للوظائف المتصلة بأنوارهم النوعية والصور النمطية النوعية، والتى تتطلب مهارات محددة مرتبطة بها. وفوق هذا، إذا كانت النساء يعتقدن داخليا أنهن بلا قيمة فى حد ذاتهن، فلن تكون هناك قيمة، من وجهة نظرهن، لإمكانية مشاركتهن المهنية من عدمها، وقد يؤدي هذا إلى تصورهن أن تلبية المطالب المجتمعية أهم وأكثر قيمة من مجرد أحلام وأمنيات شخصية. وبشكل عملى، لا يعد تحقيق أحلامهن الخاصة اختياراً حقيقياً متاحاً، حيث لا توجد أمامهن خيارات.

وتنتهى كثيرات إلى تبني القيم المرسخة اجتماعياً حول النوع الاجتماعي، التي تحط قيمتهن، وتؤدي إلى عجزهن عن احترام أنفسهن وأحلامهن وطموحاتهن في سياق المعايير الاجتماعية السائدة. ووفقاً لوجهة نظر شيجي (Chege 2003) النساء المتوافقات مع المعايير المجتمعية للنوع الاجتماعي، هن الأكمل تجسيدا للكينيات. ومن ثم، من يؤسسن شركات ناجحة أو الناجحات مهنيًا ينظر إليهن على أنهن مغامرات باتخاذ أدوار ذكورية.

وقد تحتفظ النساء مع هذا "التصور القوي للأنثى"، بالخرافات المجتمعية عن منظمات الأعمال، وينقلنها إلى مجال عملهن، مما يؤثر على موقفهن والطرق التي يسعين بها للنجاح ونمو أعمالهن (Brush and Hisrich 1999). وفوق هذا، ربما تؤثر تنشئة النساء الاجتماعية على تقييمهن الذاتي لدى استعدادهن لتأسيس أعمال تجارية. وكما ذكر برش "يؤثر المنظور النوعي للمؤسس"، على عملية التنظيم، وعلى المؤسسة الجديدة الناتجة، سواء تعلق ذلك بالنمو الكبير أم غيره. ويخلق هذا المنظور تحيزاً لا واعياً بالنسبة للإمكانات والمدى الذي قد يذهب له المشروع. وأكدت دراساتنا هذه الفكرة، إذ بصرف النظر عن نمو أعمال النساء، فقد بدأت معظمها صغيرة وظلت صغيرة، ولم يوظف بها أكثر من عشرة أشخاص.

سعت دراسة جاكوبور (٢٠٠٤) في كينيا، إلى تحديد العوامل الاجتماعية المؤثرة في نمو وتطور المشروعات تديرها النساء. ووجدت الدراسة أن أداء غالبيتها كان متواضعاً. فهل أثر التحكم في الخيارات ودفعها إلى نوع محدد من الأعمال، أو التحكم في اختيار الدخول في المجال التجاري من عدمه، على كفاءة المشاريع وفعاليتها؟ بالنسبة لكثيرات (٦٨,٦٪) جاء قرار الدخول في تجارة بدافع من الآخرين، ولم يكن قراراً ذاتياً. ويتضمن الآخرون؛ أزواجهن (بنسبة ٢٤,٦٪)، وأباءهن (٢٧,٤٪) وأصدقاءهن (١٣,١٪). (ibid.). وبالنسبة لبعض المشاركات في دراسة وانجيرا مونيواو وإم موريثي M. Mureithi (٢٠٠٨)، كان دخول بعض النساء إلى الأعمال التجارية وسيلة للمساهمة بدخل إضافي في دعم أسرهن، وبالنسبة لآخرات كان ذلك ضرورة،



حيث كن منفردات فى تأمين موارد الرزق للأسرة. وبالنسبة للنساء اللاتى اخترن مشاريعهن، كانت رغبتهن فى الجمع بين قيامهن بمشروع ومسئولياتهن الأسرية، العامل الواضح فى اختيار نوع التجارة.

وكان الحافز وراء دخول النساء فى النشاط التجارى، وأيضا نمط المشروع الذى وقع عليه اختيارهن، مؤثراً فى تحديد شكل تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات الذى كان يمكنهن اللجوء إليه، أو الأداة التى يستخدمونها فى تحسين تجارتهن، وفى جعل إدارتها من منازلهن ممكنة فى الوقت نفسه (ibid.). واختارت معظم النساء التجارة التى تسمح لهن بالمرونة التى تتطلبها رعاية الأسرة، وأداة الاتصال - التليفون المحمول - الذى يسر تلبية متطلبات أنوارهن المزوجة.

مازالوا ينظرون إلى الكمبيوتر باعتباره استثماراً مكلفاً نسبياً فى التجارة الصغيرة ومتناهية الصغر (Wolf 2001). وأعطت دراسة وولف تأكيداً أكبر على البيئة التى تواجهها المشروعات الصغيرة ومتناهية الصغر غير المواتية نسبياً، وعلى أن المشروعات لا تعمر طويلاً. ولذا يعتمد قرار استعمال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات وتشغيلها على تقدير صاحب المشروع، وهو أمر يخضع لتدريبه وخبرته. ويمكن أن يفسر هذا لماذا لم يبدأ المستخدمون الذين يملكون إمكانية جميعاً فى استخدام الأشكال المختلفة من تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، رغم ما لها من مزايا.

### هل يسهم التليفون المحمول فى تمكين صاحبات الأعمال؟

فى كينيا، تتراوح العوامل المؤثرة فى اختيار الناس الحصول على تليفون محمول بدلاً من الخط الأرضى، بدءاً من فشل شركة التليفونات الكينية فى تحقيق الالتزام بإمكانات الاستخدام العالمية، وتوفير بيئة تشغيل أكثر حرية، وزيادة المنافسة فى قطاع الاتصالات اللاسلكية (Mureithi 2005)، إلى رؤية المستخدمين أن التليفون المحمول يوفر لهم الراحة، وقدرتهم على تحمل تكاليفه. وقد انتشر التليفون المحمول على نطاق واسع بين أصحاب المشاريع الصغيرة ومتناهية الصغر فى كينيا؛ واكتشف موريشى فى عينة

من العاملين بالصناعة فى نيروبي، أن ٩٢,٨٪ من أصحاب المشاريع لديهم تليفونات محمولة، فى مقابل ٢٩,٧٪ استخدموا الخطوط الثابتة. وكان من العوامل المؤثرة فى قرار الحصول على تليفون محمول بدلا من خط أرضى، ضمن مزايا أخرى من وجهة نظرهم، القدرة على إجراء اتصال من أى مكان، وفى أى وقت، وما يترتب على هذا من زيادة سرعة بيع المنتجات. كما بدأ الوضع القانونى للشركات محددا لحاجتها من نظم المعلومات وأدوات تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات التى تستخدمها. ووفقا لما ذكره. تاندون (Tandon, 2002)، ليس هناك خيار أمام الشركة الصغيرة فى استثمارها بصيغة غير رسمية، وذلك حتى تتجنب عقبات مثل الضرائب وإصدار التقارير والتراخيص. وذكرت دراسة تاندون أن اهتمام أصحاب الشركات بوجود وسائل اتصال أخرى إلى جانب التليفون المحمول، يظهر حينما تشهد الشركة نمواً.

شعرت معظم المبحوثات فى دراسة وانجيرا مونياوا وإم موريشى (٢٠٠٨)، بتحسن أداء شركاتهن نتيجة استخدام التليفون المحمول، إذ حسن من قدرتهن على دمج الاهتمام بأمر الشركة مع الاهتمام بالأسرة. وأصبحن قادرات على تنظيم المقابلات الاجتماعية، كما يحدث مع عضوات المجموعات النسائية، باستخدام بعض خصائص التليفون المحمول، مثل الجدول الزمنى وخاصية التذكير. ووفر لهن التليفون شعوراً بالقدرة على التحكم، حتى وهن بعيدات عن مقرات شركاتهن، كما حسن شبكات العلاقات مع أصدقائهن وعملائهن، ووفر أيضاً إمكانية تحويل المال، من خلال خدمة جديدة تسمى "شراء رصيد على الهواء" (sambaza credit).

عندما وجه إليهن سؤالاً عن أهم سبب لشرائهن التليفون المحمول، تحدثت معظم المبحوثات عن تشجيع أزواجهن وأمهاتهن وأصدقائهن. وعندما سئلن عن أهم عقبات وجدنها بخصوص استخدام التليفون المحمول، ذكرن تكاليف التشغيل المرتفعة فى كينيا، وحالات حاول الأزواج فيها معرفة محتوى المكالمات التى يجريها عبر التليفون. فشعرت بعض النساء أن فائدة استخدام التليفون المحمول مشروطة، نظراً للتعدى على خصوصياتهن. فعندما يدخل شكل من التكنولوجيا لمجال المنزل، مثل التليفون المحمول، يمكن أن يحمل العالم معه.

يمكن أن يصبح التليفون فعلياً واسطة عظيمة في تكوين الشبكات وتبادل المعلومات. ورغم هذا، هناك جانب آخر للتليفون المحمول يتمثل في إغراء المستخدم بطمس حدود الفضاءات الخاصة، الأمر الذي قد يصبح مصدراً جديداً للتوتر في العلاقات النوعية غير المتوازنة. ووجدت إس. هوير و تي. سيكوسكا (Huyer and Sikoska, 2003) أن الرجال في كثير من الأحيان يشعرون أن حرية المرأة في أن يكون معها تليفون محمول تخلق اضطرابات في العلاقة الزوجية. وفي معظم الأحيان، يراقب الرجال استخدام زوجاتهم للتليفون المحمول والإنترنت. ورصدت دراسة أخرى حول النساء واستخدام التليفون المحمول في زامبيا (Wakunuma 2007) إنه بينما كانت للتليفون المحمول نتائج إيجابية على النساء، فإنه أسهم في إحداث نزاعات في الأسرة بين الزوجين، مع رغبة الأزواج والآباء في السيطرة على استخدام الزوجات للتليفون، ويرتبط النزاع أحياناً بالسماح بحمل التليفون المحمول واستخدامه من الأساس.

ويبدو أن معظم الدراسات تشير إلى المزايا الواضحة للتليفون المحمول بالنسبة لمنظمات الأعمال في نيروبي، ولكن ما زال هناك تساؤل حول ما إذا كان التفاوت النوعي يترسخ بسبب فرص حصول النساء على تليفونات المحمول واستخدامهن لها، وما إذا كان استخدامها قد أسهم في تمكين منظمات الأعمال.

### وفي هذا السياق، ما التمكين؟ دراسة حالة ليليان

ليليان، إحدى منظمات الأعمال اللاتي شاركن في الدراسة الميدانية التي أجرتها إم. موريشي وانجيرا مونيوا، حول استخدام عند منظمات الأعمال الكينيات للتليفون المحمول. وتدير ليليان صالون الأسرة للتصيف الشعر والتجميل، حيث يعمل بالصالون تسعة موظفين. يرتبط عملها ووضعها بعدة عوامل تنتمي إلى الفئة الثانية من منظمات الأعمال (انظر الملاحظة ١)، وتوفر لنا قصتها فرصة لاكتشاف ديناميكيات تكنولوجيات الاتصالات والمعلومات وتمكين النساء، وإضافة المزيد إلى فهمنا لها، ومواصلة البحث حولها في سياق الحياة الواقعية.

اختارت ليليان الطب كمهنة لها وبدأت هذا المسار بالفعل، وأكملت السنة الأولى للحصول على شهادة فى الطب فى كندا. ورغم هذا، شعرت أن عليها التخلّى عن مجال عملها فى الطب لمساعدة أسرتها على توفير متطلباتها، بسبب ضائقة مالية كانوا يمرون بها. إذ استدعتها أمها للعودة إلى وطنها لمساعدتها باعتبارها شريكة، فى تأسيس مشروع للتجميل وتصفيف الشعر، بينما واصل شقيق ليليان الأكبر، وشقيقها الأصغر تعليمهما فى الخارج. وقررت ليليان التخلّى عن حاجاتها من أجل أسرتها، حتى رغم أن هذا يعنى التخلّى عن أحلامها. واقتنعت أنها باعتبارها الفتاة الوحيدة فى الأسرة، فالتوقع منها مساعدة أمها فى تعليم شقيقها. وقالت: "لم أكن أنجبت أنجيكو ابنتى بعد، وكونى مجرد فتاة فى الأسرة، كانوا يتوقعون منى العودة، فهكذا كانت الأمور تمضى".

عندما استقرت ليليان على العودة إلى بلدها لمساعدة أمها فى تأسيس وإدارة أعمالها، كانت تتوق لمساعدة أسرتها. ورغم هذا شعرت بخسارتها فرصة دراسة الطب، التى كانت حلمها، التى شعرت أنها قد تكون متصلة بنشاط أسرتها فى تصفيف الشعر والتجميل، ومن ثم بإمكانها أن تعيش أحلامها ومساعدة أسرتها فى الوقت نفسه. وفى ذلك مؤشراً على الأساليب العديدة التى تتم بها اختيارات النساء، من خلال الخوف من إحباط أسرهن وعدم الوفاء بحسن ظن الأمهات، فيتبعن نماذج التفكير والتصرف المعهودة. هذا إلى جانب أن محدودية توقعاتهن عن أنفسهن تحد أحلامهن فى حياتهن الخاصة (Blau et al. 1998).

تبدو تصرفات ليليان غير منسجمة مع اقتناعها بنفسها وقدراتها، ولكنها متماشية مع التوقعات المجتمعية. ومع ذلك، تشعر ليليان أنها سعيدة باختيارها. ويصرف النظر عن اكتشافها أن شركة التجميل الخاصة بهم لا تغطى كل احتياجاتها المالية والمهنية، فإنها لا ترى فيما حدث لها أى خطأ. لقد قبلت اختيار مساعدة أسرتها، وفى الوقت نفسه حصلت على قدر زهيد من المال لتعليم ابنتها. واعتمدت سعادة ليليان وقتها على تقييمها لحالتها، التى تبدو مستندة على تفضيلات ذات طابع اجتماعى. وتبدو أنها تكيفت مع وضعها النوعى ويعكس تحليلها فهمها لما تراه خيراً لها وخيراً لأسرتها. ولكن هل يمكن ترجمة هذا إلى تمكين؟

كما أكدت ليليان على بعض مزايا امتلاك تليفون محمول (على عكس الخط الأرضي) أنه يوفر إمكانية أن يصل إليها من يريد الاتصال بها من أى مكان، وبناء على هذا، تستطيع أداء أعمال شركتها فى أى وقت من اوقات النهار أو الليل، أو تتتبع زوجها فى أى وقت، وأعطى لها هذا إحساس بالتحكم والمرونة، وكلاهما ضرورى فى إدارة مجالات المسئولية المتعددة التى تأخذها على عاتقها. حصلت على أول تليفون محمول لها كهدية فى الكريسماس، واستخدمته فى الأنشطة الخاصة بالشركة.

أصبحت على اتصال بعملائها، تنظم تسديد الديون وتنسق الأنشطة فى الصالون، إلى جانب تنظيم انشطتها الاجتماعية مثل تتبع أنشطة ابنتها اليومية وتحركات الأصدقاء وأفراد الأسرة والبقاء على تواصل معهم.

بدأت المزايا الاجتماعية والاقتصادية فى الحصول على تليفون محمول واستخدامه واضحة أمام ليليان، سواء فى نشاطها التجارى المتعلق بالتصنيف والتجميل، أو مسئولياتها المنزلية. ورغم هذا يتمثل السؤال الذى يجدر طرحه، هل تترسخ نماذج النوع الاجتماعى فى التنشئة الاجتماعية، ويعاد إنتاجها، مع استخدام تكنولوجيا جديدة واختيار ممارسة نشاط تجارى؟ تؤكد الإجابة بنعم واقع أن الابتكارات التكنولوجية وإتاحة فرص امتلاك مشاريع للمرأة، لا تكفلان التمكين، ولا تعالجان العقبات الجوهرية أمام تنمية المرأة اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً.

### تمكين أم تأكيد الدور النوعى لنفسه؟

يستند مفهوم التمكين المعاصر فى كينيا على افتراض أن زيادة فرص وصول النساء إلى الموارد مثل التعليم والثروة وأشكال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، سوف يؤدي بهن إلى التحول. وبمد الفكرة على استقامتها، سوف يصبح نوات مكانة فى المجتمع. ويتجاهل هذا واقع أن فرص النساء، تأتى عبر توسط عوامل هي؛ الفقر

والطبقية وتقسيمات العمل التقليدية، والتقاليد والتوقعات الاجتماعية، والعرقية، وهوس العداء للأجانب، وعليه، فلن تؤدي تلك الفرص إلى التمكين سوى لأقلية ضئيلة من النساء فقط. ويتجاهل هذا أيضاً، فكرة أن الفرص رغم ما تلعبه من دور مهم، فإنها في أحوال كثيرة تتحدد من خلال الأعراف الاجتماعية، وما يتوقع من الشخص لكونه امرأة أو فتاة؛ وعلى هذا لا تخدم فرص كثيرة بالضرورة مصالح النساء فيما يتعلق بأمانيتهن في حياتهن الخاصة. إذ إن اختيار ليليان العودة إلى بلدها لمساعدة أمها في أنشطة التصفيف والتجميل الخاصة بأسرتها، كان استجابة لطلب أمها أن تعود وتساعد في التغلب على تآكل دخل الأسرة.

وتقول إم. نوسباوم (Nussbaum, 2000)، إن تفضيلات كثيرة تنشأ كنوع من التكيف، داخل سياق التقاليد التي تقرر الامتيازات والتبعية. ومن هذا المنظور، يميل النهج المعتمد على التفضيل، إلى إعادة تأكيد التفاوت النوعي. عندما اتخذت ليليان خيار العودة إلى الوطن، خسرت فرصة تلبية حلمها الخاص. واختارت تلبية التوقعات التقليدية التي لديها كامرأة وابنة، بدلاً من مقاومة أعراف السياق الذي توجد فيه، والسعي وراء أهدافها الخاصة.

ويتعارض تناول نوسباوم للتفضيلات المتكيفة، مع طريقة فهم تمكين النساء اعتماداً على علاقة الثقافة/السياق، حيث ترى أن ذلك لا يكفي لمحاولة تحقيق العدالة الاجتماعية والتمكين. وبدل هذا، أشارت نوسباوم تحديداً إلى القدرة على فعل الأشياء التي لها قيمة بالنسبة للشخص نفسه، باعتبارها مفهوماً أساسياً. وهكذا، بدلاً من تقييم المساواة في فرص الوصول إلى الموارد فقط، مثل الدخل والثروة، يجب تركيز التحليل أساساً على قدرة الشخص على القيام بتصريف بعينه (Sen 2000). ووفقاً لسن، لدى الأفراد احتياجات متنوعة للموارد، بناء على أحوالهم الاجتماعية والجسدية، والعقبات الخاصة التي يواجهونها، بين عوامل أخرى. ومن ثم، حتى إن كانت لدى الناس الموارد الأساسية نفسها، ربما انتهى الأمر إلى أن يصبحوا غير متساوين في قدرتهم على أداء الوظائف الإنسانية التي لها قيمة.

وهكذا، بالنسبة لمعظم النساء فى دراسة إم. موريشى و وانجيرا مونيوا، كان عليهن التكيف مع طريقة ما للجمع بين متطلبات النشاط التجارى وعبء الأسرة المعيشية. ويستطيع الرجال فى مجال الأنشطة التجارية تركيز وقت أكبر فى كل عام، لمتابعة نجاح أنشطتهم التجارية. وأكدت سى. هاركيم (Harkim, 2006) أن معظم الرجال فى دراستها كانوا متزوجين ولديهم أطفال، وبدا أنهم يتمتعون بميزة العمل لساعات أطول بدنيا وذهنيا، لأن زوجاتهم فى البيت مع الأطفال. ولذلك حتى مع مشاركة النساء بشكل متزايد فى المشاريع، فإنهن يواصلن تولى مسؤولية الأعمال المنزلية غير مدفوعة الأجر.

ومن منظور نسوى، يعتبر هذا التقسيم النوعى للعمل، هيراركيًا وأبويًا، وعلى هذا فالمسألة مرتبطة بقضية العدالة (Knobloch, 2002). وتحدد كنيولوش ثلاثة أبعاد للتقسيمات النوعية للعمل. الأول أن الرجال يقومون بالعمل المدفوع الأجر، بينما تتولى النساء مسؤولية العمل غير الموجه إلى السوق والعمل غير مدفوع الأجر. ثانياً، معظم الوظائف سواء للذكور أو الإناث والوظائف مدفوعة الأجر التى تقوم بها النساء، يكون أجرها أقل من الوظائف التى يقوم بها الرجال فقط. أما البعد الثالث، تتحمل النساء فى معظم الأحوال مسؤولية أنشطة الرعاية الخاصة بالأسرة المعيشية (وفقاً للأعراف الاجتماعية و الثقافية والعلاقات النوعية غير المتكافئة)، حتى إن كن يعملن فى وظيفة خارج المنزل، أو كانت لديهن أنشطة تجارية يعتمدن عليها. ومن ثم تقوم النساء بعمل ضعف ما يقوم به الرجال، بالجمع بين أعمال الاقتصاد غير الموجه للسوق، واقتصاد السوق، غالباً يعملن ما أشارت إليه الباحثة باسم "اليوم المزدوج" (Ibid.). ونتيجة لهذا، تختار النساء المهن التى تسمح لهن بالموازنة بين العمل المأجور ومسئوليات العمل المنزلى.

وحتى نصل إلى تعريف تمكين النساء، قد يكون علينا الاهتمام بالتنوع الفردي، إتاحة الفرصة للنساء حتى يقررن ما الوظائف التى تجذب اهتمامهن، وبحث احتياجاتهن فى سياق هذه الوظائف. وهناك حاجة إلى التناول النقدي (Fraser 1997) لفكرة اختصاص النساء فقط بدور الرعاية الشاملة، والقبول دون تمحيص لما نعتبره

تفضيلات النساء ورغباتهن ، ودون أن نضع هذه التفضيلات والرغبات فى سياقها المحدد، بناء على مبرر أن "ما يمثل خير الفرد، إذا ما وسعنا نطاقه يمكننا اعتباره خير المجتمع". ويميل هذا المنهج، المستند على التفضيلات، إلى إعادة فرض أوضاع عدم المساواة، خاصة التى تم تمثلها بقوة، إلى حد تسللها إلى أحلام النساء ورغباتهن، كما اتضح فى خيارات ليليان واستعدادها للعودة إلى بلدها من أجل دور يجمع بين مسئوليات العمل المنزلى، وتوليد الدخل من مجال مرتبط تقليدياً بالأنوثة، ودمجها تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات ضمن مساعيها للنجاح بفاعلية فى دورها المزدوج نى الطابع النوعى تحديداً.

يبدو أن السعى إلى المساواة النوعية وتمكين النساء فى مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، يتطلبان أفكاراً وتصرفات قادرة على تجاوز قبول الأعراف ذات الطابع النوعى، حتى عندما يبدو أن النساء يحافظن عليها ويعززنها بأنفسهن.

## الخلاصة

لعبت تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات دوراً إيجابياً فى تعزيز تطور منظمات الأعمال فى كينيا، وبدا للتليفون المحمول خصوصاً تأثير ضخم على فاعلية وكفاءة المشاريع الصغيرة المملوكة للنساء. ورغم هذا لم يبد أن التليفون المحمول غير شيئاً فى القضايا الأساسية المرتبطة بالعلاقات النوعية. بل بدلاً من هذا، ما زالت هناك إعادة إنتاج لنماذج النوع الاجتماعى والفصل النوعى فى التنشئة الاجتماعية. وعملت تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، وما زالت، على إعادة تعريف العلاقات النوعية بأساليب مركبة ومتعددة الأبعاد. قدمت دراسة إم. موريشى ووانجيرا مونيوا وجهات نظر عميقة حول المدى الذى يمكن به استخدام التليفون المحمول، على سبيل المثال، بأساليب تعيد تأكيد الأفكار التقليدية حول الطريقة التى يجب على الرجال والنساء أن يتصرفوا بها، وقدمت الدراسة فى الوقت نفسه، أسلوباً لتحدى الأعراف ذات الطابع النوعى.



وتؤكد الدراسة أيضاً أن التدخل التكنولوجى لا يكفل التمكين. فما زالت الغالبية العظمى من سكان كينيا لم تصبهم ثورة التليفون المحمول بأى تغيير. وفوق هذا، توفر البنية التحتية المادية، أو إنشاء الخطوط لا يعنى بالضرورة الاستفادة من الاستخدام الفعلى، حيث يتأثر الاستخدام الفعلى بعوامل اجتماعية ثقافية واقتصادية. وبلا شك، يمكن لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات المساهمة فى بدرجة كبيرة فى التنمية، ولكن هناك حاجة لتسخير الاحتياجات التكنولوجية باتجاه الأدوار الاجتماعية، من خلال المشاركة الإنسانية والتوسط النشط. أكدت معظم النساء فى دراسة إم. موريشى وانجيرامونياوا على زيادة كفاءتهن وثقتهن بأنفسهن فعليا، عند استخدامهن التليفون المحمول فى أنشطتهن التجارية، ويبدو أن هذا صحيح على مستوى العالم، فى سياقات اجتماعية ثقافية مختلفة (Hafkin 2002; Gurumurthy 2004). ورغم هذا، هل يمكن لهذه الزيادة فى الكفاءة والثقة بالنفس، التى عرفتها النساء بينما يقمن بالأدوار النوعية التقليدية، أى إمكانية فى تغيير العلاقات النوعية القائمة.

## الهوامش

(١) قدمت دراسة إحدى المنظمات الدولية حول منظمات الأعمال في كينيا شهادات عن سمات تلك النساء (Stevenson and St-Onge 2005). ووجدت الدراسة أن منظمات الأعمال الكينية ليست شيئاً واحداً، ولكن يمكن تقسيمهن إلى ثلاث فئات منفصلة، وفقاً للملاح الديموجرافية، ومدى الخبرة في الأنشطة التجارية السابقة، والقدرات، والاحتياجات، وفرص الوصول إلى الموارد (الائتمان، المياني)، وأيضاً توجهاتهن نحو النمو. ضمت الفئة الأولى تحتها المشاريع الصغيرة من فئة "الشمس الحارقة" (في الأصل Jua Kali وهي عبارة بالسواحيلي تعني "الشمس الشديدة"، وتشير إلى ظروف العمل في أماكن مفتوحة) [في الأصل بالسواحيلي "Jua Kali"] وتمتلك تلك النساء مشاريعهن الخاصة، غير المسجلة غالباً وإنما ضمن أنشطة القطاع غير الرسمي. كما يكون مستوى تعليم النساء في هذه الفئة محدود (لا يصلن إلى التعليم الثانوي) ويواجهن عقبات في نقص المعرفة بطرق إدارة المشاريع والأنشطة التجارية، وفرص الحصول على ائتمان، والوعي بالأسواق وفرص السوق. وفي أغلب الأحيان، يقمن بتوظيف بعض من أفراد الأسرة، ويدرن مشروعاتهن من منازلهن، ولا تكون لديهن إلا فرصة محدودة للنمو. والأرجح أنهن يحصلن على ائتمانهن عبر الاشتراك في "حلقات الإقراض الدوارة" [في الأصل merry-go-round]، وهي عبارة عن مجموعة من خمس أو ست نساء، يجتمعن مدخراتهن خلال فترة ستة أشهر ثم يبدأن إقراضها لأفراد من نفس المحيط، وتكون سداد القرض بعد فترة زمنية قصيرة جداً. والمرجح أيضاً أنهن يعتمدن على الإبلاغ الشفهي والتليفون المحمول لتلبية احتياجاتهن للاتصال، مستخدمات أقل طرق الاتصال تكلفه (Wanjira Munyua and Mureithi 2008).

والفئة الثانية، من النساء اللاتي لديهن أنشطة تجارية صغيرة (يوظفن عادة من ستة إلى عشرة أشخاص)، ولديهن مستوى قليل من التعليم (حتى المستوى الثانوي)، وخبرة سابقة في العمل بمشروع من القطاع العام أو الخاص. وتكون هذه الأنشطة التجارية مسجلة وتستخدم أسس النشاط التجاري القانونية. ويرجح أن تكون لديهن بعض فرص الحصول على مستوى من التدريب والتمويل الصغير يمكنهن من تحسين وضع أنشطتهن، ولكن يواجهن أيضاً عقبات في سبيل فرص الحصول على تمويل. ولا تزال البنوك التجارية في كينيا تفضل إقراض كبار المدعين، ولا يحتمل أن يكون لدى تلك النساء إمكانية توفير ضمانات التأمين اللازمة. وربما يكون لديهن تليفون محمول، يستخدمه في إدارة أنشطتهن التجارية. وربما تتوفر لتلك الفئة من منظمات الأعمال إمكانات للنمو، حتى الفرص للتجارة الموجهة إلى السوق العالمي.

وتتكون الفئة الثالثة من منظمات الأعمال، قد يكن حاصلات على تعليم جامعي؛ وربما منتميات إلى عائلات لديها أنشطة تجارية، ولها خبرة في مواقع إدارية. وربما تكون أمام مشروعاتهن من الحجم الصغير أو المتوسط أو الكبير، إمكانات للنمو، وفرصاً للتوجه إلى التصدير. وفي تلك الحالات يحتفظن بتليفون محمول مع خط أرضي أيضاً، لأداء أنشطتهن التجارية. وغالباً ما يكون لديهن كمبيوتر، ويستخدمن شبكة الإنترنت. (من التليفونات المحمولة في أفريقيا)، تقرير أعد من أجل لجنة أفريقيا.

[www.commissionforafrica.org/english/report/background/scott\\_et\\_al\\_background.pdf](http://www.commissionforafrica.org/english/report/background/scott_et_al_background.pdf), accessed 29 April 2008.

## المراجع

- Blau, F. et al. (1998) *The Economics of Women, Men and Work*, 3rd edn, Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall.
- Brush, C. (1997) 'Women-owned businesses: obstacles and opportunities', *Journal of Development Entrepreneurs*, 2(1): 1-25.
- Brush, C. and R. Hisrich (1999) 'Women-owned businesses. Do they matter?', in Z. Acs (ed.), *Are Small Firms Important? Their Role and Impact*, Norwell, MA: Kluwer Academic Publishers.
- Chege, R. (2003) *A Curriculum of the Training of Trainers in Gender Mainstreaming*, Nairobi: African Women's Development and Communication Network (FEMNET).
- Communications Commission of Kenya (2006) *Annual Report 2006*, [www.cck.go.ke](http://www.cck.go.ke).
- Connell, R. W. (2002) 'The globalization of gender relations and the struggle for gender democracy', in E. Breitenbach et al. (eds), *Geschlechterforschung als Kritik*, Bielefeld: Kleine Verlag, pp. 87-98.
- Donner, J. (2007) 'The use of mobile phones by micro entrepreneurs in Kigali, Rwanda: changes to social and business networks', Research paper, *The Massachusetts Institute of Technology Information Technologies and International Development*, 3(2): 3-19.
- Fraser, N. (1997) *Justice Interruptus: Critical Reflections on the Post Socialist Condition*, New York: Routledge.
- Gakure, R. (2004) 'Factors affecting women entrepreneurs' growth prospects in Kenya', Paper prepared for the International Labour Organization (ILO), Geneva, November, [www.ilo.org/global/What\\_we\\_do/Publications/language/index.htm](http://www.ilo.org/global/What_we_do/Publications/language/index.htm), accessed April 2008.
- Jamos (2003) 'Innovative demand models for telecommunications services', [www.telafrica.org](http://www.telafrica.org).
- Gamos et al. (2004) 'The impact of mobile phones in Africa', Report prepared for the Commission for Africa, [www.commissionforafrica.org/english/report/background/scott\\_et\\_al\\_background.pdf](http://www.commissionforafrica.org/english/report/background/scott_et_al_background.pdf), accessed 29 April 2008.

- Gurumurthy, A. (2004) *Bridging the Digital Gender Divide: Issues and Insights on ICT for Women's Economic Empowerment*, New Delhi: UNIFEM.
- Hafkin, N. J. (2002) 'Are ICTs genderneutral? – a gender analysis of 6 case studies of multi-donor ICT projects', *UN/INSTRAW Virtual Seminar Series on Gender and ICTs*, Seminar One: Are ICTs Gender Neutral?, 1–12 July, [www.uninstraw.org/docs/gender\\_and\\_ict/Hafkin.pdf](http://www.uninstraw.org/docs/gender_and_ict/Hafkin.pdf).
- Harkim, C. (2006) 'Women, careers, and work-life preferences', *British Journal of Guidance & Counselling*, 34: 279–94.
- Hisrich, R. D. and M. Peters (1998) *Entrepreneurship: Starting, Developing, and Managing a New Enterprise*, New York: Irwin. Huyer, S. and T. Sikoska (2003). 'Overcoming the gender digital divide: understanding ICTs and their potential for the empowerment of women', Synthesis paper presented to UN INSTRAW (United Nations International Research and Training Institute for the Advancement of Women).
- Ikiara, G. K. (2001) 'Economic gloom still persists: Kenyans to continue grappling with unfulfilled expectations due to mismanagement', Special report in *Sunday Nation*, 30 December, Nairobi: Nation Press. International Telecommunications Union (ITU) (2007) *Key Global Telecom Indicators for the World Telecommunication Service Sector*, [www.itu.int/ITU-D/ict/statistics/at\\_glance/KeyTelecom99.html](http://www.itu.int/ITU-D/ict/statistics/at_glance/KeyTelecom99.html), accessed 10 September 2008.
- Kibas, P. B. and G. O. K'Aol (2004) 'The Kenyan entrepreneur: typologies and characteristics', Paper prepared for Frontiers of Entrepreneurship Research 2004: Twenty-Fourth Annual Entrepreneurship Research Conference, [www.kauffman.org/](http://www.kauffman.org/), accessed March 2008.
- Knobloch, U. (2002) *Promoting Women's Capabilities: Examining Nussbaum's Capabilities Approach*, Conference paper prepared for Von Hugel Institute, St Edmund's College, University of Cambridge, September.
- Mincer, J. (1978) 'Family migration decisions', *Journal of Political Economy*, 86(5): 749–73. Mureithi, M. (2005) *Factors Affecting Internet Use Among Micro- Enterprises: An Empirical Study in Kariobangi Light Industries in Nairobi, Kenya*, [www.tespok.co.ke/test/Tespok\\_Presentation.ppt](http://www.tespok.co.ke/test/Tespok_Presentation.ppt), accessed 12 April 2008.
- Nussbaum, M. (2000) 'Women and human development: the capabilities approach', in *Adaptive Preferences and Women's Options*, Cambridge: Cambridge University Press, pp. 111–66.
- Polachek, S. (1981) 'Occupational self-selection: a human capital approach to sex differences in the occupational structure', *Review of Economics and Statistics*, 63(1): 60–69.
- Population Council (2005) *Accelerating Girls' Education: A Priority for Governments*, [www.popcouncil.org/gfd/girlseducation.html](http://www.popcouncil.org/gfd/girlseducation.html). Republic of Kenya (1998) *Economic Survey*, Nairobi: Government Printers.

- (1999) *Economic Survey*, Nairobi: Government Printers.
- (2000) *Second Report on Poverty*, vol. II: *Poverty and Social Indicators*, Nairobi: Government Printers.
- Sen, A. (2000) *Development as Freedom*, New Delhi: Anchor Books. Stevenson, L. and A. St-Onge (2005)
- Support for Growth-oriented Women Entrepreneurs in Kenya*, International Labour Organization (ILO).
- Tandon, N. (2002) *E-commerce Training with Small-scale Entrepreneurs in Developing Countries: Some Findings*, Paper presented at the DfID meeting: Poverty Elimination and the Empowerment of Women: Strategies for achieving the international development targets, London: DfID.
- Vodafone (2005) *Africa: The Impact of Mobile Phones: Moving the Debate Forward*, Vodafone Policy Paper Series no. 2, [www.vodafone.com/etc/medialib/attachments/](http://www.vodafone.com/etc/medialib/attachments/), accessed February 2008.
- Wakunuma, K. (2007) *Mobiles Reinforce Unequal Gender Relations in Zambia*, [www.id21.org/insights/insights69/insights69](http://www.id21.org/insights/insights69/insights69), accessed 28 April 2008.
- Wanjira Munyua, A. and M. Mureithi (2008) *Harnessing the Power of the Cell Phone by Women Entrepreneurs: New Frontiers in the Gender Equation in Kenya*, Final report for the Gender Research in Africa into
- ICTs for Empowerment (GRACE) Project, [www.GRACE-Network.net/](http://www.GRACE-Network.net/).
- Wolf, S. (2001) *Determinants and Impact of ICT Use for African SMEs, Implications for Rural South Africa*, Bonn: Centre for Development Research/ZEF, [www.zef.de/](http://www.zef.de/),
- Accessed April 2008.
- World Bank (2001) *Engendering Development: Through Gender Equality in Rights, Resources, and*
- Voice*, World Bank Policy Research Report, Oxford: Oxford University Press.

## الفصل الثانى عشر

### استخدام منظمات الأعمال للإنترنت قطاع المنسوجات فى دوالا.. الكاميرون التعلم بالجهد الذاتى والاعتماد على النفس

جيزيل يتاميين؛ إيس تشيندا

تملك النساء نحو ٣٨٪ من المشروعات الخاصة الصغيرة والمتوسطة الحجم المسجلة فى الكاميرون، التى يبلغ عددها ٧١٠٠ مشروع، وفقاً لتقدير لبنك التنمية الأفريقية لعام ٢٠٠٦/٢٠٠٥ (٢٠٠٥). ويوجد عدد كبير من هذه المشاريع التى تستخدم ما بين ١٠ إلى ١٥ موظفاً فى منطقة دوالا، وعدد قليل منها فى ياوندى.

وتشارك منظمات الأعمال غالباً فى قطاع الملابس الجاهزة؛ وهو القطاع الذى يخلق معظم الوظائف فى الكاميرون. وتوجد ثلاثة أنماط من الإنتاج فى هذا القطاع: إنتاج الزى الموحد الصناعى؛ والملابس الجاهزة؛ والتقليدية (الخياطات المستقلة التى تصنع الملابس وفقاً للقياس). وكانت المشاركات فى دراستنا منخرطات فى النمط الثانى؛ مصانع الملابس الجاهزة.

ويستكشف هذا الفصل إذا ما كانت مديرات المشاريع يستخدمن خدمات الإنترنت التى توفرها مراكز وسائل الاتصال المتعددة، فى الغرفة التجارية، ولماذا لا تستخدمها بعضهن، واللاتى يستخدمن الإنترنت، ما الأغراض التى يستخدمنها فيها؟

ومن أجل تمكين المشاريع من الاستفادة بالفرص المتعددة المتاحة في مجال تحرير التجارة الدولية في قطاع النسيج، وضعت إستراتيجيات بهدف الوصول إلى أهداف ألفية التنمية، وبدأ منتدى قانون النمو والفرص في أفريقيا (African Growth Opportunity Act - AGOA)، وبرنامج مؤتمر طوكيو الدولي للتنمية الأفريقية. وغرفة التجارة والصناعة والتعدين والحرف التقليدية في الكاميرون (Chamber of Commerce, Industry, Mines and Crafts - CCIMA)، في إنشاء مركز لوسائل الاتصال المتعددة. واعتمد لذلك تمويلاً من شركاء تمويين متعددين. وإلى جانب توفير الخدمات لمشتغلين في المجال الاقتصادي، بما يتضمنه من تدريب واستشارات ومعلومات مفيدة حول البيئة الاجتماعية الاقتصادية وتيسير منافذ الوصول إلى الأسواق الأجنبية، أتاح المركز أيضاً مدخلاً إلى فضاء الإنترنت، بطاقة ٢٠ جهازاً وبسعة ١٢٨ ميغا بايت. وفي المركز، تم تطوير برنامج داعم لمنظمات الأعمال في قطاع النسيج ومجال الملابس، من منظور إعدادهم لغزو سوق أمريكا الشمالية في إطار قانون الفرص والنمو في أفريقيا.

### خلفية البحث

أدخلت اتفاقية المنسوجات والملابس الجاهزة لمنظمة التجارة العالمية عام ١٩٩٥، نظام الكوتا للتحكم في التجارة الدولية بمجال المنسوجات والملابس. وكان معنى إنهاء الاتفاقية في ٢٠٠٥ أن الدول النامية مثل الكاميرون، التي لا تصدر غالباً كميات كبيرة من الملابس، ستصبح أمامها صعوبة أكبر وأكبر في دخول الأسواق العالمية أو البقاء فيها.

ورغم هذا، فيفضل تجديد قانون الفرص والنمو في أفريقيا عام ٢٠٠١، أصبحت الفرص قائمة. وسيستمر إعفاء إنتاج النسيج في الدول المشاركة في هذه الاتفاقية من الرسوم الجمركية. ووفقاً لواشنطن بوست، فقد ارتفعت قيمة صادرات النسيج إلى الولايات المتحدة، وفق قانون الفرص والنمو في أفريقيا، من ٦٠٠ مليون دولار في ١٩٩٩ إلى ١,٥ مليار في ٢٠٠٣، وزادت الواردات أيضاً من ٢٧ بولة في ٢٠٠٣، من ضمنها الكاميرون، بنسبة ٥٥٪ مقارنة بالسنة السابقة عليها.



وينبغي تطوير برامج متعددة، لتقوية قدرة المشاريع ومساعدة أصحاب المشاريع في قطاع الملابس، على تنظيم انفسهم من أجل غزو أكبر لسوق الولايات المتحدة. وفي تلك البرامج، يوجد موقع خاص للشركات التي تمتلكها أو تديرها نساء. وهناك إمكانات هائلة تتضمن التصميمات الأفريقية الجذابة. ويسعى تجار تجزئة أمريكيون محدون إلى الحصول على واردات من أفريقيا لبلادهم، وأوضحت دراسات السوق، أن الأفريقيين الأمريكيين أميل إلى المنتجات التي تعبر عن تراثهم الإثني. وقدر البنك الدولي سنة ٢٠٠٢ أن هذه السوق، ربما تتراوح قيمتها ما بين ٢٠٠ و ٢٧٠ مليار دولار أمريكي، تمثل هدفاً ثميناً للمصدرين الأفارقة في قطاع الملابس (Biggs et al. 2003).

وتعنى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات أن التصدير لم يعد مقصوراً على الشركات الكبيرة. إذ قلصت تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات إلى حد بعيد تكاليف عقد الصفقات، ومن ثم فتحت مدخلاً إلى السوق العالمية. وقد أكدت سلسلة نشرات صادرة عن مركز التجارة العالمية، منافع شبكة الإنترنت لأصحاب المشاريع في قطاع الملابس من الدول النامية، وتتضمن:

- رصد السلع التي قد تعمل على تحسين تنافسية المنتجين.
- زيادة سرعة التسليم، وتقليل تكاليف الخدمات وتحسينها.
- إدخال تصميمات وتطوير المنتجات، من خلال إتاحة فرص للوصول إلى نماذج تصميمات بدائية افتراضية للملابس "والأنواق" في الوقت الواقعي، والتي يمكن محاكاة مظهرها وضبطها في نموذج جديد يظهر في صورة ذات بعدين، أو مجسداً في ثلاثة أبعاد، مما يخفف تكاليف البحوث والتنمية بدرجة كبيرة.
- تطوير حلول بالتعاون مع المشتريين، أو مجرد استخدام أنظمتهم (Knappe 2005).
- "الحماية الداخلية" والأشكال الأخرى من الحماية الجمركية.
- تلقى المصنعون أنباء حول أماكن تصريف المنتجات بشكل فوري تقريباً، ربما يمكنهم من بداية إنتاج كميات بديلة وشحنها دون انتظار لأوامر إنتاج جديدة من تاجر التجزئة.
- تقليل زمن تسليم المنتجات، وتقليل تكاليف الجرد.

ومن ثم وفقاً لهؤلاء الكتاب، رغم أن استخدام التطبيقات الإلكترونية لا يكفل النجاح في حد ذاته، فإن التجارة الإلكترونية (عندما نتصورها بالمعنى الواسع وليس باعتبارها مرادفاً للمبيعات بواسطة الإنترنت) يمكنها تحسين كفاءة الأنشطة التجارية في حين تقلل التكاليف والتأخيرات.

ورغم هذا، يبدو أن شبكة الإنترنت غير معروفة بالنسبة للغالبية العظمى من منظمات الأعمال في الكاميرون. مثل سائر الدول الأفريقية الأخرى (Chéneau-Loquay 2002)، وتتسم الكاميرون بمحدودية فرص الوصول إلى الإنترنت واستخدامها (Tankeu 2005). إذ أكد تقرير عام ٢٠٠٦ للاتحاد الدولي للاتصالات على نقص البنية التحتية لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات في الكاميرون، وارتفاع تكلفة النطاق الترددي، والافتقار إلى المحتوى المحلي الملائم، وهذا يضع صعوبات أمام مشاركة نساء الكاميرون في التجارة الإلكترونية.

ما زالت الجهود التي تبذلها الحكومة الكاميرونية لتشجيع استخدام الإنترنت جنينية وغير ظاهرة. فلا يستخدم الإنترنت سوى ١٦,٠٪ من السكان. ولم تتحقق بعد الأهداف التي حددتها في مجال الاتصالات، وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، أو ما زالت متأخرة تأخيراً كبيراً. وتتضمن تلك الأهداف زيادة كثافة الخطوط الأرضية للتليفونات من ٧,٠٪ في سنة ٢٠٠٥ إلى ٣٠٪ سنة ٢٠١٥، وكان مقرراً إتاحة فرص الوصول إلى ٢ ميجا بايت للجمهور في كل المدن، بالإضافة إلى مركز الاتصالات الإلكترونية قبل نهاية عام ٢٠٠٧.

## منهج البحث

كانت معالجة المادة وجمعها في دراستنا كيفية واستكشافية في المحل الأول. وعندما عملنا على تطوير طريقة فهم وضع منظمات الأعمال في قطاع الملابس، استخدمنا مقابلات فردية، وحلقات مناقشة جماعية، وتسجيل سير الحياة. وبدأنا بسلسلة من المقابلات مع أعضاء في منظمات تقدم الدعم للنساء ومنظمات الأعمال،

ومصممي أزياء، ومنظمات الأعمال. ونظم لقاء آخر تحت رعاية غرفة التجارة والصناعة والتعدين والحرف في الكامبيرون، ضم ٤٠ مصمماً للأزياء معاً. وتلى ذلك لقاء مع منظمات الأعمال (مبضمنا المصممت منهن)، وطرحت فيه أسئلة حول إذا ما كن يستخدمن الإنترنت، وكيف تمكن من ذلك. وأجرينا أيضاً ٢٤ مقابلة شبه مهيكلة (SSI) مع نساء في قطاع الملابس. وقصرنا دراستنا على دوالا، العاصمة الاقتصادية للكامبيرون، حيث تتم الأنشطة المتنوعة، بما فيها صناعات الأزياء والملابس الجاهزة. وبسبب قربها من المحيط الأطلنطي، ووجود مطار دولي بالقرب منها، أصبحت هذه المدينة محور التجارة الدولية في الكامبيرون.

وتمت المقابلات الفردية في موقع عمل المبحوثات. ووجهنا إيهن الأسئلة حول استخدامهن لمركز الاتصالات المتعددة في غرفة التجارة والصناعة والتعدين والحرف في الكامبيرون؛ وعن مدى معرفتهن بشبكة الإنترنت؛ واستخدامهن لها؛ والعقبات التي واجهنها في في ذلك؛ وحاجاتهن إلى التدريب.

## النتائج

استخدام مركز الاتصالات المتعددة في غرفة التجارة والصناعة والتعدين والحرف التقليدية في الكامبيرون: كانت هناك ١٧ امرأة من بين ٣٤ امرأة أجرينا معهن المقابلات، عضوات في غرفة التجارة والصناعة والتعدين والحرف التقليدية في الكامبيرون. وعرفت ست نساء عن وجود مركز الاتصالات المتعددة، ولكن اثنتين فقط استخدمتا الإنترنت بشكل عارض في هذا المركز. وعندما سئلن عن سبب عدم استخدامهن لهذا المركز الذي يوفر المصادر لهن، كانت إجابتهما كالتالي:

- نقص المعلومات، حتى لدى عضوات غرفة التجارة والصناعة والتعدين والحرف التقليدية في الكامبيرون، حول وجود هذا المركز المتعد للاتصالات (الذي تأسس عام ٢٠٠١). وفقاً لما قالته إديث<sup>(١)</sup>، في الحقيقة، أنا لا أعرف حتى عن وجود هذا المركز،

ونحن نعقد اجتماعات دورية فى قاعة الاجتماعات الخاصة بهذه المؤسسة. وكانت تجب على زيارته حتى ولو مرة واحدة،. وحيث علمت بوجوده، فسوف أذهب هناك، إذا توفر لى الوقت.

- واقع أن هذا المركز ليس فى موقع المؤسسة، ولكنه فى مقر بعيد فى مكان متطرف يصعب الوصول إليه.

- الساعات التى يكون فيه المركز مفتوحاً (من ٨ صباحاً حتى ٤ مساءً) من الاثنين إلى الجمعة، لا تتلاءم مع الفترة التى أرغب فى التردد عليه فيها. فهى متزامنة مع ساعات العمل والدراسة التقليدية:

"علمت مصادفة بوجود مركز وسائل الاتصال المتعددة فى غرفة التجارة والصناعة والتعدين والحرف التقليدية فى الكاميرون، وذهبت إلى هناك مرتين. ووجدت معظم الموجودين من الطلبة. ولم يكن هناك أى شخص لمساعدتى على القيام بالبحث. والأكثر من هذا، أن مواعيد الفتح والإغلاق لم تكن مناسبة لى " (Claudia, a fashion designer).

- واقع أنه لم ينظم على الإطلاق أى أنشطة للدعاية عن استخدامات الإنترنت بالنسبة للنساء.

والأهم، فبالنظر إلى برنامج التدريب فى الغرفة التجارية، لم نجد هناك برنامجاً حول كيفية استخدام الإنترنت.

هذا المركز، الذى تم إنشاؤه بتوصية من شركاء التنمية، يعتبر مثلاً على عديد من المشاريع الباهظة التى تم تصميمها فى الخارج، دون حوار مع المستفيدين الفعليين منها.

بصرف النظر عن حقيقة أن المركز ليس مفيداً بالنسبة لهن، فقد اتخذن مبادرات شخصية لتعلم استخدام الإنترنت، وقمن بتعليم أنفسهن بشكل أساسى، مستخدمات الإنترنت باعتبارها أداة داعمة لمبادراتهن فى مجال الأعمال والمشاريع.

المعرفة بالإنترنت: معظم النساء اللاتي تحدثنا معهن، قلن إنهن عرفن الإنترنت، وكما قالت جينين "أعرف استخدام الإنترنت جيداً، منذ خمس سنوات على الأقل، عمى (أحد كبار الموظفين شركة خاصة) علمنى استخدام الإنترنت فى مكتبه. عندما كنت أذهب هناك، غالباً كنت أجدّه مشغولاً فى قراءة الإيميلات والرد عليها. واستفدت من استشارته من خلال حسابى فى البريد الإلكتروني".

عرفت منظمات الأعمال أن الإنترنت قد تكون لها فائدة هائلة بالنسبة لهن فى البحث عن المستهلكين، والتواصل مع الأسرة والأزواج، وفى فرص الوصول إلى مواقع التواصل مع المعلومات المفيدة عن الدراسات المتعلقة بسوقهن. واستخدمت ثلاث نساء الإنترنت من أجل إعلان أكبر عن أنشطتهن، عن طريق المتاجر الموجودة على الإنترنت. واعتقدت سبع أخريات أن إنتاجيتهن وقدرتهن على الابتكار قد تحسنتا. وعرفت النساء الإنترنت باعتبارها أداة للاتصال، والبحث عن المعلومات. ورغم هذا، كانت هناك خدمات بعينها غير معلومة بالنسبة لهن، مثل منتديات الدردشة، والقدرة على القيام بعمل تعاونى عبر الإنترنت.

استخدام منظمات الأعمال للإنترنت: استخدمت الإنترنت ٢٢ من بين ٢٤ سيدة أجرينا مقابلاتنا معهن، ورجع استخدامهن لها إما إلى أسباب اجتماعية أو مهنية، كما نوضحه فيما يلى:

### لأسباب مهنية

١- لإجراء الاتصالات: استخدمت النساء الإنترنت من أجل التواصل واقعياً مع الآخرين، وباعتبارها فرصة اتصال سريعة إلى المصادر الهائلة التى تتوفر بكثرة فى هذه الوسيلة. بالنسبة لاثنتين من بين ٣٢ سيدة، مكنتهن الإنترنت من الحصول على معلومات حول طرز الأزياء السائدة، وتحسين إنتاجيتهن وتنافسيتهن.

عالم الأزياء فى تغيير دائم. تتغير الاتجاهات والألوان والطرز من موسم إلى آخر، ومن نولة إلى أخرى. وفى حالتى، لدى عملاء متنوعين، فى الكاميرين،

وأيضاً من خارج البلاد. ولذلك، من أجل متابعة أحدث التطورات، أغرق نفسي في الكمبيوتر، حتى أكتشف الأشياء التي تغيرت، وحتى بالنسبة للاتجاهات التي ما زالت ناشئة. ويتيح لي هذا أن أكون على الخط نفسه مع عملائي (Nicole, a fashion designer who exports her products to the USA).

وقالت أخريات إنهن يستخدمن الإنترنت في الاتصال مع مورديهن. راشيل، المالكة لشركة استيراد وتصدير، تستخدم الإنترنت على هذا النحو:

كما هو معلوم، أحياناً لا تتوفر إمكانية السفر. ولذلك، إذا كان لدى أمر إنتاج أريد إرساله، أرسل إيميلاً للمورد، وأحدد له ما أريد. وفي مرات قليلة، لم يكن ما أرسله مرضياً تماماً لي. لقد عملت لمدة طويلة مع هذا المورد إلى حد يمكن من معرفة كل منا بالآخر، وعادة تَمْضَى كل الأمور على خير ما يرام. أنا سعيدة بوجود الإنترنت هنا.

ومن ناحية أخرى، حددت فلورنس، منظمة أعمال أخرى:

أفضل التعامل بشكل مباشر تماماً، لأنك لا تكونين دائماً متأكدة في حالة الشراء عبر الإنترنت أنك ستحصلين على بضائع عالية الجودة.

وتمكنهن الإنترنت أيضاً من إبراز شركاتهن؛ أربع من بين ٢٢ سيدة أجرينا معهن مقابلات، اعتدن على التعامل مع الإنترنت للاتصال مع العملاء.

روز، مصممة أزياء وأم لأبنين، عملت بعد التخرج في الجامعة كإحدى كبار الموظفين في مشروع خاص محلي. وبعد عدد من السنوات، أقلس هذا المشروع، ووجدت نفسها من بون عمل. وقررت استخدام مكافأة إنهاء الخدمة الخاصة بها في تعلم الخياطة. وكانت قد تعلمت الخياط في فترة سابقة من أمها التي تعمل خياطة. وبدأت بخياطة الملابس لزملائها، الذين شجعوا موهبتها. ثم ذهبت إلى باريس، وعند عودتها إلى الكامبيرون بعد عام، افتتحت ورشتها لصناعة الملابس. ومنذ ذلك الحين وهي تشارك في مسابقات للأزياء على المستوى الوطني والدولي أيضاً، وحصلت على جوائز عديدة.

وتقول روز:

لدى موقع على الإنترنت. أنشأه لى زوجى الكندى، أثناء إقامتنا فى كندا؛ وشاركت فى عروض للأزياء ومسابقات بفضل هذا الموقع، ولك أن تتخيلى، أنه كان سبب عثور أحد كبار عملائى الأمريكيين على، وكان يجد صعوبة لفترة طويلة فى الاتصال بى. ومكنتى الإنترنت من الاتصال مع الزبائن. لدى زبائن كثيرين خارج دوالا، وحتى من خارج البلاد.

٢- للحصول على تدريب. قالت ثلاث سيدات إنهن استخدمن الإنترنت من أجل التدريب. فرانسوا حصلت على درجة بكالوريوس. ومتزوجة ولديها ثلاثة أطفال. وبدأ تعلقها بالإنترنت أثناء دراستها فى برنامج تدريبي:

عرفت استخدام الإنترنت حينما كنت طالبة. وبدأت التدريب كمصممة أزياء، وسررت حيث كان من المدهش أن أجد بعض المواقع لصناع أزياء أجنبية على الإنترنت، توجد فى هذه المواقع تصميماتهم.. وكانت هذه المواقع بمثابة إلهام لى أثناء فترة تدريبي، ولدى تصميمات تحوز تقديراً كبيراً من زبائنى. إذ صنعتها بإلهام من تلك المواقع. لا أنورها كثيراً جداً، ولكن عندما أنورها أكون مستعدة لتمضية ساعات من وقتى معها. وحصلت منها على عديد من الأفكار. ومع هذا يؤسفى عدم قدرتى على أن تكون لى إنترنت فى المنزل.

### المساهمة فى زيادة الكفاءة والمعرفة على المستوى المهني

قالت المشاركات إن استخدام الإنترنت طور ما لديهن من كفاءة ومعرفة فى مجالات شملت الاتصالات والتدريب والمعلومات.

١- إجراء اتصالات والحصول على تدريب: تستخدم النساء الإنترنت للوصول إلى حساباتهن، والكتابة، وتحرير الكتابة، وإرسال الرسائل، وغرف الدردشة، ومسح الصور، وإرسال صور المناسبات العائلية إلى الأصدقاء والوالدين فى الخارج.

داني، حاصلة على الشهادة الابتدائية، متزوجة وأم لخمسة أطفال، وهي عضوة في جمعية تابعة للغرفة التجارية. تلقت برامج تدريبية متعددة في ريادة المشاريع، ثم اشتركت في التدريب على الكمبيوتر الذي قدمته جمعية دعم ومساندة منظمات الأعمال (Association pour le Soutien et l'Appui à la Femme Entrepreneur-ASAFE) التي مقرها دوالا. وترجع داني الفضل إلى ابنها، الذي يصحبها دائما إلى مقهى السيرير، وهناك تعلمت استخدام الإنترنت: "في البداية، كانت الإنترنت تثير فضولي بشدة. ولكن حينما ذهبت هناك، تعلمت الكثير منها. وتزداد سرعتي في العمل عليها. وأعرف طريقة فتح البريد الإلكتروني. وأستطيع تحميل وثائق. ولم أكن لأصدق هذا منذ عامين".

٢- المعلومات: تعد المبحوثات الكمبيوتر مصدراً للحصول على المعلومات، ويستخدمه في ذلك (حول أسعار وماركات مستلزمات الخياطة، ومواقع الأزياء، واتجاهات الأزياء)، ويستخدمه في تبادل المعلومات مع شركاء وزملاء أجنبية، ومشاهدة عروض الأزياء. أوضحت كثير هذا كما يلي:

"من خلال الإنترنت، تعلمت البحث عن المعلومات الخاصة بموردي مستلزمات الخياطة؛ وعن اتجاهات الأزياء. وعندما احتجت إلى آلة تشطيب. لم أجد الماركة المطلوبة في الأسواق، فبدأت بحثاً على الإنترنت، ومكنتي هذا من تحديد بعض الموردين يبيعونها في الخارج. واتصلت بهم فوراً، إذ كانت أختي مقيمة في ذلك المكان. وأوصلتني بأحد الموردين في مكانها، وتفاوضت واستطعت الحصول على ألتى. وهي تحقق لي كثيراً من الشهرة في مجال عملي".

٣- استخدامات أخرى. كما توجد أوجه أخرى اكتشفت المبحوثات أن الإنترنت مفيدة فيها، تتضمن ابتكار التصميمات، وتطوير ملكة الإبداع، وتحصيل برامج دراسية والتحميل من المواقع المعنية.

أولجا، إحدى النساء التي تحدثنا معهن، حاصلة على دبلومة التعليم العالي في الخياطة منذ سنوات مضت. وتعيش في دوالا، أنشأت متاجر لها في مطارات بعض الدول الأوربية. وشاركت في مسابقات وعروض أزياء في الكامبيرون مرات لا تحصى.



وتنظم كل سنتين، عرض أزياء، يشارك فيه مصممو الأزياء المجددون. وتقول إنها بنت سمعتها على جودة منتجاتها و أصالتها، وأوضحت:

حقت لي الإنترنت أشياء كثيرة. إذ تمثل بالنسبة لي مصدراً للإلهام. عندما أزرع مواقع الأزياء أجد نفسي دائماً قادرة على الخروج بما هو جديد في مجال الأزياء، فهذا يعطيني أفكاراً كثيرة. قطعنا، أحد القطاعات التي تشهد طفرات كثيرة. والاتجاهات دائمة التغيير، فتنظر تصميمات، بينما تختفى أخرى. ولهذا، فأنا أصنع أزياء أوروبية في الملابس الجاهزة. لا بد أن يكون المرء متابعاً للأحدث حتى يحتفظ بالزيائن، أو يكسبهم دائماً، أجد نماذج أقوم بتكييفها، وأحصل منها على تصميمات أصلية، كسبت بفضلها جوائز. واليوم لدى زيائن من كل محافظات الكاميرون ومن أوروبا. من حسن حظي أنني ملتحة بمنظمة حيوية. لدينا شركاء في الخارج وضعوا موقعاً على الإنترنت تحت تصرفنا، نعرض فيه تصميماتنا. وأخيراً أصبحت على اتصال مع تاجر أمريكي يتعامل في الملابس الجاهزة. والمفاوضات مع جاريتي وفي تقدم. كما أمل.

وهكذا، اتضح أن الإنترنت صارت أداة قوية في الأنشطة التجارية لهؤلاء النساء. وأسهم التعلم بواسطة الإنترنت في تحسين الكفاءة الدينامية لعدد غير قليل من المبحوثات، ومكنهن من اكتساب معرفة بأنفسهن، وبمشاريعهن. ويمكن التعلم الإلكتروني في الحقيقة من تقوية الاتصالات وكفاءة استخدام الكمبيوتر، واتجاهات وسائل الإعلام، والتحفيز الذاتي. ولهذا فإنه يتناسب مع النساء عامة، ومنظمات الأعمال خاصة، اللاتي ينشئن لأنفسهن مشاريع.

## أسباب اجتماعية

ذكرت مستخدمات الإنترنت جميعهن، أنهن يستخدمنها في التواصل مع أقاربهن:

استخدم الإنترنت في استقبال وإرسال الإيميلات فقط. لدى أفراد من عائلتي بالخارج، وحيث يتوفر لهم استخدام الإنترنت في منازلهم، فقد اضطروني لاستخدامها. ويتصلون بي في بعض الأحيان عندما يكون لديهم ما يريدون إخباري به، بينما يكون التليفون معطلاً. ومقهى السبير هو المكان الذي ألتجأ إليه عندما أريد استشارة أو إرسال إيميل. (إيفيلين).

قالت ١٧ من بين ٣٤ منظمة أعمال شاركت معنا فى المقابلات إنهن استخدمن الإنترنت لأسباب مهنية، وقالت ٣٢ من بين ٣٤ منظمة أعمال إنهن استخدمنها لأسباب اجتماعية. واعتمدت اللاتي استخدمن الإنترنت للأسباب المهنية على أنفسهن فى التدريب.

## الخلاصة والتوصيات

تتوفر موارد مهمة بواسطة مركز وسائل الاتصال المتعددة فى غرفة التجارة والصناعة والتعدين والحرف التقليدية فى الكاميرون (CCIMA)، ولكن للأسف لم يستخدمها الأعضاء. ويمثل الموقع الذى أنشئ فيه المشروع صعوبة كبيرة فى الوصول إليه، ولا تمكن الساعات التى يفتح فيها أبوابه منظمات الأعمال، التى أجرينا معهن المقابلات، من الوجود هناك. ويبدو أن مركز الاتصالات المتعددة فى حاجة إلى وضع تصور له، وجعله فى المكان المناسب، وفقاً لتوصيات الجهات المانحة. ولم تتم استشارة المستفيدين منه بشأنه فى أى وقت، لا أثناء صياغة تصوره أو تنفيذه. ويعبارة أخرى، لم تأخذ أهدافه وإستراتيجياته ومبادئه الأولية فى الاعتبار خصوصية وضع منظمات الأعمال المحليات، ولا حاجاتها المحددة.

ومن ثم، من الضرورى أن تنظم غرفة التجارة والصناعة والتعدين والحرف التقليدية الكاميرونية (CCIMA) حملة واسعة لنشر معلومات، إذا أرادت إحداث تغيير فى حالة استخدامهم. وينبغى أن يتم إعادة النظر فى توجيه أنشطة المركز، تبدأ من حوار مع النساء اللاتي يجب أخذ حاجاتهن وأوضاعهن الخاصة فى الاعتبار. ويحتاج المسئولون عن المركز توجيه انتباههم إلى القضايا المتصلة بالمستخدمين المستهدفين من المركز.

وبالنسبة للدولة أيضاً، يفضل أن تلجأ إلى التدريب الجاد وسياسة تحفيز، وتؤسس برامج خاصة لتوفير الفرص أمام منظمات الأعمال لاستخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. ويجب أيضاً وضع إطار للعمل لجعل اقتناء أجهزة الكمبيوتر وتكلفة الحصول على فرص استخدامها متلائمة بدرجة أكبر مع ما يمكن أن تتحمله منظمات الأعمال. وينبغى أيضاً تطوير طاقة البحث من أجل تسهيل الاستخدام الكفء.

وحتى تصبح البرامج مفيدة لمنظمات الأعمال، يوصى بتعريف مصممي البرامج ما حددته النساء بالفعل بخصوص احتياجاتهن، وأن يحيطوا بأشكال التكنولوجيا الناشئة وتطبيقاتها، حتى تستفيد نساء نوالا من البرامج. وإذا تمت استشارة النساء حول احتياجاتهن وواقع استخدامهن للإنترنت، عندها فقط ستعمل برامج الإنترنت المساعدة على تمكين منظمات الأعمال من تحسين حياتهن ومشاركتهن في الاقتصاد الكامبروني.

## الهوامش

(١) لم نستخدم الأسماء الحقيقية لمنظمات الأعمال التي تحدثنا معهن.

## المراجع

- African Development Bank (2005) 'De l'entrepreneuriat féminin au Cameroun', Financing project, Cameroon: Stean and Associates. African Growth Opportunity Act (AGOA) (n.d.) [www.agoa.gov/](http://www.agoa.gov/), accessed 30 September 2008. Biggs, T., M. Miller, C. Otto and
- G. Tyler (2003) 'Africa can compete! Export opportunities and challenges for garments and home products in the European market', World Bank Discussion Papers, World Bank.
- Chéneau-Loquay, A. (2002) 'Modes d'accès et d'utilisation d'Internet en Afrique: les grandes tendances', *Africa and the Mediterranean*, 'Africa and the digital divide' dossier, 41, December.
- Hirsch, S. (2005) 'E-management – suppliers become closer partners', *International Trade Forum*, 3, [www.tradeforum.org/news/fullstory.php/aid/924/E-management\\_-\\_Suppliers\\_Become\\_Closer\\_Partners.html](http://www.tradeforum.org/news/fullstory.php/aid/924/E-management_-_Suppliers_Become_Closer_Partners.html).
- Knappe, M. (2005) 'Get connected', *International Trade Forum*, 3, ITC, [www.tradeforum.org/news/fullstory.php/aid/925/Get\\_Connected.html](http://www.tradeforum.org/news/fullstory.php/aid/925/Get_Connected.html).
- Tankeu, R. (2005) 'Fracture numérique de genre au Cameroun: quelle ampleur?', ENDA/ANAÏS.
- Tokyo International Conference for African Development (n.d.), [www.ticad.net/fra/dossier2008/2008\\_YokohamaDeclaration-fr.pdf](http://www.ticad.net/fra/dossier2008/2008_YokohamaDeclaration-fr.pdf), Accessed 30 September 2008.
- Washington Post* (n.d.) 'L'Agoa est prolongé jusqu'en 2015: l'Agoa III a été adopté par les sénateurs américains', [www.afrik.com/ article7424.html](http://www.afrik.com/article7424.html), accessed 30 September 2008.



## الفصل الثالث عشر

### تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات باعتبارها وسيطاً للتغيير دراسة حالة منظمة الأعمال من القواعد الشعبية في أوغندا

سوزان باكشا

أنجيلا ناكافيرو؛ دوروثي أوكيلو

تؤكد الدراسات الحديثة على الدور الفاعل لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات في عملية التنمية. ويكثر الحديث حول إمكانات أشكال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الهائلة في الوصول إلى سكان الريف، حتى توفر لهم التعليم والتدريب وفرصاً للعمل ومنافذ إلى الأسواق والمعلومات المهمة المتعلقة بأنشطتهم الاقتصادية، كما تيسر لهم أيضاً المشاركة في العملية السياسية. ورغم هذا، ليس لدى الفقراء، وخاصة النساء، سوى القليل من فرص استخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات والاستفادة بها في الأنشطة اليومية. ويعود هذا مبدئياً إلى البنية التحتية المحدودة والغياب شبه الكامل للمراكز التي تتيح استخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات في المناطق الريفية (Hafkin and Taggart 2001). وكشف تقرير "عملية التقييم التشاركية للفرق في أوغندا (MFPAPD 2002)" أن النساء ما زال ينظر إليهن على أنهن ملكية أزواجهن استناداً

على المال المدفوع لهن كمهر، وللرجال أيضاً السيطرة على حياة النساء، بما في ذلك وقتهن، وفرصهن للوصول إلى المعلومات ومشاركتهن في السياسة وأنشطة المجموعات الاجتماعية والتدريب.

حدد فريق البحث مهمته في استكشاف العوامل التي تسهل تمثل منظمات الأعمال الريفيات، واستخدامهن للمعلومات المقدمة على سبيل عنوان "الريفيات في أفريقيا: أفكار تنفيذ منظمات الأعمال في الحصول على المال (Women of Africa: Ideas for Earning Money by Women Entrepreneurs). وتهدف المعلومات على السبيل إلى تحسين مشروعاتهن خصوصاً، وحياتهن عموماً<sup>(١)</sup>. وكان مشروعه مقترحاً من المركز الدولي للدفاع للمرأة (International Women's Tribune Centre -IWTC) بالاشتراك مع "مركز بحوث التنمية الدولية/ مكتب شرق وجنوب أفريقيا" (Development Research Centre/Eastern and Southern Africa Office- IDRC/ESAO)، في نيروبي، ونفذه في أوغندا مجلس أوغندا الوطني للعلوم والتكنولوجيا (Uganda National Council of Science and Technology-UNCST)، بالاشتراك مع منظمات غير حكومية من بينها "مجلس التمكين الاقتصادي للمرأة في أفريقيا - فرع أوغندا (Council for Economic Empowerment of Women in Africa - Uganda Chapter - CEEWA-U) وميديا ون (Media One)، وإدارة تنمية أوغندا" (Uganda Development Services -UDS).

طرح مشروع السبيل لأول مرة سنة ٢٠٠١ في ثلاثة مراكز الاتصالات في منطقتين ريفيتين؛ ناكاسيكي وبواما، ومنطقة شبه حضرية في نابويرو. للحصول على المعلومات التقت النساء في مراكزهن وفقاً لترتيب زمني، ومعهن أحد الميسرين، لتصفح السبيل. وفي نهاية كل جلسة، يقودهن الميسر في مناقشة لما تعلمنه ومدى تطبيقه، أو احتمال تطبيقه على أنشطتهن اليومية.

وأظهرت الاستنتاجات الميدانية، أنه رغم إعجاب معظم المبحوثات بالمعلومات التي قدمت في السبيل، وفهمهن بدرجة معقولة لما ورد حول تحسين الشركات وتوسيعها،



ولكن تحول هذه المعلومات إلى معرفة، وتطبيقها للوصول إلى الأثر المرغوب فيه، ظل غير مؤكد ومتفاوتاً وفقاً للحالة الزوجية للمبحوثة وميولها الفردية وموقعها. ولكن ظهر لنا أن النساء عندما توفرت لهن الفرصة، سارعن إلى تشكيل شبكات اجتماعية تهدف إلى خلق فضاءات خاصة بهن، التي يشعرن فيها أنهن مقدرات ومرغوب في وجودهن. واكتشفنا أيضاً استخدام نماذج الدور، في تعزيز أو تعطيل فرص الوصول إلى تكنولوجيات الاتصالات والمعلومات.

### تحديد عينة المبحوثات

قام الفريق بزيارات للمناطق قبل إجراء البحث، لتعريف مديري المشروع في مراكز الاتصالات المحددة بالدراسة. وكان لمديري المشروع دور مفيد في تحديد المبحوثات اللاتي ستطبق معهن الدراسة. وتمت اللقاءات مع المبحوثات فيما بين سبتمبر ٢٠٠٥ و فبراير ٢٠٠٦، واختيرت عينة بصورة عمدية أثناء المراحل الأولى، باستهداف القياديات من صاحبات الشركات، اللاتي حضرن جلسات تشغيل السى دى فى مراكز الاتصال الثلاثة. بعد تحديد القياديات، تمت دعوة المشاركات الأخريات للمشاركة، مع انتقال الخبر من شخص إلى شخص داخل المجتمعات المحلية. وتمت المقابلات مع ١٦ سيدة، بالإضافة إلى مقابلات أجريت مع المسؤولين عن تنفيذ المشروع. ومن بينهم راشيل ميجومبى إيبوى Rachael Mijumbi Epodoi المستشار المحلى للمشروع، وجوريتى زافوجا أموريا Gorretti Zavuga Amuria، رهىما باجوما Rehema Baguma، دانييل سىماكولا Daniel Semakula مديري المشروع السابقين فى مجلس التمكين الاقتصادى للنساء فى أفريقيا - مكتب أوغندا (IDRC/ESAO)، ومارتن نسوبوجا Martin Nsubuga من منظمة اليونسكو، وأن وكر Anne Walker من المركز الدولى للدفاع عن المرأة (IWTC)، وهى مستشارة المشروع على المستوى الدولى أيضا.

## جمع المادة البحثية ومعالجتها

طبقتا المناهج الكيفية لجمع المادة البحثية، لاستكشاف الأبعاد العميقة للموضوع. أجرينا مقابلات ومناقشات جماعية مركزة، مع كل مبحوثة فى مركز الاتصال الخاص بها، ومع المستفيدات من المشروع، ولجنة إدارة مراكز الاتصالات. وتم تسجيل جميع المقابلات لضمان الدقة والشمول.

وأجرى فريق البحث أيضاً زيارات ميدانية إلى المنازل وأماكن عمل المبحوثات حيث تباشر المبحوثات عملهن. ومكنهم هذا من ملاحظة ومقارنة المعلومات التى أدلت بها المبحوثات مع الحالة الفعلية لمشاريعهن. وتبادلت المبحوثات الروايات حول طريقة استخدامهن المعلومات المتاحة على السى دى فى تحسين شركاتهن. واستخدمنا برنامجاً للتحليل الكيفى، فى تحليل المادة وتصنيفها وفقاً للموضوعات، وتحديد العوامل المؤثرة على فرص وصول النساء إلى معلومات السى دى.

## نتائج ميدانية

تمثل معلومات السى دى واكتشاف الذات: قبل مشروع السى دى، كانت معظم المبحوثات يصفن أنفسهن كفقيرات وخجولات وتتنقصهن الثقة اللازمة للحديث والمشاركة فى الشؤون العامة. وبالنسبة لمن كان لهن نشاط التجارى، لم تكن قضية تحسين مشروعاتهن للحصول على عوائد أفضل، من الأشياء التى تتكرر فى حديثهن. واكتشفنا أنهن يوقفن أنشطتهن، بسبب ضالة عائد المشروعات صغيرة الحجم، الذى ينفقونه على شراء ضروريات الأسرة، مع قلة الانتباه إلى توسيع مشروعاتهن واستثمارتهن، كما سينعكس فيما اقتبسناه من كلامهن كما يلى:

دخلى منخفض، بسبب انخفاض جودة المنتج أيضاً. ولا أستطيع استثمار الدخل القليل الذى كسبته، مرة أخرى فى مشروعى لأضمن استمرار الربحية.

كنت أربى دواجن على نطاق محدود؛ كان لدى عشرون كتكوتاً فقط. كنت أشعر أن المشاريع الكبيرة للأغنياء فقط. وحينها، كان عدد أصحاب مزارع الدواجن في تزايد، الشيء الذى جعل المنافسة أشد. وفى النهاية خسرت بعض زبائنى لصالح موردين جدد. ونقص دخلى بدرجة كبيرة وأصبحت فى حالة بائسة، وأوشكت على الإفلاس. ولكن رغم هذا، لم تكن أمامى سبيل أخرى للحصول على القوت.

ومع ظهور مشروع السى دى، تمكنت النساء من الوصول إلى معلومات وأفكار جديدة حول طرق تحسين مشاريعهن وتعريف الفرص التجارية، واكتشاف إمكاناتهن. من كانت لديهن أرضا، بدأن استخدامها فى الأغراض التجارية مثل زراعة المحاصيل النقدية. وأخريات نوعن أنشطتهن وغامررن فى مناطق جديدة للتجارة. ونتيجة لذلك، اكتسبن هويات جديدة، فانتقلن من كونهن ربات منازل إلى صاحبات مشاريع، كما حصلت أخريات على برامج تدريبية على بعض المهارات الجديدة مثل الخياطة. وترتب على ذلك، تجاوز معظم النساء للإنتاج المعيشى الشخصى أو العائلى، إلى تسويق سلعهن. وتطورن، فأصبحن مواطنات لديهن ثقة بالنفس، وبالنسبة لإحداهن، وكانت أرملة، تولت منصباً سياسياً بالانتخاب فى منطقتها المحلية. وهكذا، فى نهاية المشروع، كانت لدى النساء أشياء مختلفة يمكنهن التحدث عنها.

التمكين الاقتصادى: هل نعتبره تحرراً أم ماذا؟ عرفنا تمكين النساء كمفهوم فى بحثنا، باعتباره العملية التى يتحقق من خلالها تقدم فى مشاريع النساء وحياتهن الشخصية إلى مستويات أداء أفضل، ومن ثم يأتى التساؤل: هل يرجع سبب هذا التمكين إلى استخدام المعلومات التى توصلت لها النساء باستخدام السى دى. وتبادلت المبحوثات خبراتهن فى مشروعاتهن التى استندت على المعلومات التى حصلن عليها.

بعد أن تعلمت أشياء حول الامتثال بالزبائن، تغير موقفى تجاه زبائنى. أدركت أن على التعامل معهم كمرووس، وبالتالي يجب التحدث إليهم بشكل جيد حتى أجتنبهم.

وساعدتنى جداً المعلومات بخصوص تعبئة وتغليف وتخزين المنتجات. وتطورت نظافتى الشخصية بدرجة كبيرة، على سبيل المثال، اعتدت قبل ذلك صف بيض الدجاج فى الأطباق المخصصة له بون تنظيف، وكان قليلاً جداً من الناس يقبلون

على شرائها. ولكنى الآن أنظفه بعناية بيضة إثر الأخرى قبل صفه، والآن أصبحت المبيعات مرتفعة، وتحسنت مستويات الدخل. وأستطيع تحمل سد حاجات الأسرة بما فيها دفع الرسوم للمدرسة.

اتضح أن دخل تلك النساء ارتفع نتيجة لتحسين جودة منتجاتهن وخدمتهن. واتضح أيضاً، أنهن كلما اكتسبن دخلاً أكبر، اتجهن إلى إنفاق قدر كبير من المال على رفاهية الأسرة، وأكد بعضهن أن ذلك كان عاملاً مهماً فى الحفاظ على علاقة جيدة مع أزواجهن.

لن نضحى بالحياة لصالح المشروع: مع مسئولياتهن المتزايدة، لم تستطع كثيرات تحقيق تقدم ملحوظ فى مشروعاتهن. واستخدمن كل الأرباح، أو جزءاً من رأس المال فى تلبية حاجات أسرهن، بما يتضمنه ذلك شراء الطعام، ودفع مصاريف المدرسة وفواتير العلاج. ونتيجة لهذا، كانت تجارتهن غالباً إما فى حالة ركود، أو على وشك الانهيار. ولم تترجم المعرفة التى حصلت عليها منظمات الأعمال إلى تحسن اقتصادى على المستوى الشخصى، نظراً للأبوار والتوقعات النوعية المتضاربة. وعندما سألنا فلورنس عن سبب عدم تحقيق مشروعها أرباحاً مناسبة، بصرف النظر عن حصولها على معلومات حول تنمية المشاريع، نقلت لنا خبرتها كالتالى:

الباحث: قلت لنا إنك تعملين بهذا المشروع منذ ١٩٩٩، هل هذا صحيح؟  
المبحوثة: نعم.

الباحث: لماذا إذ لم تستطعى توسيع مساحة مشروعك، وزيادة رأس المال؟  
المبحوثة: أه، نعم، أنظر، أنا أستخدم كل الأرباح لسد حاجات أسرتى، بما فى ذلك رسوم المدارس، والرعاية الصحية والطعام.

الباحث: هل زوجك شخص غير متعاون؟

المبحوثة: بل هو كذلك، ولكنه لا يستطيع أن يفعل كل شيء. وفوق هذا، هناك أشياء مهمة بالنسبة لأطفالنا، يسهل على الأب تجاهلها، ولكن الأم ليست كذلك. على سبيل المثال، ابنتى الثانية حملت العام الماضى ولم

تكمل دراستها بالمدرسة؛ ولسوء الحظ، هجرها الشخص المتسبب في حملها. وبالطبع استاء والدها (زوجي) من الأمر كله. فكان على سداد جميع تكاليف الرعاية الصحية أثناء حملها وولادتها، التي كانت عسيرة. وأجريت لها عملية قيصرية، وشارفت على الوفاة. واستخدمت نحو ٢٠٠ ألف شلن (ربما ١٨٠ دولاراً) لأنقذ حياتها. ومعنى هذا أن فاتورة الرعاية الصحية قضت على كل أرباحي، وجزء غير قليل من رأس المال. لن تستطيعي التضحية بالحياة من أجل المشروع. فليس للإنسان سوى حياة واحدة، ولكن المشروعات قد تنتهار وتستعاد مرة أخرى. وقد قررت الآن إعادتها مرة أخرى إلى المدرسة. ورفض والدها أن يدفع رسوم المدرسة، لأنه لا يزال غاضباً منها. ولكني كأم، لا أريد لها الرسوب في المدرسة؛ وارغب في مواصلة تعليمها. لقد أخطأت، وأتمنى أن تكون تعلمت من خطئها. إذا رفضت إعادتها إلى المدرسة، ستكون عندها مشكلة أكبر في المستقبل.

وتوضح هذه الحالة، الطبيعة الاقتصادية المركبة لتمكين النساء. كان الغرض الرئيسي من مشروع السى دى تطوير مهارات منظمات الأعمال، وبهذا يمكنهن زيادة دخلهن، ووضعهن الاقتصادي بالتالي. وفي الحقيقة، معظم البحوث إما بدأت أنشطة أخرى مولدة للدخل، أو طورن مشروعهن. ورغم هذا، فعددات منهن، لم تكن عواندهن التجارية متناسبة مع الجهود التي استثمرنها. وهذا نسبي، لأن معظم الأرباح كانت تنفق على حاجات الأسرة بدلاً من إعادة استثمارها في النشاط التجاري. ولاحظنا اهتمام البحوث عامة بتخلي أزواجهن عن واجبات الأسرة، إذا لمسوا توسعاً في مشروعات زوجاتهم. ورغم هذا، لم تكن تلك النساء على استعداد لمواجهة أزواجهن لرغبتهم في الحفاظ على الزواج. وإلى جانب هذا، كان حرصهن على تلبية حاجات أبنائهن يحقق لهن إشباعاً أكثر من المطالبة بالمساواة مع أزواجهن.

ويتناسب هذا مع نظرية تعديل التفضيلات التي قدمها أمارتيا سن، في النساء والتنمية الإنسانية: مقارنة خاصة بالقدرات (Women and Human Development: The Capabilities Approach (2000))، الذي اقتبست نوسباوم عنه، وقد لاحظت أن النساء،

وغيرهن من المقهورين الآخرين، لا يرغبن في سلع إنسانية أساسية، إذ اعتدن غيابها لفترة طويلة، أو اعتبرن وجودها ليس من أجل أمثالهن" (P.139). وفي حالتنا، لم تقم بحوثات كثيرات في الدراسة بأى رد فعل دفاعى عندما تخلى أزواجهن فجأة عن مسؤوليات الأسرة، وبعضهم فعلوا هذا حينما لاحظوا أن زوجاتهم أصبحن قادرات على تحقيق دخل. وبالنسبة لبعض النساء، كان الشعور بتحسن علاقتهن مع أزواجهن أفضل لديهن من تحقيق مدخرات شخصية. وقالت إحدى النساء "الآن أستطيع المساهمة مع زوجى فى النفقات، وهذا حسن علاقتى به". ويبدو أن عمل النساء فى إعادة إنتاج الأسرة، ما زال غير محسوب على أنه يحقق قيمة اقتصادية: وعندما تكسب هذه النساء دخلاً، ويغامرن فى مشاريع مولدة للدخل خارج بيوتهن فقط، يصبح لهن تقدير لدى أزواجهن. ورغم عدم تحقيق معظم البحوثات لاستثمارات ملحوظة بسبب النفقات التى يقمن بها على المنزل، فإنهن راضيات عن قيامهن بخطوة إيجابية فى الطريق الصحيح، وقانعات بذلك.

عندما تصبح هناك مسافة بين الأنساق والمعايير العملية: بدا هناك اختلاف واضح فى قصة اثنتين من البحوثات، رغم وجود قاسم مشترك بينهما وبين الأخريات. كانت كلتاهما أرملة، اعتمدت على زوجها قبل ان تعاني حالة الترميل. وعندما رحل الزوج، لم يكن هناك من تلجأ إليه أى منهما طلباً للمساعدة. ومن حسن الحظ<sup>(٧)</sup>، كلتا السيدتين كانت لهما ملكية موروثية، بما فى ذلك ملكية لقطعة أرض. وكوسيلة لتأمين أسباب الحياة لهنفسهما، وأطفالهما، لجأتا للمشاركة فى مشاريع مولدة للدخل، بإلهام وتحفيز من المعلومات التى حصلتا عليها عبر السى دى.

ولكونهما مستقلات، فهذا حسن قدرتهما على الحركة، كانتا حرتين فى المشاركة فى مبادرات مختلفة لدعم المشاريع التنموية. وشكل حضورهما لجلسات السى دى فى مركز الاتصالات، نوعاً من السعى للمساعدة التى تبحثان عنها. واستخدمتا المعرفة فى البدء بمشروع أو توسيعه، وفى الحفاظ على استثماراتها وإضافة المزيد عليها أيضاً. ولكونهما مسئولتين عن دخلهما ولديهما القدرة على اتخاذ القرار بشأن استخدامهما،

فقد بدا أن هذا جعلهما أكثر نشاطاً وتقدماً مقارنة بنظيراتها المتزوجات. وصفت ليديا من نابويرو، وجولييت من بواما لفريق البحث كيف استخدمتا المعلومات التي قدمت إليهما على السى دى من أجل تحسين وضع مشروعيهما وحياتهما بوجه عام. قالت جولييت:

منذ مشاركتي في جلسات السى دى بمركز الاتصال في بواما، زاد دخلي بشكل هائل. استطعت إدارة أسرتي بصورة جيدة، برغم وفاة زوجي. على الأقل، أكسب أكثر من ٢٠٠ ألف شلن أوغندي (تقريباً ١٢٠ دولاراً) شهرياً. وباستخدام أرباح مشروعي، نجحت في إنشاء مبنى تجارى من أربع غرف، وأصبحت لدى دراجة تاكسى (بودابودا bodaboda)<sup>(٣)</sup> يسرت لى نقل بضائعي، الأمر المطلوب في تجارة التجزئة. أنتج أربع عبوات من عصير الفاكهة الطازجة يوميا وأبيعه. وتوسعت في نوع أعمالى التجارية، من متجر لتجارة التجزئة وماشية محلية، إلى متجرين (أحدهما في كامبالا) ودراجة نارية للنقل وتربية مواش وخنازير وإنتاج لبن، بالإضافة إلى الدخل الذى يدره تأجير منزل في جالامبا. تغيرت حياتي إلى الأفضل: وسعت إلى فرص أخرى لتوليد الدخل، وأستطيع حالياً تلبية متطلبات أسرتي، بما فيها دفع رسوم مدارس الأطفال. كما أدفع لابنى رسوم تعليمه الجامعى.

كما تظهر حالة ليديا ناباجالا ملهمة للغاية، إنها في الثلاثين من عمرها، أرملة ولديها بنتان، وقبل ترملها كانت ليديا ربة منزل تعتمد على زوجها معيلاً وحيداً للأسرة. وعندما توفي زوجها عام ٢٠٠٢، واصلت اعتمادها على أفراد عائلتها (الأم والأب والأقارب) في تدبير معيشتها. ولم تتمكن أسرة زوجها من تقديم أية مساعدة لها. ولم يعد لديها أمل في المستقبل، واعتقدت أنها ستموت عاجلاً.

وفي أحد الأيام، قالت إحدى شقيقاتها تعليقاً، أصبح نقطة تحول في حياة ليديا. فى أثناء إحدى المحادثات التى تدور بينهما عادة، قالت ليديا، نحن سنقوم برعايتك وأطفالك ما دمت أنت على قيد الحياة؛ ولكن إذا توفاك الله، لن نتمكن من القيام بالشئ نفسه...

وتقول ليديا إن هذا التعليق ألمها كثيراً، ولكنه شكل لحظة فارقة في حياتها. إذ اضطرت إلى النظر بصورة نقدية إلى نفسها، ومحنة أولادها، الأمر الذى وصفته بأنه "صحة". وحول الوقت نفسه، دعتنا صديقتها لحضور فصول دراسية حول الكمبيوتر، كانت تعقد بمركز اتصالات فى نابويرو. كانت الفصول تعقد فى أوقات ما بعد الظهر، وهذا الوقت ملائم لها. وفى النهاية، نمت فى ذهنها أفكار حول طريقة لتحسين ظروفها والتوقف عن الاعتماد على أسرتها. قررت التخلص من هوية التابعة، وتنشئ لنفسها ما يوفر معيشتها. وقصت علينا كيف تطورت منذ اتخاذها قرار إعالة نفسها وأسرتها.

"لاحظت أن لدى مساحة زائدة على حاجتى. قررت استخدام الجراج فى تربية الكتاكيت، وبيع المياه للحصول على دخل أيضاً. أستطيع أن أدفع فواتير المياه، وأستخدم الأرباح المتولدة فى احتياجات المنزل مثل شراء الطعام، ودفع مصاريف المدارس ودفع تكاليف توصيل أطفالى إلى المدرسة. ولاحظت أيضاً أنى يمكننى استخدام الجزء من الأرض الزائد على حاجتى فى بناء مساكن للإيجار".

وفى الوقت الذى كنا نجرى فيه البحث، انتخبت ليديا لرئاسة إحدى المنظمات القاعدية التى تقدم الدعم للأرامل والأيتام. وكان هذا، لأن مجتمعها المحلى ينظر لها كسيدة مغامرة جديرة بالثقة وقادرة على تحمل المسؤولية. ويتفق هذا مع ما تأكيد ماجيو و كناوفا (Mageo and Knauft, 2002)، فى عملهما حول هوية الشخص تتحدد من خلال عملية اكتسابه خبرة ذاتية - وبعبارة أخرى، ما يمر به الشخص من تجارب كفرد يتحدد فى الحقيقية بالطريقة التى يعرف أو يحدد بها نفسه أو نفسها داخل بيئة معينة. لقد نمت رغبة ليديا فى الاعتماد على نفسها، من خبرتها فى الاعتماد على أسرتها بعد وفاة زوجها. قبل وفاة زوجها كانت متوقعة فى المنزل، تشعر بالراحة فى وضعها كربة منزل، تقوم بالأعمال المنزلية. ورغم هذا، عندما توفى زوجها وأشار لها أفراد أسرتها أنهم لن يتولوا رعاية أطفالها إلى ما لا نهاية، اضطرت إلى إعادة تحديد موقفها، وتولى مسؤولية رعاية نفسها وأطفالها. وعند هذه النقطة، اختارت التغيير، ألا تتبع أياً كان بعد هذه اللحظة، وتعيد صياغة وضعها وهويتها باكتشاف قوتها



الشخصية فى تولى مسئولية بيئتها والتحكم فيها. وهكذا، أعادت خلق عالمها الخاص. ومن خلال حضور فصول مركز الاتصالات، أصبح بمقدورها الحصول على معلومات حول المشاريع التجارية، التى زادت وعيها حول الفرص المتاحة لتحسين ظروفها باستخدام الموارد الموجودة تحت تصرفها. فضلاً عن هذا، مكنتها المشاركة فى فصول مركز الاتصالات من الارتباط بالأخريات، وتعلمت من خلالها كيفية التعبير عن نفسها فى المجال العام.

تشابهت حالتا ليديا وجولييت مع معظم المبحوثات، فى كون خبرتهما كانت متأثرة إلى حد كبير بالقيم الأبوية التى غرست فى ذهنيهما خلال عملية التنشئة الاجتماعية. ولكن ما جعل وضعهما مختلفاً، أنهما أرملتان، ولديهما فرصة امتلاك مساحة من الأرض. زاد كونهما أرملتين من قدرتهما على استكشاف إمكاناتهما، واتخاذ قرار باستخدام مواردهما لصالح نفسيهما لتحسين وضعهما الاقتصادى وتلبية احتياجات ورفاهية أسرتهما. وقبل ذلك، كانت المرأتان معتمدتين تماماً على زوجيهما، ولم يكن لهما سوى قدر محدود من المهارات التجارية. كشفت حالة ليديا وجولييت أنه بإتاحة الحق فى المعلومات وفرص الوصول إلى موارد منتجة والتحكم فيها، مثل الأرض، تستطيع النساء استكشاف إمكاناتهن، ويستطعن تحسين وضعهن الاقتصادى والاجتماعى.

ولاحظ أمارتيا سن أنه كلما تحركت الانساق الاجتماعية مسافة أبعد عن الممارسة المعيارية المتعلقة بملكية الذكور، تستطيع النساء اتخاذ مبادرات تجارية واقتصادية مع قدر كبير من النجاح (١٩٩٩: ٢٠١). يتوافق هذا بوضوح كبير مع وضع ليديا وجولييت: لم يؤد الترميل فقط إلى زيادة وعيهما، ولكنهما أصبحتا أيضاً قادرتين على التخلص من وضع الضحية، بل وأمكنهما التحكم فى حياتهما، وشاركتا بنجاح أيضاً فى مبادرات بمشروعات جديدة لإعالة نفسيهما وأطفالهما. ويوضح هذا أن النساء بحصولهن على الحق فى المعلومات وحريرتهن فى إدارة شئونهن، يصبحن قادرات على تقديم مساهمات مفيدة لتنمية أسرهن ومجتمعاتهن المحلية.

ودلت الحالتان أيضا على أن الفقر لا يرتبط فقط بالدخل، ولكن يتضمن فقدان القدرات على تحسين إمكانيات الشخص. وفي حالة جوليت وليديا، كانتن أرملتين، تركهما زواجهما دون مال في حسابات بنكية. ورغم هذا كانت لديهما بعض الموارد، مثل الأرض، تحت تصرفهما. وحسن استخدام الحق في المعلومات، الذي أتاحه السى دى، ومهاراتهما في مجال المشاريع، التي زادت بدورها قدراتهما على المشاركة في مزيد من الأنشطة التجارية من أجل تحقيق دخل.

### النساء وتشكيل الشبكات

كنساء تجمعن في مراكز الاتصال، شكلن علاقات جديدة ببعضهن بعضاً، وتعرفن أكثر إلى المدربين الذين تبادلوا معهن الخبرات والحديث عن العقبات. وقبل ذلك، واجهت كل امرأة منهن حياتها الفردية التي دارت أساساً حول محور أسرهن المباشرة والممتدة. وفي مناطق مثل ناكاسيكي و باواما (منطقتين ريفيتين)، توجد مسافات تبعد بين المنازل نحو 5 كيلو مترات. ومع تقديم مشروع السى دى، أصبحت مراكز الاتصال مكان اللقاءات ليس فقط لتلقى التدريب، ولكن أيضا للتفاعل بين المتدربات. وقبل جلسات التدريب وبعدها، تجد النساء وقتا للردشة وتبادل الخبرات فيما بينهن. وبناء على ذلك، تشكلت مجموعات جديدة (سواء بشكل رسمي أو غير رسمي) بهدف استمرار العلاقات التي تأسست في مراكز الاتصالات. كان من بين تلك المجموعات التي تأسست مثلاً مجموعة نابويرو للتمويل الدوار، ومجموعة نساء تويكيمبي، وجمعية نساء ناكاسيكي للتنمية (NAWODA). وقامت تلك المجموعات على مبادئ الاعتماد على النفس، وهكذا يمكن لحصيلة تنشأ من جمع الموارد، تغطية المال اللازم كرأس مال للبدية، ولتعزيز الأنشطة التجارية القائمة.

ومن مراكز الاتصال، تعلمت بعض النساء وشاركت في النهاية مع مجموعات غير رسمية قائمة بالفعل، مثل مجموعات 'نيجينا' 'Nnigina groups'، بعد إدراك المنافع التي تعود من تشكيل المجموعات. والكلمة نيجينا تعنى حرفيا 'كوني سعيدة وأشعر

بتقدير الآخرين. وكانت مجموعات نيجينا مبادرة من نساء العاصمة، بهدف خلق منتدى تستطيع النساء الاجتماع فيه، وخاصة المشتغلات فى القطاع غير الرسمى، يتبادلن الخبرات، وتبادلن إحداهن الأخرى، ويتبادلن الهدايا. لم تكن الهدايا بالضرورة بقصد تقديم شىء قيم إلى المتلقيه، ولكن كانت أسلوباً لإظهار تقدير وقيمة الفرد فى مجتمعه. وكان ينظر إليها باعتبارها عملية تؤدي إلى التمكين؛ فمجموعات نيجينا تمكن النساء من تنظيم أنفسهن، وتبادل الخبرات وتوفير البيئة التى يستمتعن فيها بأنفسهن دون دعم خارجى.

## نموذج الدور

ظهر نموذج الدور باعتباره عاملاً مهماً مؤثراً على فرص الوصول إلى المعلومات واستخدامها. وكشفت المبحوثات من نابويرو وباواما، كيف حفزهن لحضور فصول تعليم الكمبيوتر فى مراكز الاتصال، أنهن شاهدن أخريات يفعلن ذلك، وصارت لهن سمعة حسنة فى المجتمع. وفى ناكاسيكي، وقد مثلت لهن عنصر الجذب الرئيسى، سيدة مسنة تدعى انستاسيا ناميسانجو Anastasia Namisango، تعرف عموماً باسم ناستا، يزيد عمرها على السبعين عاماً وأمية، كان لديها حماس لا يلىن وتصميم على تعلم كيفية استخدام الكمبيوتر. وفاقته شعبيتها داخل ناكاسيكي وخارجها، أحلامها العريضة عندما وقع الاختيار عليها لحضور مؤتمر بولى فى نيويورك لشرح دور تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فى تحسين مستوى معيشة النساء. وبسبب كبر سنها وأميتها، أدهشت ناستا الجميع عندما اختيرت لتمثيل نساء مجتمعها المحلى فى المؤتمر. وبدورها، أصبحت نموذجاً للدور بالنسبة للكثيرات فى ناكاسيكي. وفجأة، أصبح جميع من فى هذا المجتمع يريد الذهاب إلى مركز الاتصالات وحضور فصول الكمبيوتر. وبسبب المسافة البعيدة عن المركز، استطاعت بعض النساء تنظيم أنفسهن فى مجموعات بمواقع مختلفة ودعون ناستا لتقدم لهن جلسات تدريب. وعرضت بعض المبحوثات خبرتهن بهذا الشأن:

عندما أخذوا جاجا<sup>(٤)</sup> ناستا للخارج، أدركت أن من الممكن لأى شخص أن يتعلم كيف يستخدم الكمبيوتر. وسألت نفسى، إذا كانت جاجا ناستا، وهى مسنة وأميه، تمكنت من التعلم والتدريس، فماذا عنى، وأنا شابة. واشتركت حينها، وأصبحت إحدى الطالبات هنا، وسوف تدرس لنا كيفية تحريك الماوس وكيف سيبدأ الكمبيوتر فى الحديث والتعليم.

واشتركت أيضاً لأنى أردت تعلم طريقة كتابة اسمى. وعندما علمت أن أناستاسيا، وهى امرأة فى الثمانين، بإمكانها استخدام الكمبيوتر، مثل لى هذا تحدياً لحضور الصفوف لأرى الكمبيوتر وما يوفره من مساعدة.

وتجدد بنا ملاحظة أن نموذج الدور قد يعطى نتائج عكسية أيضاً. وحدث هذا مع حالة ناستا أيضاً. فرغم أنها ألهمت كثيرات فى مجتمعها الرغبة فى تعلم طريقة استخدام الكمبيوتر، فكثيراً من المعجبات بها، رغم استطاعتهن الوصول إلى المعلومات التى على السى دى، فإنهن لم يستطعن تطبيق هذه المعلومات فى زيادة نجاح أنشطتهن التجارية. وفى هذا كن يتبعن نموذجهما. وفى وقت إجراء الدراسة، لم يكن لدى ناستا مشروع تجارى قائم، وفى زيارة لمنزلها لم نجد فيها ما تبدو منه علاقة بعالم المشاريع. كانت تعيش فى فقر مدقع كما كانت من قبل. توقفت عند مستوى تفسير المعلومات ونقلها إلى الأخريات، ولم تترجمها أبداً إلى معرفة تمكنها مع من حولها. ويمكن أن يعزى ذلك جزئياً إلى سننها المتقدمة، وفشلها فى استيعاب الغرض من المشروع. ورغم هذا بالنسبة لنموذج الدور، كانت لهذا نتيجة عكسية، حيث انعكس عجزها على كل مبحوثات ناكاسيكي اللاتى تبعنها.

## الخلاصة

بتوفير المعلومات لمنظمات الأعمال من القواعد الشعبية، هدف مشروع السى دى إلى تحسين مشروعاتهن، ومن ثم تمكينهن اقتصادياً. وكشفت الدراسة عن أنه رغم استخدام النساء للمعلومات فى تحسين وتوسيع مشاريعهن، لم تتمكن معظمهن من تحقيق تقدم

واضح، حيث كن ينفقن كثيراً من الأرباح على احتياجات المنزل ومعيشة أطفالهن. ورغم هذا كشفت الأرامل عن حالة لاكتشاف الذات، وانتقلن من وضع التبعية إلى وضع المستقلات المتمكنات اقتصادياً. استخدمن المعلومات التي حصلن عليها في تحقيق تحسينات واضحة في أنشطتهن التجارية، وحققن أرباحاً تمكنهن من رعاية أسرهن، كما أسهمن أيضاً بشكل إيجابي في تنمية مجتمعهن.

## الهوامش

- (١) استخدم السى دى نظام متصفح متنقلاً مع تقديم بالرسم ونص ناطق. وحيث تميز السى دى بسهولة الاستخدام والنص الناطق باللغة المحلية (لوجندا)، فم يكن يتطلب سوى حد أدنى من المعرفة بطرق التشغيل. ووفر فرصة للحصول على المعلومات حول زيادة المشاريع بالنسبة للنساء فى المستوى القاعدى الشعبى. وتتضمن الموضوعات التى تمت تغطيتها فيه: استخدام ما لديك لتأسيس مشروع، وجودة المنتج أو الخدمة، العناية بالمستهلك، وكمية الإنتاج أو الخدمة، وبحوث سوق الخدمة أو المنتج، والتسعير والمنتج أو الخدمة، وتخزين المنتج، والتعبئة والتغليف وتشغيل رأس المال.
- (٢) فى معظم ثقافات أوغندا، عندما يتوفى الرجل، يكون لأقاربه حق المشاركة فى أملاكه دون حاجة إلى موافقة الأرملة. وفى أسوأ الحالات، تطرد الأرملة بعيداً عن منزل الزوجية الخاص بها، أو يطلبون منها العودة إلى أسرة والديها. ويسمح قانون الوراثة للنساء بحصة تبلغ ١٥٪ فقط من ملكية الأسرة فى حالة وفاة زوجها. ونسبة ٨٥٪ الباقية تقسم بين أطفالها ومعالين تحت رعاية زوجها.
- (٣) استخدمت الكلمة bodabodas للإشارة إلى الدراجات النارية المستخدمة فى الأغراض التجارية. وحيث لم يكن متاحاً للنساء قيادة دراجة نارية بسبب الثقافة السائدة، فكن يوظفن شاباً لتولى العمل نيابة عنهن.
- (٤) أترجمة المباشرة، الجد أو الشخص كبير السن.

## المراجع

- Hafkin, N. and N. Taggart (2001) 'Gender, information technology, and developing countries: an analytic study', Academy for Educational Development, available at [ict.aed.org/infocenter/gender.htm](http://ict.aed.org/infocenter/gender.htm).
- Mageo, M. J. and B. M. Knauff (2002) *Power and the Self*, Cambridge: Cambridge University Press.
- MFPAED (Ministry of Finance, Planning and Economic Development) (2002) *Uganda Participatory Poverty Assessment Process: Second Participatory Poverty Assessment Process Report (UPAP 2): Deepening the Understanding of Poverty*.
- Nussbaum, C. (2000) *Women and Human Development: The Capabilities Approach*, Cambridge: Cambridge University Press.
- Sen, A. (1999) 'Women's agency and social change', in *Development as Freedom*, New York: Anchor Books.





## الفصل الرابع عشر

### الاستخدام التجارى للتليفون المحمول أداة تمكين لريفيات أوغندا

جريس بانتيبيا كيوموهيندو

انطلقت ثورة المعلومات فى أوغندا، نتيجة لدخول التليفون المحمول وزيادة استخدامه خلال العقود الماضية، وظهر ذلك بوضوح فى المناطق الريفية خصوصاً. وشاركت النساء فى هذه الثورة بمستوى كثافة مميز للغاية. ولفت الاستخدام التجارى للتليفون المحمول(\*) انتباهنا، وخاصة فيما يتعلق بالسيدات اللاتى استفدن من هذه التكنولوجيا الجديدة، فأصبحن عاملات مستقلات لحساب أنفسهن فى هذا النوع من التجارة. ومن هنا، اخترت هؤلاء النساء المبتكرات القادرات على الاستجابة للأوضاع، لتكون المشاركات فى بحثى. من الطبيعى تماماً، أن تثير مشاركة النساء فى مغامرة تجارية جديدة وفريدة، عديداً من التعقيدات. ورغم هذا، لا ينصب تركيزى على هذه التعقيدات، بل بدلاً من ذلك، على عناصر داخلية وجدت النساء خبرتها داخل أنفسهن، ربما تكون ناتجة عن تمثل صوراً ثقافية مبطنة عن النسائية(\*\*) الأصلية<sup>(١)</sup>، وما قد يترتب على ذلك من تبنى أنظمة القيم تلك من أجل تمكين النساء والمساواة النوعية.

(\*) فى الأصل business mobile payphone. (الترجمة).

(\*\*) فى الأصل womenhood وتعنى الكاتبة بها هنا السمات التى تربط بين من تجمعهن صفة النساء. (الترجمة).

وسعيًا إلى معالجة هذه التساؤل، وفي إطار التركيز واسع النطاق على النوع الاجتماعي والتمكين، الموضوع الذي يقوم عليه مشروع (جريس) الأوسع نطاقاً (GRACE)، يعتمد تحليلي على استجابات وخبرات ثمانى سيدات، عشن حياة عادية قبل عملهن فى مجال الاستخدام التجارى للتليفون المحمول. ومن خلال ملاحظة تلك السيدات عن قرب، بدأت فى إدراك أن العمل فى نشاط الاستخدام التجارى للتليفون(\*)، بصرف النظر عن مزاياه الهائلة، قد يخلق توترات جديدة وفريدة فى نوعها، خاصة داخل حياة النساء الأسرية. وبدأت الاهتمام بتأثير الأوار والعلاقات النوعية، المرسخة اجتماعيا وثقافيا، على قدرة المرأة فى تشغيل تجارتها فى خدمة المحمول بشكل فاعل، وتحقيق التمكين.

عندما فكرت فى العمل فى الاستخدام التجارى للتليفون المحمول، والأحداث اليومية فى حياة النساء، كلماتهن وربودهن ومفاهيمهن والمعانى المنعكسة لديهن، إزاء حياتهن وخبراتهم المرتبطة بالعمل فى مجال الاستخدام التجارى للتليفون، اختلفت فى ذهنى صياغتى لمفاهيم التمكين والنوع الاجتماعى فيما يتعلق بتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، وخاصة فى ريف أوغندا. لاحظت أنه رغم تعلق التمكين أساساً بارتفاع قدرة تحديد خيارات إستراتيجية فى الحياة، نتيجة تزايد فرص الحصول على الموارد والتحكم فيها، فإننا لا نعرف الكثير حول طبيعة الخيارات التى اتخذتها النساء، وكيف تؤثر خياراتهن أو تتأثر بالتفاوت النوعى الراسخ فى مجتمعاتهن المحلية.

وأثار هذا تساؤلاً: هل عمل النساء فى مجال الاستخدام التجارى للتليفون المحمول، وما صاحبه من اكتساب النساء لفرص تجارية أو فرص عمل، يمكن ترجمته إلى تمكين ومساواة نوعيتين واضحتين، فى وضع تتم فيه إعادة إنتاج التفاوت النوعى وترسيخه. وأثار هذا رغبتى فى معرفة الدرجة التى يفوت التمييز النوعى على النساء مكاسبهن وقدرتهن

---

(\*) فى الأصل telework: وهى يمكن أن تعنى العمل عن بعد بواسطة استخدام أجهزة إلكترونية، ولكن هذا المعنى بعيد عن مجال هذا البحث، والمقصود هنا يتعلق بتحقيق أرباح من بيع خدمات الأجهزة الإلكترونية أو المكالمات على النحو الذى أصبحنا نشاهده كثيراً فى أحيائنا الشعبية (الترجمة).

على إدراك التمكين الحادث، فى السياق الذى توجد فيه حالياً تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فى ريف أوغندا، والنظر إلى هذا باعتباره سؤالاً مركزياً فى الجدل المعاصر الدائر حول تمكين النساء وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات.

## منهج البحث

أجرى هذا البحث فى محافظة هويما، وسط غرب أوغندا. وتقع على بعد ٢٠٠ كيلومتر من كامبالا، عاصمة أوغندا. وتعرف هويما بغلبة الريف فيها، ورغم أن وضع تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فيها غير معلوم تماماً، فإن خدمة شبكات التليفون المحمول تعمل بها بشكل جيد. ونتيجة لهذا، نشأت التجارة فى استخدام التليفون المحمول، وتشتغل النساء بها فى معظم الحالات.

أجريت فى سياق هذه الدراسة الكيفية مقابلات شبه مهيكلة مع ثمانى سيدات تم اختيارهن بصورة عمدية. ونظراً لعدم الرغبة فى عرقلة معاملاتهن مع زبائنهن، تمت المقابلات الفردية، وأخذت صورة حوار بين الباحثين والنساء، على مراحل متعددة.

وحقق أسلوب إجراء المقابلات على مراحل عدداً من المزايا. على سبيل المثال، سمحت الانقطاعات فى المقابلات المهيكلة بأن يحظى الباحثون باحترام المبحوثات وانتباههن الحقيقى، الأمر الذى أدى بدوره، ليس فقط إلى أن تكون الخبرة جديدة على النساء، ولكنها كانت أيضاً خبرة ممكنة، إذ أسقطن فيها معنا كل المحظورات المحيطة بتبادل الحديث عن الخبرات الشخصية الحميمة المتعلقة بالأنوع الاجتماعى والعمل.

وتشجعت النساء على التعبير عن أنفسهن فى حوار المقابلة الرسمية، وشرحن خبراتهن فى الاستخدام التجارى للتليفون المحمول، وزال ما قد يطرأ على حديثهن من حواجز، إذ سمحت الحوارات غير الرسمية أثناء الاستراحات التى تخلت المقابلات، للنساء بأن يتدفقن ويعبرن عن أفكارهن وتأملاتهن ومشاعرهن وعواطفهن بحرية. وقصت علينا كل سيدة من النساء الثمانى قصة تخصصها، وعلى نهاية المقابلات، لم نصبح فقط صديقات للمبحوثات، بل أيضاً من المقربات اللاتى يتقن فيهن.

ولغرض الدراسة فى هذا الفصل، سعى تحليلنا لنصوص المقابلات إلى تحديد التوترات بين احتياجات النساء أو رغباتهن من العمل، والضغوط الاجتماعية المعيقة التى يواجهونها. وألقت نقطة تركيزنا ضوءاً على المعانى التى تنعكس لديهن عن هذا الجمع من القوى، فى علاقته بالمعنى الذى يحملنه للتمكين.

## النتائج

بصرف النظر عن البداية الشاقة، حققت السيدات الثمانى نجاحاً مالياً مدهشاً من خلال مشاركتهن فى التجارة فى استخدام التليفون المحمول. ونتيجة لارتفاع الدخل، أكدت النساء ليس على فقط على تقديم مساهمات أساسية فى تغطية النفقات الخاصة بالمنزل والمصاريف الشخصية وغيرها من النفقات، ولكن أيضاً ادخرن وأعدن استثمار الأرباح فى نشاطهن التجارى. ويعنى هذا الفصل بالأسلوب الذى جاء به رد فعل السيدات اللاتى تمت مقابلتهن بخصوص هذا النجاح المالى، وخاصة التأثير على سلطتهن ووضعهن داخل المنزل والمجتمع المحلى، ومشاعرهن الداخلية بخصوص تقديرهن لأنفسهن.

الحالة الأولى، قالت زيتونى<sup>(٢)</sup> إنها منذ بداية مساهماتها المالية الكبيرة فى سد احتياجات أسرتهن، وأصبح لتجارتهن فى استخدامات التليفون اعتبارها، توقف زوجها الذى كان يسيء معاملتهن، عن تأنيبها والإساءة إليها لفظياً: "شعرت أن زوجى يحترمنى، رغم أنه لا يظهر ذلك بشكل علنى. لقد توقف عن ضربى ولم يعد إلى الصراخ فى وجهى بصوت مرتفع كما كان يفعل من قبل". وفى المجتمع الأوسع، تشعر زيتونى أن وضعها ترقى نتيجة لوضعها المالى الأفضل: "ينظر لى أصدقائى وأقاربى باعتبارى امرأة مستقرة مالياً. وأنا سعيدة بأننى أستطيع إدارة حياتى الخاصة".

الحالة الثانية مونيكا، وهى أقدم فى تجارتهن، ولكنها الأفقر مقارنة مع باقى السيدات اللاتى تمت مقابلتهن، كانت لها رؤية مختلفة. أكدت بشدة على عدم احترام مساهمة المرأة سواء كانت مالية أم غيرها، إذ إن وضعها وسلطتها داخل كل من المنزل

والمجتمع المحلى لا يمكن أن تتجاوزا عتبة معينة. واجتهدت فى شرح كيف أن السيدة المتزوجة لا تستطيع استغلال نجاحها المالى فى اتخاذ خيارات تؤدى إلى التمكين، دون أن تعرض للخطر زواجها ووضعها داخل المجتمع المحلى. تنظر مونيكا لنفسها باعتبارها سيدة من وضع رفيع سواء داخل المنزل أو المجتمع المحلى، ليس نتيجة مساهماتها المالية المتزايدة فى المنزل، ولكن بسبب استقرار زواجها، الذى يقدرها زوجها أثناءه ويوافق على عملها عن بعد: "أنا أعلم أنني أحمل كثيراً من التقدير فى المجتمع المحلى، وهذا لا علاقة له بمساهمتي فى سد حاجات الأسرة - وهى متواضعة فى كل الأحوال. أنا مقتنعة بما أنا عليه، ما دام زوجى يحترم ما أقوم به".

الحالة الثالثة أوليفر، وتعيش بمفردها، فلم يكن هناك ما يقال عن وضعها داخل المنزل. ورغم هذا، فقد شعرت بشدة أن النساء اللاتي يعملن فى استخدامات التليفون المحمول، بحكم مهنتهن، غير قادرات على تحقيق الاحترام كشخصية قيادية فى مجتمعهن المحلى بصرف النظر عن دخلهن الذى يتحسن.

أعلم أنى أكسب مالا أكثر، وأعيش نسبيا بشكل أكثر راحة. ومع ذلك، أنا متأكدة أن عملى لا يكسبني احتراماً بائى شكل كان. تجارة استخدام التليفون المحمول ينظر إليها باعتبارها فشلاً فى الحياة. بعض الناس يروننا عاملات بالجنس متكرات. ورغم هذا أنا مرتاحة لما أقوم به، ما دام أنى أضمن لنفسى قوتى. فلن يملك الوضع والسلطة أن يدفعنا للشخص منا إيجار منزله".

الحالة الرابعة سليفيا، لديها شعور أوليفر نفسه. تشعر أنها ليست مرتاحة، وقللت من شأن الحديث عن السلطة والوضع، حيث إنها لم تر نفسها قادرة على الحصول على أى منها سواء حالياً أو فى المستقبل.

الحالة الخامسة فلورنس، قالت إنها منذ بداية نجاحها الحالى فى تجارتها فى استخدام التليفون المحمول، لم يطرأ أى تغيير عليها، سواء فى وضعها أو فى علاقات السلطة فى المنزل. مثل مونيكا، كانت مقتنعة برؤية أن مساهمة الزوجة المالية لا تعنى شيئاً، ولا تتناسب السلطة التى تتمتع بها معها سواء فى المنزل أو فى المجتمع المحلى الأوسع. ونكرت:

كانت تجارة استخدام المحمول فكرة جيدة، لقد راج بسببها محلنا للبقالة، وزاد مستوى معيشتنا بشكل عام. رغم هذا، موقف زوجي تجاهي لم يتغير. بقي محتفظاً لنفسه بالقرارات الأساسية كلها، ويراقب نشاطي في الاستخدام التجاري للتليفون بإلحاح، ويسيطر علىّ إلى حد أنه رفض (السماح) لى بأن يكون لدىّ تليفون محمول خاص، رغم أنى أستطيع بسهولة شراء واحد.

الحالة السادسة فيونا، شعرت أنها عندما تركت وظيفتها المدفوعة الأجر، والتحقّت بالعمل المستقل في الاستخدام التجاري للتليفون المحمول، تدهورت حالتها الاجتماعية. وتؤيد مشاعر أوليفر، إذ أكدت أن السلوك الأخلاقي لبعض صاحبات مشاريع الاستخدام التجاري للتليفون، تترك كثيراً من الملاحظات، الأمر الذي لا يوحى بالخير بالنسبة لمكانتهن ووضعهن على أى مستوى.

الحالة السابعة إيفا، ذكرت بحزن أنها قبل التحاقها بالعمل في مجال الاستخدام التجاري للتليفون، عندما كانت فقيرة وملتزجة، كان الناس يحترمونها؛ ولكن عندما نجح مشروعها خسرت الزواج وكل ما يصاحبه من احترام. رغم هذا، واصلت العمل وأصبحت أكثر حرية، لم تشعر بحافز لاستغلال مشروع الاستخدام التجاري للتليفون لاتخاذ قرارات تؤدى إلى تمكينها. وتقول إيفا متأثرة بضعف معنوياتها بسبب انفصالها عن زوجها، الذى نتج - كما يبدو - عن توترات نشأت عن عملها في مجال الاستخدام التجاري للتليفون:

أنا حرة، أفعل وأسيطر على كل ما أكسب من تجارتي في استخدام التليفون. ورغم ذلك، فكل هذا لا معنى له دون زوجي. كيف تستطيعين الحديث عن وجودك أو تشعرين بالتمكن عندما تكونين مهجورة؟

هل حرية أن تفعل ما تريد تعنى أى شيء عندما تعيشين وحيدة؟ يبدأ التمكين مع وجود زوج معك، على الأقل شخص تمارسين سلطتك معه.

الحالة الثامنة ميلين، كانت تتفق في الرأي مع من قلن إن اشتغالها في الاستخدام التجاري للتليفون طور وضعها على كل المستويات. وذكرت أن حصولها

على زوج، الذى ترجعه إلى تحسن أوضاعها المالية، زاد من ثقته فى نفسها، وأعطاهها قوة داخلية باعتبارها امرأة متزوجة. بالاختلاف مع معظم زميلاتهما، تشعر ميلين أن الحصول على استقرار مالى، وليس الزواج، هو نقطة البداية للتمكين. ورغم ذلك تعترف، بأن التوترات بين النوعين لا تفضى إلى عمليات عمل ناجحة فى الاستخدام التجارى للتليفون. وذكرت:

يعرف زوجى قيمة عملى فى الاستخدام التجارى للتليفون، ولا يشكى من غيابى الطويل عن البيت، وظهورى فى المجال العام. ويعطينى هذا قوة داخلية وثقة، ومرونة تمكّننى من مواصلة مثل هذا العمل، على الرغم من أنى مسلمة، والدين الإسلامى لا يتساهل مع مثل هذا العمل، خاصة لسيدة متزوجة. وفى الحقيقة، فعلمى فى مواجهة مثل هذه التحديات يجعلنى أشعر أنى قوية.

التليفون المحمول: هل هو أداة تمكين للمرأة والمساواة النوعية، أم مجرد حصول على عائد اقتصادى؟ ولا سيدة واحدة من بين المشتغلات فى الاستخدام التجارى للتليفون المحمول، بصرف النظر عن تباينات ظروفهن الاجتماعية الاقتصادية، يمكن وصفها بأنها مستقرة مالياً قبل مساهمتها بالعمل فى مجال التليفون. ورغم هذا معظم النساء كن متزوجات، فإن أكثرهن لم يكن يحصلن من أزواجهن على دعم مناسب سواء من الناحية المالية، أو غيرها. ومثل زوجاتهم، لم يكن الأزواج أقوياء من الناحية المالية، ولا يكادون يستطيعون الاستجابة إلى أنوارهم ومسئولياتهم التقليدية، والتوقعات التقليدية المرتبطة بهم كمعيلين للأسرة.

وعلى هذه الخلفية، تم إنشاء "قرية" التليفون المحمول فى توقيت ملائم للغاية بالنسبة للفقيرات المتعثرات. فعلى الرغم من صعوبات الدخول فى مشروع جديد، بما فى ذلك جمع رأس مال كافٍ لشراء جهاز التليفون، وضمان وجود مكان مناسب لممارسة العمل، والحصول على موافقة الزوج، والافتقار إلى الخبرة التجارية، فإن المشاريع الوليدة ازدهرت. وتحققت أرباح نقدية كبيرة بالمعيار المحلى، فى وقت قياسى، وروت النساء عما طرأ من تحسنات فى مستويات معيشتهن، سواء فيما يتعلق بشخصهن، أو أسرهن.

وكان العمل في الاستخدام التجارى للتليفون المحمول من المشاريع الرائجة التى تعجب النساء فى تميزها عن باقى أشكال التجارة الأخرى. ويرجع هذا جزئياً إلى الأرباح النقدية المباشرة، وأنها توفر للمشتغلات فى هذا المجال عنواناً مادياً وإلكترونياً، وهذا يترك أثره فى تخفيف عزلتهن الاجتماعية والمادية. وفوق هذا، يتطلب العمل بهذا المجال منهن أن يكن حسناً الملبس ومستعدات لاستقبال الآخرين، وأن يتفاعن بحرية مع عملائهن المحتملين أو الفعلين.

قدرة النساء على تأسيس مشروع للاستخدام التجارى للتليفون وتشغيله بنجاح، وتحقيق مكاسب مالية والتحكم فيها، أسهمت بصورة أساسية فى تحسين مستوى الرفاهية، سواء لأنفسهن أو عائلاتهن. وعندما تحدث عديد من النساء حول مستقبل مشاريعه فى الاستخدام التجارى للتليفون، تدفقن فى التعبير عن الشعوز بالقوة الداخلية، والإحساس القوى بحرية الحركة والقدرة على اتخاذ قرارات مصيرية، بما يعنيه ذلك أنهن فى وضع أفضل بالنسبة للتحكم فى مصيرهن.

يقول بعض الناس إن هذا النمط من المشاريع التجارية يفضل، والأهم، أننا سوف ننافس أنفسنا، ولا يمكننا الاستمرار فى نشاطاتنا. وبالطبع لا يمكن حدوث هذا، طالما يتزايد الطلب على الاستخدام التجارى للتليفون يومياً. وسننتشر حتى نكون مراكز للاستخدام التجارى للتليفون. (أوليفر).

وربما نفترض أنه نتيجة لزيادة فرص الحصول على الموارد المالية والتحكم فيها، بفضل انتعاش أنشطتهن التجارية، ستتوفر للنساء إمكانية التغلب على واقع ضعف موقعهن الذى يفرضه النظام الأبوى المهيمن، والتبعية الاجتماعية والاقتصادية التى يعانين منها سواء على مستوى المجال المنزلى، أو مجتمعهن، ولكن النساء يخلقن بعملهن فى الاستخدام التجارى للتليفون المحمول، فرصاً جديدة يمكنهن استغلالها أساساً لتمكين أنفسهن، عبر تحدى البنية الاجتماعية التى تضعفهن، وخاصة فى مستوى الأسرة، ولكن يكاد ألا تكون بينهن سيده واحدة، قامت بمجرد محاولة لاستغلال اتساع فرصها، لتأكيد نفسها كصانعة للقرارات الأساسية داخل أسرتها.



لم تشر ولا واحدة من النساء الثمانى اللاتي قابلناهن إلى أن وضعها الجديد كمساهمة في تمويل الأسرة، كان حافزاً لها مثلاً للتأثير في الأوار والمسئوليات والهويات النوعية، وحتى تصور الأنشطة النوعية الروتينية، أو بداية إحداث تغيير فيها. وحتى مع المتاح من تزايد الفرص والسلطة في سلوكهن، لم يبد منهن اتخاذ أى تصرف أو سلوك عكس الوضع النوعى القائم حالياً لهيمنة الرجال على الأسرة، اللهم إلا خلسة فقط.

عندما سئلن حول تأثير نشاطهن التجارى، تضمنت بعض إجابات النساء أن أزواجهن أصبحوا يضرينهن أو يسيئون إليهن لفظياً بدرجة أقل فى معظم الأحيان، المشاعر أو الافتراضات المتعلقة بالاحترام المتزايد من جانب أزواجهن، وتعمدن إعلان قيمة أقل لأرباحهن أمام أزواجهن، وتجنب ادخارات سرية، وإعادة استثمار الأرباح فى مشروعات تجارية مثل شراء قطعة أرض، أو عدد من البودا بودا (دراجات بخارية تستخدم عادة فى النقل لمسافات قصيرة)، أو مواش ومتاجر تجزئة، بين جهود أخرى. تحدثت بعض النساء عن مساعدة أقارب لهن، وأنهن أصبحن قادرات الآن على استخدام وسائل منع الحمل سراً، التى يصعب حتى الآن الحصول عليها بسبب تكلفتها المالية (حتى ينظمن قدرتهن على الحركة).

وبالنسبة لقليل من النساء اللاتي اقتربن من التمتع تماماً بالتأثير المميز والمحرر لعلمهن فى مجال الاستخدام التجارى التليفون المحمول، مثل التخلص من العمل المنزلى الشاق، والبقاء فى مقر عملهن لفترات طويلة، حتى المساء، إرتدائهن ملابس أكثر أناقة، والتفاعل بحرية مع الزبائن الحاليين أو المحتملين، والتحكم فى أرباحهن، والأهم من كل ذلك أن العواقب تميل لأن تكون وخيمة إذا حاولن أن يصبحن صاحبات قرار رئيسى فى المنزل. ونتيجة للتهديد (الحقيقى أو المتخيل)، بأن تضعف باستمرار هويات الأزواج كرؤساء للأسرة بحكم الأمر الواقع، ولا تعود لسابق عهدا، بسبب زيادة الفرص أمام زوجاتهن. تتزايد التوترات بين الأزواج والزوجات. ولا يستبعد أن يترتب ذلك عنفا جسدياً ونفسى فى كثير من الأحيان. بل وأصبحت حالات الانفصال والطلاق التى وقعت نتيجة لمنازعات لم تجد لها حلاً، نشأت عن اشتغال الزوجات فى الاستخدام التجارى التليفون، وأصبح هذا أمراً مألوفاً فى حالة النساء اللاتي اتخذن هذه السبيل.

النساء التي مررن بعنف مرتبط بالنوع الاجتماعي أو فشل الزواج، بصرف النظر عن الإحساس بالمرأة والإحباط، ينظرن إلى وضعهن باعتباره تكلفة لا يمكن تجنبها للفرصة التي أتحت لهن من عملهن في مجال الاستخدام التجاري للتليفون. واختارت كثيرات مواصلة نشاطهن التجاري كميكانيزم للتأقلم سواء من الناحية الاقتصادية أو النفسية. ونتيجة لحالتهن الزوجية الجديدة كعازبات، ذكرن أنهن أصبحن أقل حصاراً بالالتزامات الأسرية ومن ثم قدرات على تشغيل مشروعهن بحرية، بما يترتب عليه كسب مزيد من المال فيما بعد:

يتساوى إن ضحيت بزواجك ونجحت في عملك في الاستخدام التجاري للتليفون، أو أعطيت الأولوية للزواج، ويتساوى الاستمرار في مستوى نجاح متوسط أو الانهيار التام (أوليفر).

وردت إيف وجهة نظر أوليفر عندما ذكرت:

غياب زوجي الطويل عن البيت، قبل انفصالي عني، أعطى عملي، الذي تدمور نتيجة لعدم استقرارى الأسرى، دفعة كان في أشد الحاجة إليها. أمضيت وقتاً أطول في كشك التليفون، الذي استعاد زبائني القدامى، بالإضافة إلى جذب آخرين جدد؛ وازدهر مشروعى الذى أصبح حبل النجاة لى الآن.

شعرن أن حصار الالتزامات الأسرية لهن أقل، ومن ثم أصبحن قادرات على التعامل مع نشاطهن التجارى بحرية، الأمر الذى تترتب عليه فيما بعد زيادة ما يحصلن عليه من مال. ورغم هذا اعترفت تلك النساء، أن ذلك كان على حساب شعورهن بمكانتهن الاجتماعية سواء فى المنزل أو فى مجتمعهن على نطاق أوسع. وكان التفكير السائد لدى النساء جميعهن، أن المكانة الاجتماعية تأتي من الزواج، أيا كان مدى استقرار الزواج، كما أوضحت ذلك إيفا ومونيكا وفلورنس.

## تحليل النتائج

ما زالت الرؤى متضاربة حتى اليوم حول تطور تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات وتمكين النساء. فمع انتشار تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، خصوصاً في الأماكن الريفية، زادت التخوفات من استمرار وضع تهميش النساء رغم هذا التطور، وإن اتصل بمنطقة يمكن للنساء المشاركة فيها بفاعلية، إذا لم تعالج قضية الأنوار النوعية الراسخة اجتماعياً وثقافياً، إذ إنها تلعب قاسماً مشتركاً في تشكيل قدرة النساء والرجال على المشاركة على قدم المساواة (Sharma 2001).

ولاحظ باحثون آخرون أيضاً، أن النساء إذا تمكن من استخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات في أغراضهن الخاصة، يكتسبن معرفة متزايدة واعتزازاً بأنفسهن؛ ويبدو هذا صحيحاً في سياقات اجتماعية وثقافية مختلفة على مستوى العالم. وتتضمن عملية التمكين احتمالات زعزعة العلاقات النوعية القائمة بصورة ما (Hafkin 2000; Gurumurthy 2004). ووفقاً لها فكين، ستتفيد الأفريقيات من مزايا هذه الوسيلة، وستسحبها على السياق الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، وبهذا يمكن أنفسهن. ورغم ذلك ذكرت أن التكنولوجيا الجديدة ليست محايدة بالنسبة للنوع الاجتماعي، وأن النساء إذا لم يقبضن على الفرص، ستتغلب القوى المجتمعية، وسيتركهن هذا التطور في وضع أكثر سوءاً من ذي قبل.

وهكذا من الواضح، أن تأثير تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات على تمكين النساء يتطلب اتفاقاً واسعاً على فهم ترجمة معنى التمكين، التي تتباين في مختلف السياقات. وعلى سبيل المثال، فوفقاً لمنظمة (منتدى المرأة) Kvinnoforum السويدية لا توجد للتمكين تعريفات محددة؛ حيث التركيز الذي ينبغي توجيهه للتمكين لا يأتي من أي شخص آخر، بل يبدأ من الداخل (41: cited in Alsopa and Heinston 2005). وفي هويما، المجتمع الذي يهيمن عليه الرجال، لم تظهر مفاهيم تمكين المرأة والمساواة النوعية إلا أخيراً، وما زالت غير محددة بوضوح. وترتب على هذا غياب الاتفاق الواسع بين المشتغلات في مجال الاستخدام التجاري للتليفون اللاتي أجريت معهن المقابلات حول

مفهوم التمكين. فالنسبة لنساء مثل زيتونى، وأوليفر، وفيونا، وسيلفيا، ظهرت آثار محررة فى حد ذاتها عن مشروع الاستخدام التجارى للتليفون المحمول، فى اكتسابهن قوة اقتصادية، واستقلالية، وفرصة نادرة لكسر القيود المفروضة عليهن بموجب قواعد السلوك السائدة فى المجتمع. وبصرف النظر عن التوتر علاقة النوع، والقطيعة التى تلت ذلك من أزواجهن، التى رأتها بعض النساء نتيجة لعملهن فى مشروع التليفون المحمول، إلا أنهم بقين حرات الحركة، وواصلن العمل ضد كل الصعاب.

زيتونى على سبيل المثال، لم تشعر فقط بالتححر الاقتصادى، ولكنها تتمتع بتمكن يرجع لاحترامها المتزايد فى المجتمع، الأهم لقدرتها على إدارة حياتها الخاصة. أوليفر وفيونا وسلفيا، بصرف النظر عن التباين فى حالاتهن الزوجية، اشتركن فى الشعور نفسه (التمكن)، بمعنى أنهم لم يشق عليهن اكتساب السلطة أو المكانة، الأمر الذى يرتبط فى مجتمعهن بالنساء اللاتى يعشن علاقات زوجية مستقرة. ولم تشق عليهن القواعد المتوقعة للسلوك، مثل أن يكن زوجات محترمات، ولا يغامرن بالخروج للعمل على النحو الذى يحترمه المجتمع، الأساس الذى تأخذ منه نظيراتهن من نساء المجتمع مكانتهن الاجتماعية. ما كان يشق على هؤلاء النساء هو الحصول اقتصاديا على قوتهن، وليس المكانة الاجتماعية، التى لن تأتى لهن بالطعام، ولن تدفع عنهن الإيجار. وكانت حالة ميلانى لافتة للنظر، إذ أرجعت زواجها إلى تحسن أحوالها المالية. وربطت التمكين مع واقع أن زوجها داعم لها، وأنها قادرة على "العمل بخلاف" التوقعات الاجتماعية والدينية، فيما يتعلق بسلوكها كامرأة متزوجة.

وبالنسبة لتلك النساء، كن ينظرن لمعنى الحرية من العوائق والبنى المفروضة عليهن من الأبوية السائدة، باعتباره وضع تمكين. وظلت الطريقة التى يستقبلهن بها المجتمع، وخاصة من وجهة النظر الأخلاقية أو الدينية، لا تعنيهن طالما يواصلن تشغيل مشروعهن للاستخدام التجارى لخدمات التليفون، وحيث إنه فى النهاية مثمر من الناحية الاقتصادية.

ورغم هذا، فبالنسبة لأخريات من صاحبات مشاريع الاستخدام التجارى للتليفون، لم يكن التمكين مرتبطاً بتغيير ميزان السلطة فى مجال الأسرة. كانت وجهة نظر مونىكا وفلورانس وإيفا، أن الاستخدام التجارى لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات الحديثة (التليفون المحمول) والمكاسب الاقتصادية الناتجة عنه لم يكن لها تأثير واضح على العلاقات النوعية الأسرية. معنى التمكين لديهن، مرتبط بشدة مع وضعهن الاجتماعى، الذى يترتب على الزواج. وقد ينظر فعلياً إلى النجاح فى التجارة من دون الزواج المستقر، فى سياق القيم الاجتماعية السائدة، على أنه مصدر للاتهام.

هذه الفئة من النساء، قبل المشاركة فى مشاريع الاستخدام التجارى للتليفون، كن واعيات بهذا التفكير السائد فى المجتمع. وكن ملمات بالتكلفة الاجتماعية للمغامرة بالعمل خارج البيئة المنزلية، خاصة كمشغلات لمشروع استخدام التليفون تجارياً على جانب الطريق، إذ لا ينظر إليه كمشروع له تقديره بنى شكل، وخاصة للنساء، حتى لو كن يشغلن لحساب أنفسهن. وبعبارة أخرى، تعلم النساء أنه بصرف النظر عن كسب معظم المال الضرورى من خلال مشروع الاستخدام التجارى للتليفون، إلا أنهن حتما لن يجنين من ذلك وضعاً اجتماعياً، طالما ظل هناك عدم توافق بين طبيعة عملهن والتفكير الراسخ فى المجتمع حول فضيلة المرأة المدججة<sup>(3)</sup>. وأصبح أمامهن خيار منطقي، وإن كان صعباً، بين الفقر المدقع مع منزلة كريمة، والوضوح المالى الجيد بلا فضيلة. واخترن جميعاً، فيما عدا مونىكا، الاختيار الثانى بوضوح، وواصلن تجارتهن بقوة.

ومع ذلك، كانت نساء هذه الفئة من المشغلات فى مجال الاستخدام التجارى للتليفون المحمول، حريصات إلى حد بعيد على أن ينظر إليهن على أنهن يعملن فى الإطار الثقافى القائم. على سبيل المثال، سعين جميعهن إلى موافقة الزوج أو تعاونه قبل الارتباط بالمشروع التجارى. ويمكن أن ينظر إلى ذلك باعتباره إستراتيجية، على الأقل على مستوى التفاعل الشخصى، لإظهار أنهن لسن متمرديات ضد سلطة أزواجهن خاصة، أو ضد التفكير القائم على فضيلة المرأة المدججة عامة، الذى لا يتسامح مع مشاركتهن فى مثل هذا العمل. وممانعة هؤلاء النساء فى استغلال نجاح مشروعهن -

لإثبات ذاتهن داخل بيوتهن على الأقل، وتحدى موازين القوى القائمة - يمكن النظر إليه بالمثل كمحاولة لأن يكون أداؤهن كالنساء الصالحات ضمن الإطار الاجتماعي الثقافي السائد. وفي الوقت نفسه، بالنسبة لميلانى، فمع رؤيتها سبب زواجها فى نجاح مشروعها التجارى، وقوتها الداخلية فى "العمل بخلاف" عقيدتها الإسلامية، مع دعم زوجها لها، فقد خلقت داخل منزلها وضعا مختلف بوضوح، يركز على طابع للعلاقات النوعية مختلف عما لدى النساء الأخريات.

مستخدمات التليفون تجاريا اللاتى ينشأ معنى المكانة الاجتماعية بالنسبة لهن من الزواج، قلن بوضوح إنهن مدركات لحدودهن، بصرف النظر عن استطاعتهن تأسيس مشروع تجارى ناجح لاستخدام التليفون وتشغيله، والإمكانات التى يحملها ذلك بخصوص اتساع الخيارات أمامهن. وإذا ما تجاوزن "الحدود" - ويقصدن بذلك استغلال الخيارات المتزايدة لإعادة تحديد أوضاعهن، وتحدى موازين القوى القائمة فى علاقات النوع - فهذا سيضع عليهن تكاليف اجتماعية مهولة. ولهذا لم يكن اتخاذهن قرار عدم استغلال فرصهن الجديدة لتحويل علاقات النوع القائمة وتعزيز المساواة النوعية، يعنى أنهن يخترن تقليل قيمة أنفسهن بإدامة وضعهن البائس كضحايا لغياب المساواة النوعية الحالى. ويمكن النظر لسلوك هذه الفئة من النساء، كمحاولة منطقية للعمل بنجاح فى سياق تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات السائد، وفى الوقت نفسه الحفاظ على زواجهن، الذى يحصلن من خلاله على المكانة والاحترام كنساء. غنى عن القول، إن ما تفعله هذه النساء هو تجنب تكلفة اجتماعية ستنشأ حتما إذا سعت ريفيات أوغندا إلى تمكين أنفسهن، بدلاً من تحملها.

بصرف النظر عن الحرص على أن تكون التصرفات داخل حدود أفكار فضيلة المرأة المدجنة، وعلى إدامة زواجهن والمكانة الاجتماعية المرتبطة به، إلا أن الآثار الكلية الناتجة عن الاختيارات الجديدة لمشاريع التليفون المحمول لتلك النساء، من خلال الإبقاء عليها غير مستغلة، تعمل على دفع عدم المساواة فى علاقات النوع القائمة حتى الآن، إلى موقع الصدارة فى المجتمع بصورة صارخة. ورغم هذا يمكن النظر إلى هؤلاء باعتبارهن

يسعين إلى التمكين، الذى يعنى بالنسبة لهن العمل واكتساب الاستقلال الاقتصادى، بينما فى الوقت نفسه كسبن احترام أزواجهن وأسرهن والمجتمع فى سياق تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات القائم فى سياق ريف أوغندا.

## استنتاجات

أوضحت الدراسة أن فهم آثار استخدام أشكال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات مثل التليفون المحمول على تمكين المرأة يتطلب نظرة عميقة إلى تفسير معنى التمكين، الذى قد يتباين بين أفراد فى سياقات متشابهة. يفهم التمكين على نطاق واسع باعتباره قدرة الفرد على صناعة خيارات إستراتيجية فى حياته فى سياق لم يكن متاحاً فيه من قبل الحصول على هذه القدرة. وبعبارة أخرى، ينظر إلى القدرة على الاختيار، باعتبارها شيئاً أساسياً فى مفهوم السلطة. وقبل التحاق النساء اللاتى أجريت معهن المقابلات بمشاريع الاستخدام التجارى للتليفون المحمول، كن فى حاجة شديدة للنقود، وهو وضع لا يحقق التمكين فى الأغلب. بمعنى أنه يحد من فرص وصولهن إلى الموارد والتحكم فيها، وقدرة الاعتراض على توازنات القوى النوعية القائمة فى أسرهن والتحكم فى مصير حياتهن.

وسيكون الافتراض المنطقى أن تحقيق النساء لمكاسب اقتصادية ضخمة من أعمال التليفونات الخاصة بهن، سيقضى على العوامل التى تحول دون تمكينهن، ويعيد الطريق إلى تمكينهن على النحو المفهوم بالنسبة لنا. ورغم ذلك، فهذا ليس صحيحاً بالضرورة، بمعنى أن التمكين لدى النساء يتحدد أو يصاغ من خلال عوامل متعددة، تشمل ظروفهن الفردية وواقع كل منهن، والحاجات والطموحات والسياق الاجتماعى الذى يعملن فيه.

ونتيجة لنجاح مشاريعهن، وجدت النساء أنفسهن فى أوضاع اجتماعية مختلفة لم يتوقعنها حتى تلك اللحظة. غالبية الأزواج، بمن فيهم الذين وافقوا بشكل مباشر أو ضمنى على عمل زوجاتهم بالتجارة، لم يستطيعوا التماشى مع واقع نجاحهن. ولم يرحب هؤلاء الرجال بقدرة النساء على توليد دخل والتحكم فيه، وخروجهن المادى

والاجتماعى الذى تمتعن به، وغيابهن الطويل عن المنزل. ونشأت فى علاقات النوع توترات حتمية، وصلت بالنسبة لبعض النساء إلى مستويات الأزيمة. والطريقة التى استطاعت النساء أن تتعامل من خلالها مع حالاتهن الخاصة، أو حاولن، حددت معنى التمكين بالنسبة لهن. وفى حين تشمل ساحة القتال بالنسبة لأكثر النساء البيئة المنزلية والاجتماعية، شعرت كل من مونيكا وميلانى بالتأييد الكامل عبر علاقتهما مع زوجيهما. الفرق بين هاتين السيدتين، أن مونيكا استوعبت التوقعات الاجتماعية المتعلقة بسلوكها كسيدة متزوجة ووضعت علاقتهما مع زوجها فى إطار تلك العوامل المحددة. أما ميلانى من ناحية أخرى، فوجدت فى علاقتها بزوجها القوة لاتخاذ موقف ضد تلك التوقعات الاجتماعية.

وتعاملت السيدات المنفصلات عن أزواجهن جيداً دون دعم من زوج، أو سيطنرن وواصلن بمرونة تشغيل مشاريعهن التجارية بنجاح، ونظرن إلى أنفسهن على أنهن فى وضع تمكين. والنساء اللاتى حررن أنفسهن من معوقات القواعد المجتمعية القائمة للسلوك، واصلن ضد جميع الموانع التى تعوق تشغيل مشاريعهن التجارية فى مواجهة مع المواقف المجتمعية السلبية، ونظرن إلى أنفسهن أيضاً فى موقف تمكين قوى، ومنظمات الأعمال اللاتى لم يخترن تعريض زواجهن للخطر بأن تنازلن عن الاستفادة من المزايا الاقتصادية التى حصلن أخيراً عليها فى تحديد أهدافهن، أو الدخول فى مساومة أو مفاوضة من أجل سيطرة متزايدة على موارد الأسرة الرئيسية، أو معارضة وضع غياب المساواة النوعية القائم، بما يتضمنه ذلك من سلطة صناعة القرار، شعرن أيضاً بإحساس قوى بأن التمكين يأتى من مكانتهن الاجتماعية الجيدة باعتبارهن سيدات متزوجات بصرف النظر عن العمل عن بعد، الذى لا يتلاءم مع أفكار فضيلة المرأة المدججة.

وبينما لا شك فى أن صاحبات مشاريع التليفون المحمول عرفن الشعور بالتمكين، إلا أن ذلك كان على مستوى فردى، ولم يؤد بالضرورة إلى تحول فى البنى الاجتماعية الأبوية المقيدة للنساء، وفى المساواة النوعية، الأمر الذى بقى دون مساس فى تلك المجتمعات المحلية. ويتعارض هذا بالتأكيد مع فهمى لمعنى التمكين، مما يجعلنى أشعر بحاجة إلى بحث شامل حول مدى استمرار التمكين الذى عرفته صاحبات مشاريع التليفون.



## الهوامش

(١) المرأة الأصلية يجب أن تتزوج، وتتوفر على خدمة زوجها، بما يتضمن الخدمة الجنسية، وأن تصبح أمًا، فتأتى بالأطفال وترعاهم. وعليها تلبية واجبات خاصة داخل الأسرة المعيشية، إذ تعنى بإطعام الأسرة وتقوم بأعمال الرعاية الضرورية الأخرى. وينبغي أن تكون طيبة لزوجها وحريصة على رغباته، وأيضا أقاربها الذكور والرجال الآخرين في مجتمعها. ولا تكون صانعة القرارات في الأسرة. من أجل مزيد من التفاصيل انظر (Kyomuhendo Bantebya and Keniston McIntosh (2006: 79)).

(٢) الأسماء المستخدمة هي الأسماء الحقيقية للمشاركات في البحث.

(٣) فيما يتعلق بنموذج الفضيلة - المنزلية، انظر (Kyomuhendo Bantebya and Keniston McIntosh (2006: 65-85)).

## المراجع

- Alsopa, R. and N. Heinston (eds) (2005) 'Measuring empowerment in practice; structuring analysis and framing indicators', World Bank Policy Working Paper 3510.
- Gurumurthy, A. (2004) Gender and ICTs Overview Report, Bridge Institute of Development Studies.
- Hafkin, N. (2000) 'Convergence of concepts; gender and ICTs in Africa', in E. M. Rathgeber and E. O. Adera (eds), Gender and the Information Revolution in Africa, Ottawa: IDRC.
- (2004) 'Globalization and the economic empowerment of women; defining and building a gender responsive information society in the ESCAP region', UNESCAP.
- Kyomuhendo-Bantebya, G. and M. Keniston McIntosh (2006) Women, Work and Domestic Virtue in Uganda (1900–2003), Oxford/ Kampala: James Currey/ Fountain Publishers.
- Sharma, C. (2001) 'Using ICTs to create opportunities for marginalized women and men; the private sector and community working together', Paper presented at the World Bank, Washington, DC.

(الباب الرابع)

خلق واقع جديد



## الفصل الخامس عشر

### مهنيات كينيات تمكن من النجاح فى قطاع تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات

أوكواش أباجى؛  
أوليف سيفنا؛ سالومى أوور أوامو

هدفت الدراسة التى يعتمد عليها هذا الفصل، إلى بحث كيفية وصول المهنيات إلى قطاع تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، ومدى تخصصهن فيه. وقد أتيح للباحثين والمبجوثات مناقشة قضية النوع الاجتماعى وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فى كينيا، من خلال استخدام منهج المقابلات ذات النهاية المفتوحة والتفاعلية والمعمقة. واستخدمت حلقات المناقشة الجماعية المركزة، واللقاءات المعمقة للتوصل إلى الآراء الشخصية للمبجوثات، وخبراتهم وتفسيرهن الخاص لتلك الخبرات. واستكمل كل هذا باستعراض الأدبيات حول الموضوع.

وكانت المقدمة التى تأسست عليها الدراسة، أن أشكال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات أصبحت قوة فى تحول الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على مستوى العالم (1: Thioune 2003; Hudson 2001). ولكن حتى مع هذه الإمكانية، ظهرت قضية الإدماج والاستبعاد الاجتماعى، كبعد يتضمن مجموعة قضايا مهمة، وبما أننا

ماضون فى القرن الحادى والعشرين، تحتاج هذه القضايا إلى مزيد من البحث والجدل. ويشكل خاص، يوجد احتياج للتدخلات العملية، وسيلقى هذا مزيداً من الضوء على الارتباط بين استخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات ومفهوم التنمية البشرية عموماً، وتمكين النساء خصوصاً (UNDP 2002; Rathgeber 2000; Adeya 2001). ونعد الشىء الأساسى بالنسبة لهذا الفصل والبحث، هو التوصل لفهم أوضح لعلاقة هذه التكنولوجيا مع تمكين النساء.

تعتمد الدراسة على مهنيات تم اختيارهن بطريقة عمدية، يعملن بمهن مرتبطة بتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، إما مالكات، أو مديرات تنفيذيات، أو فنيات، أو موظفات فى منظمات وشركات مختلفة فى نيروبي، كينيا. ويشير الجدول ١/١٥ إلى الخلفية التعليمية والتدريب والموقع الحالى لمبحوثاتنا.

وكما يشير الجدول ١/١٥، حصلت مبحوثاتنا على تعليم وتدريب جيدين، وشغلن مراكز رفيعة فى منظماتهن أو مؤسساتهن. وبالنسبة للتعليم حصلت ثمان منهن على درجة البكالوريوس، وأربع يحملن دبلومات برامج تعليمية حول تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، تتضمن علوم الكمبيوتر، وأنظمة المعلومات، وتكنولوجيا المعلومات، وتصميم المواقع على الإنترنت. ودرسن جميعاً فيما عدا اثنتين فى جامعات كينية (جامعة موى وجامعة جومو كينيا للزراعة والتكنولوجيا) وجامعة كينيا الوطنية للتكنولوجيا المتعددة، وتحمل إحداهن بكالوريوس هندسة الكمبيوتر من جامعة أمريكية، حيث درست وعملت لبعض الوقت فى مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. وكانت دبلومات الدراسات العليا التى حصلت عليها المهنيات الأربع من جامعة نيروبي فى مجال التسويق وإدارة الأعمال بوجه عام.

(جدول ١/١٥) المعلومات الأساسية للمبحوثات

م	المعلومات الأساسية عن التعليم	التدريب المهني	المنصب الحالي
١	بكالوريوس الآداب فى علم الاجتماع.	دورات فى التسويق.	مدير إدارى.
٢	مؤهل فى علوم الكمبيوتر - مجال التسويق.	دراسات فى حوكمة الشركات، مؤشر الجماعية، خدمة المستهلك، دورات فى التسويق.	مدير تنفيذى.
٣	درجة أنظمة إدارة المعلومات.	برمجة الحاسوب، إدارة، تحليل وتصميم النظم، جافا، مدير حزم الحاسوب.	شريك إقليمى.
٤	درجة علوم المعلومات (شعبية تكنولوجيا المعلومات).	حزم الحاسوب.	مدير أنظمة.
٥	بكالوريوس التجارة (شعبية علوم إدارية).	إدارة الأنظمة وقواعد البيانات، المحاسبة.	مدير مساعد.
٦	بكالوريوس تجارة، وديبلوم فى دراسات الحاسوب.	حزم الحاسوب.	مدير مساعد.
٧	درجة بكالوريوس العلوم.	تكوين الشبكات، إدارة الأنظمة، وتكنولوجيا المعلومات.	مدير أنظمة.
٨	ديبلوم فى أنظمة المعلومات.	سكرتارية.	موظف دعم تكنولوجيا المعلومات.
٩	درجة بكالوريوس تجارة (قسم محاسبة).	الروابط الإلكترونية - مايكروسوفت أوفيس - قواعد البصرات - شهادة برامج دورات فى المحاسبة.	مساعد دعم التطبيقات.
١٠	درجة التسويق - دراسات التكنولوجيا فى الإدارة.	حزم الحاسوب والبرمجة.	مدير إدارة.
١١	ديبلوم فى تكنولوجيا المعلومات.	برمجة الحاسوب وإدارة الأنظمة.	موظف مساعد/ فنى.
١٢	ديبلوم تصميم المواقع.	علوم الحاسوب والبرمجة.	مصمم ومطور برامج.

وهكذا، تشغل تلك المهنيات مناصب فنية وإدارية رفيعة المستوى في منظماتهن. بعضهن تحتل مواقع في مجالس إدارة منظمات وطنية ودولية مختلفة، على سبيل المثال هيئة الإنترنت للأسماء والأرقام المخصصة (Internet Corporation of Assigned Names and Numbers - ICANN)، وهي هيئة تعمل على صياغة سياسات الإنترنت، ومعهد المدراء بكينيا ((Institute of Directors of Kenya (IODK)).

### الفجوة التعليمية بين النوعين في كينيا

لا أدل من الرسائل الواضحة التي تضمنتها إحصائيات التعليم المتاحة عن الفترة التي تلت الاستقلال في كينيا عام ١٩٦٣، بالنسبة للملتزمين بقضايا المساواة بين النوعين في التنمية عموماً، وفي التعليم خصوصاً. فقد استمرت فجوة التعليم متواصلة وظاهرة في قطاعات التعليم الفرعية (Chege and Sifuna 2006; Abagi 1997; Abdi and Cleghorn 2005; UNESCO 2006). وفي العقد الأخير، رغم أن نسبة الالتحاق الصافية (NER) في التعليم الابتدائي كانت ٥١٪ للولاد، و٤٩٪ للبنات، فإن الإحصاءات الإقليمية تظهر التفاوت بين النوعين في كل محافظة من المحافظات الثماني على حدة. على سبيل المثال، في المحافظة الشمالية الشرقية في الفترة ١٩٩٠ و ٢٠٠١ كانت النسبة ١٦,٥٪ للولاد، و٩,٨٪ للبنات. وفي محافظة نيروبي، كانت النسبة ٤٣,٣٪ للولاد، و ٤٢,٢٪ للبنات.

وفي الفترة نفسها، بلغت النسبة الصافية للالتحاق بالمدارس في التعليم الثانوي ٥٢٪ للولاد و٤٧٪ للبنات. وقدّر أن الملتحقين بالتعليم الثانوي يقابل كل ١٠٠ بنت ١١٨ ولداً. وتتسع الفجوات النوعية أكثر في المحافظات؛ الشمالية الشرقية، وريفت فاللي، وكوست. حيث تأثير الفقر أكبر والعوامل الثقافية الدينية ضد إلحاق البنات بالمدارس تعمل بصورة أوضح. على سبيل المثال، حتى بعد إعلان مجانية التعليم الابتدائي عام ٢٠٠٣، بقيت النسبة الإجمالية للالتحاق بالتعليم الابتدائي في المحافظة الشمالية الشرقية ٣١٪ للولاد،



و١٦,٩٪ للبنات. كما أن حضور الفتيات التعليم العالى فى كينيا أقل أيضاً. فمنذ ١٩٨١، كانت نسبة الإناث بالتعليم الجامعى ٣٠٪ فقط فى الثمانى جامعات العامة فى كينيا.

ويرجع عدم التوازن فى فرص الحصول على التعليم فى كينيا إلى العوامل الثقافية ونماذج التنشئة الاجتماعية فى المجتمعات المحلية المختلفة. وبين المجموعات المختلفة، وخاصة المناطق الريفية، يعيش فيها ٨٠٪ من السكان، ما زال ينظر إلى الرجال باعتبارهم مالكى الموارد والمتحكمين فيها، وأنهم الذين يجلبون الموارد التى تعيش عليها الأسرة، بينما ينظر إلى النساء باعتبارهن ربات منزل (زوجات ومقدمات للرعاية) ومعتمدات على الرجال. وبوجه عام، لا تنظر أسر كثيرة فى أجزاء كثيرة من الريف الكينى، إلى تعليم البنات مقارنة بالأولاد، على أنه أمر مهم. وينتج عن مثل تلك الآراء تمييز كثيف فى برامج التنشئة الاجتماعية واختلاف فى أنماط السلوك لدى كل من الذكور والإناث فى البيت والمؤسسات التعليمية. فبينما ترتبط سمات مثل الاستقلال والجرأة والقدرة على المنافسة بالذكور ويختصون بها، تكون سمات التبعية والسلبية والإذعان من نصيب الإناث.

ويعد النظر إلى النوع الاجتماعى كمبدأ ناظم، شيئاً جوهرياً فى فهم أساليب تنشئتنا الاجتماعية وتربيتنا، وكيفية التفاعلات بين كل منا والآخر، والطرق التى تتشكل على أساسها وتنظم حياتنا العامة والخاصة عموماً. ونتجت عن فجوة تعليمية كبيرة بين النوعين هذا فى كينيا، وخاصة فى مستويات التعليم الثانوى والجامعى.

ويتمثل الأمر المحورى فى نجاح النساء فى أى مجال يهيمن عليه الذكور، بما فيها تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، فى مدى معالجتهن لهذا "التنبؤ المبنى على المضمون الاجتماعى للنوعين" (gendered prophecy)، ومدى انتباههن إلى أنه الشئ الذى يضع شروط علاقتهن بالمجتمع.

## النتشنة الاجتماعية وراء القولية النمطية للنوع الاجتماعي

### فى مهن تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات

أوضحت دراستنا أن تمثيل النساء أقل فى مهن تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، فى حالة كان لهن تمثيل، وأساس هذا يكمن فى القولية النمطية للأوار (Abagi et al. 2006). ورغم هذا أوضحت المبحوثات فى دراستنا، أنهن تمكن من تحقيق النجاح فى مهن تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات نتيجة لعاملين مرتبطين معاً.

الأول، البيئة الاجتماعية التى تربت فيه مبحوثاتنا ونشأن اجتماعياً لا تقيدها قواعد التمييز النوعية. وكان آباء المبحوثات مهنيين من الطبقة الوسطى. لم يكن آباؤهن ملتزمين بالتنميط الاجتماعي على أساس النوع، بالنسبة لتعليم بناتهم. وقد تلقت المبحوثات من آباؤهن والأقارب المحيطين (التشجيع، وحرية اختيار المهنة، ونصائح مناسبة، وتوفير الدعم المالى اللازم لحصولهن على تعليم أعلى، وتدريباً ومتابعة). ولعب هذا دوراً كبيراً فى تعليمهن، وتدريبهن وتأهلهن لمهنهن. مثل الآباء والمراقبون عاملاً مهماً وراء نجاح تلك المهنيات المشتغلات بمهن تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. وتتضمن الأسباب الأخرى لنجاحهن واقع أنهن جميعاً تربين على أيدى آباء من الطبقة الوسطى. عمل الآباء كمدرسين وموظفين إداريين ومديرين بالقطاع العام والخاص على السواء، وفى مواقع حضرية. ومن بين اثنتى عشرة امرأة، اثنتان فقط عمل والد أو قريب لهما فى قطاع تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. ولم تعمل والدة أو قريبة أيهن فى هذا القطاع.

توجهات الوالدين الإيجابية تجاه بناتهن، مكنت المبحوثات من النمو محتفظات بفرديتهن مع ثقة فى النفس ورؤية للحياة تتجاوز مجرد الزواج وتقديم الرعاية والخدمات المساعدة فى البيت، أو المجتمع على أكثر تقدير (respondent, ICT CEO). ووجدنا أن هؤلاء النساء متمكنات منذ عمر مبكر بسبب توجهات الوالدين ناحيتهن. وهكذا، شجع الوالدان بناتهن على العمل الجاد والتفوق الدراسى، رغم عدم دفعهن

تجاه أى فرع علمى أكاديمى محدد أو مهنة بعينها. كانوا آباء وأمهات "ليبراليين"، وفروا لأبنائهم فرص التعرف على عديد من الأشياء، ووفروا لهم بيئة ممكنة، حيث مثل التعليم والتطور المهني قيمة سامية، كما دعموا تطور ومواصلة اهتمامات البنات الخاصة.

كانت المبحوثات واعيات جداً بالدور الذي لعبه الوالدان في نجاحهن، وتشير إحدى المبحوثات إلى ذلك فيما يلي:

كان أبى وأمى واعيين بقضية النوع الاجتماعى فى الممارسة العملية. وفى تنشئتنا الاجتماعية داخل الأسرة، كانا ينظران إلينا باعتبارنا أبنائهما، وليس صبيانهما وبناتهما. ولم يميزا ضد البنات. وكانت رؤيتهما أن الأبناء جميعاً لا بد من تلقيهم نفس المعاملة، ومن ثم تلقينا كبنات الدعم الكامل لتحقيق إمكاناتنا، مثلنا مثل الصبيان تماماً. وقد وجدت تشجيعاً طوال مسارى. مثلاً لى نموذج الدور الذى أرغب فى اتباعه. وأدين لهما بكثير من النجاح فى حياتى. (Internet support provider CEO 1, 2005).

وقالت مشاركة أخرى ما يلي:

لم يكن أبى أنانياً، بمعنى أنه لم يقدم إطلاً على اتخاذ قرار نيابة عنى. كان اتخاذ قراراتى أمراً خاصاً بى، وكان التعامل مع ما يترتب عليها، أمراً خاصاً بى أيضاً. وكان هذا واضحاً جداً. ... وأظن أن بداية تحقيقى لذاتى، كان تداولى مع نفسى فى اتخاذ قراراتى الخاصة، وتحديد ما أجده الأفضل بالنسبة لى. وأظن أن هذا يعد أكثر الأشياء التى مثلت لى نجاحاً فى حياتى. (Internet support provider CEO 2, 2005).

ورأت المبحوثات دعم الوالدين ومواقفهما الإيجابية وفرصة التعرف ومنافذ الوصول إلى عالم الدراسة والعمل، على أنها عوامل تطور ثقتهن بأنفسهن، وجعلتهن يسعين باستقلالية إلى المعلومات المفيدة، وفتح أبواب العمل المهني. واعتبرن طبيعة تنشئتهن الخاصة، أساساً فى تحقيق ذاتهن، وشعورهن بالتمكين.

وكان الحافز الذاتي لدى المبحوثات، العامل الثانى المؤدى إلى اشتغال المبحوثات بمهن تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات ونجاحهن فيها. فقد لعب الحافز الذاتى، وتركيز المبحوثات أثناء التدريب والعمل، دوراً كبيراً فى مساعدتهن على المغامرة فى مجال عمل يهيمن عليه الرجال.

واتضح الحافز الذاتى لبعض المبحوثات أثناء حديثهن عن التحديات التى قابلتهن كنساء فى قطاع تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات:

“أسمع الناس تتحدث عن السقف، وفى حديثهم عنها يقولون إنهم يرون هناك ما يمنع عن الحركة. ولكن ما أعتقده يختلف عن ذلك. أعتقد أنك إذا وجدت ما يمنع حركتك، عليك اتخاذ قرار، إما تحطيمه أو تجنبه. وواقعياً، إذا لم تستطع تحطيمه، فلن يمكنك القفز من فوقه، ولذلك عليك إما أن تحطمه، أو تبتعد عنه وتخلق لنفسك مساراً آخر. (Internet support provider CEO 2, 2005)”

“عامدت نفسى على النجاح فى الحياة، وأن أحقق ما يكون فى صالحى ويرضىنى. ويوضح هذا سبب حصولى على دورات تدريبية كثيرة فى بلدان مختلفة فى أوروبا وأمريكا الشمالية قبل الاستقرار هنا فى كينيا لإدارة شركة تقديم خدمات الإنترنت. أشعر بإحساس جيد تجاه ذلك، وأنى أمثل نموذجاً للدور بالنسبة لكينيات كثيرات، المهتمات بالاشتغال بمهنة فى قطاع تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. أبى وأمى وأصدقائى لا ينكرون منى ما أقوم به حتى الآن فيما يتعلق بمهنتى.” (Internet support provider CEO 1, 2005).

ومن خلال المناقشات الجماعية المركزة، كشفت المبحوثات عن عدد من العوامل والسمات المرتبطة عندهن بنجاحهن فى قطاع تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، وحول شعورهن بالتمكن. ومع ما ذكرنا سابقاً حول فهم التمكين على أساس فردى، كانت مبحوثاتنا قادرات على تغيير تفكيرهن، وممارساتهن ووجهات نظرهن حول دور النساء فى المجتمع عموماً، وفيما يتعلق بالمشاركة فى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات خصوصاً. كن قادرات على “تحطيم” القوالب النمطية النوعية بخصوص أدوار النساء والرجال فى المجتمع. وهكذا غامرنا فى مهن يهيمن عليها الرجال. وربطنا نجاحهن

فى قطاع تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات وشعورهن بالتمكين، مع المبادئ والأساسيات المرشدة التى استخدمنها فى عملهن:

- أن تكون لديك رؤية وحلم بخصوص المهنة.
- تركيز اهتمامك واتبعى حلمك.
- تحصيل المهارات الصحيحة.
- أن تكون لديك ثقة بالنفس.
- التعهد لنفسك بالعمل والنجاح.
- الاستقتال فى مجال المهنة باعتباره حقاً لك.
- أن تكونى ديناميكية.
- العمل بجد.
- تحمل المخاطرة.
- عدم النظر إلى النوع الاجتماعى باعتباره عائقاً، بل باعتباره فرصة.
- البحث بصور مستمرة عن مزيد من المعرفة والمهارات.
- عدم التورط فى التفكير بالزواج على حساب بناء نفسك مهنياً.
- التوجه إلى ما تودين تحقيقه فى المهنة، دون أن تكونى ممثلة بالقولية النمطية للنوع الاجتماعى (مثلاً مواجهة القولية النمطية النوعية القائمة، والتميز فى المجتمع عموماً، وبيئة تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات خصوصاً).
- وأشارت مبحوثاتنا بثقة إلى أنهن قادرات على اتخاذ قرارات واعية فى مجال عملهن ومكان العمل، لأنهن يمتلكن الشخصيات التى وصفناها سابقاً (يشعرن بالتمكين). يعتقدن أنهن كمهنيات فى مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات يستخدمن المعرفة والمهارات والخبرة فى تلبية مهماتهن بكفاءة وفاعلية.

ووفقا لمجوثاتنا، تؤدي التنمية إلى أفراد متمكنين (وهم في حالتنا متمكنات) لأنها تبنى ثقتهن في أنفسهن مع الوقت، ولأنهن يصبحن على دراية ومعرفة بالمجتمع. ووفقا لهن، يعنى التمكين أن يصبح الشخص قادراً على اتخاذ قرارات واعية فى الحياة، وتهيئة موقع إستراتيجى لنفسه، ليحصل على المعرفة والمهارات، ويكون مستجيباً لتطبيق ما تعلمه فى البيت والمدرسة والمجتمع وفى عالم العمل (Internet support provider CEO 1, 2005). ويشكل هذا الحالة التى تكون فيها الفتيات والنساء قدرات على مواجهة القوالب النمطية والتمييز القائم على النوع الاجتماعى، ويسعين إلى أى مجال مهنى يخترنه دون إجبار من أبائهن أو أصدقائهن أو الحكومة أو بيئة العمل، (Internet support provider CEO 2, 2005). يرتبط التمكين بالحصول على الحق فى المعرفة والمهارات، ويوفر توجهات لتعزيز فرص المرأة فى التفوق بالمهن التى اختارتها وأن تبدأ حياة صحية ومريحة، أن يكون باستطاعتها الحصول على الحاجات والخدمات الأساسية اللازمة للحياة، بما فيها الغذاء والمأوى والتعليم والرعاية الصحية والملبس. ويتصل أيضاً بقدرتها على مجابهة كل أنواع التمييز، بما فيه القائم على الجنس أو النوع الاجتماعى.

### القوالب النمطية فى مهن تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات

أشار كثير من الدراسات حول دول أفريقيا جنوب الصحراء، إلى أن النساء أقل تمثيلاً فى التعليم الرسمى وحتى فى الكتب الدراسية، وتفرض عليهن القوالب النمطية، وخاصة فى مناهج الرياضيات والعلوم والهندسة (Obura 1991; KNEC 2003, 2004, 2005; Abagi 2005). وتشير دراستنا حول المهنيات فى قطاع تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، إلى أن القوالب النمطية لا تجعل النساء يترددن فى دخول قطاعاتها الفرعية فقط، بل إنه حتى الحاصلة على تدريب وتوصلت للاشتغال بها، تجد نفسها محاطة بنظرة مشبعة بالقوالب النمطية أو تخضع للتمييز ضدها. ويترتب على ذلك أن تجد بعض النساء أنفسهن، بصرف النظر عن معرفتهن بتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، والتدريب الذى تلقينه، فى وظائف خدمية تتصل بكونها "أنثى". على سبيل المثال، ينتهى الأمر بالأخصائيات

المدربات، إلى العمل في العلاقات العامة أو التسويق بإحدى شركات تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، بدلا من عملهن في مجال تقديم الدعم التقنى.

وقالت مبحوثاتنا إنهن يعرفن شابات لامعات حاصلات على درجات علمية فى علوم الحاسوب أو تكنولوجيا المعلومات، تخلين عن العمل التقنى أو كمصممت برامج فى شركات تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، ليعملن مجرد موظفات علاقات عامة أو سكرتيرات فى بعض الشركات الخاصة فى نيروبي. لقد غيبن تماما فى البيئة التى يهيمن عليها الرجال، وخسرن معرفتهن ومهارتهن فى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات لأنهن يؤدين أشياء غير متصلة بها (respondents, 2005). رأى المتخصصات فى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات اللاتى أجرينا المقابلات معهن، أن ضغط الرأى العام على النساء حتى يظهرن فى ثياب حسنة، مرحبات ومبتسمات طوال الوقت، يتجه إلى إثناء الشابات المتخصصات فى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، عن مهنتهن والتطور فيها. وينظر إلى ارتداء ثياب واقية وحمل مفكات ومفاتيح، على أنها أشياء للرجال، وعلى النساء الابتعاد عنها.

وحاليا، هناك عدد متزايد من الكليات فى مدن كينية تقدم البرامج التدريبية فى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. وذكرت مبحوثاتنا أنه رغم ذلك، تميل معظم النساء إلى الالتحاق بالبرامج التدريبية الخاصة بوظائف السكرتيرية وخدمة المستهلك، مثل معالجة الكلمات وإدارة المكتب. ومن ناحية أخرى، سيقوم معظم الرجال بالأعمال التقنية فى مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، بعيداً عن برامج معالجة الكلمات، مثل صيانة الكمبيوتر، وتصميم المواقع، وتطوير البرامج إلى جانب غيرها من الأعمال. وينتسب للرجال للأبعاد الفنية لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، بينما تفضل معظم النساء الميادين "الناعمة"، إذ يجدن معظم صديقاتهن وأقربهن يعملن فيها. وتوضح المهنيات فى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، أن هذه الخبرة النوعية تنشأ من وجهات نظر مجتمعية ترى المفترض فى العلوم والرياضيات والتكنولوجيا، أنها عوالم يهيمن الرجال عليها. ونتيجة لذلك، يتوقون سوء أداء الفتيات فى المواد الرياضية والعلوم، ومن ثم سيبعدهن الخجل عن المهن المرتبطة بالتكنولوجيا.

وجهات النظر والمواقف المتحيزة نوعياً، تنقل للنساء الداخلات فى قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. وينظر إليهن عموماً باعتبارهن فى التخصص "الخطأ".

"العقبة التى كنت أواجهها أنى سيدة، ويعتقد الناس أن الرجال هم الذين يقومون بهذه الأشياء. لقد شاهدنى أحد الأشخاص أحمل حقيبة المفكات، فبدأ التندر حول ما يمكننى أن أفعله بها. مثلما وأنت تحاولين فتح آلة، فتجدين من يتساءل هل سيقدر لهذه الآلة بالفعل أن تعمل فى نهاية الأمر" (Informant 4, 2005).

دعيني أذكر لك شيئاً... فكما قد تعلمين، لا يثق معظم الناس فى النساء المشتغلات بالمجالات التقنية إطلاقاً. فهل يمكن أن نرى عملاء أو عميلات، حينما تكون لديهن مشكلة فى مكان ما، يطلبون منى التوجه إلى حيث المشكلة لإصلاحها! عندما تكونين موجودة، يكون الانطباع العام، أنه طالما القادم لمعالجة المشكلة سيدة، فغير مرجح أن تحل! وحتى إنه فى بعض الحالات، تكون لدى العميل أو العميلة جرأة كافية لتوجيه السؤال، ماذا تعرفين حول هذه المشكلة؟" (Informant 9, 2005).

ذكرت مبحوثاتنا أثناء مناقشاتنا معهن أن بعض مالكي شركات تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات ومديري مشروعاتها، وهم من الرجال، متحيزون ضد النساء أيضاً، إذ يرونهن "دخيلات" على القطاع. وتنشأ العراقيل أمام دخول النساء إلى المجال فى بدايته، عند مقابلة اختيار المتقدمين، والتى يكون الموكل له الحسم فيها رجلاً فى معظم المنظمات. وذكرت بعض مبحوثاتنا أن هناك كثير من الرجال المتعصبين لجنسهم داخل المنظمات، لا يخفون مشاعرهم منذ اللحظة التى تدعى فيها امرأة لإجراء مقابلة للتوظيف أو الترقية فى وظيفة بمجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، وإثناء إجراء المقابلات معهن، يظهر ميل لتوجيه أسئلة مرتبطة بحياتهن الأسرية، مثل "هل ستحصلين على إجازة رعاية طفل، ومتى سيكون ذلك، كيف سيعمل قسم تكنولوجيا المعلومات أثناء غيابك؟ وهناك أيضاً أسئلة مرتبطة بالخروج من الخدمة بسبب ارتباطات خاصة بأفراد آخرين من الأسرة، مثل: "ماذا سيحدث لعملك إذا مرض طفلك؟"، "هل سيسمح لك زوجك بالعمل لساعة متأخرة، أو بالسفر؟"، ولا توجه مثل هذه الأسئلة عموماً للرجال.



وتميل الأسئلة التي توجه إليهم لأن تكون مركزة على مهاراتهم الفنية وخبرتهم في تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات المتصلة بالوظيفة التي يتم الحديث بخصوصها.

وأثار عدد لا بأس به من المشاركات في الدراسة موضوع التمييز على أساس النوع الاجتماعي في صعود المهنات الوظيفي بمجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. وذكر أن الحصول على ترقية يصعب على النساء، أكثر من الرجال. ويرجع هذا إلى مدى بعيد إلى هيمنة الرجال على القطاع. وتشغل النساء الموجودات بأعداد قليلة، وظائف ليست فنية (خدمات مساعدة). وإلى جانب هذا، فهناك بعض الرؤساء يكادون لا يحترمون النساء، ويضع هذا صعوبة أمام ترقيتهن.

وأشارت مبحوثاتنا إلى أن النساء يجدن بيئة اجتماعية ثقافية متسمة بالتمييز ومهيمنة عليها من الذكور، ولذلك إذا لم تعتمد المرأة على نفسها في اكتساب الثقة والكفاءة، وإذا قصرت الأمر على المطالبة بحقوقها فقط، فحتى لو كانت حاصلة على درجة ماجستير في تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، ستبقى تعاني من الاستبعاد في القطاع، أو تتعرض لتثبيط عزيمتها حتى تبحث لنفسها عن مهنة أخرى يعتبرها المجتمع تقليدياً خاصة بالنساء. ولهذا يجب أن تركز المرأة انتباهها على مواجهة التمييز.

إذا لم تركز (المرأة) انتباهها بشدة، ولم تكن لديها ثقة فيما (ترغب أن) تفعله، وإلى أين ترغب أن تتوجه، ستستسلم حتما لضغوط لم تكن لازمة، بوازع من الرجال. في حالتى، كنت أعلم ما أريد في الحياة، وتوجهت لتحقيقه. واجهت كثيراً من العقبات كواحدة من أفراد المهنة، وليس فقط كامرأة. ولكنى لم أكن أسمع لقضايا نساء أو رجال المستندة على القولية النمطية للمجتمع، أن تحبطنى أو تصرفنى عن العمل. وكانت في معظم الحالات مجرد غطرسة رجال. (Internet service provider CEO, 2005).

## مناقشة الآثار الناتجة عن خبرات المهنيات فى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات

العجيب أنه بينما تتزايد وتيرة نمو تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات بسرعة شديدة فى كل القطاع، ويرتفع الوعى بدور قطاعاتها الفرعية فى تنمية الدولة، إلا أن النساء لم يجدن أمامهن فرصاً تشجعهن على الالتحاق بالمهن فى مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، وسيستمر تهميشهن عن التنمية فى كينيا، وستتأثر مشاركتهن النشيطة فى قطاعات مختلفة من الاقتصاد بصورة سلبية.

فى كل المجتمعات المحلية فى كينيا، ما زال منتشرراً بين الناس، أنه عندما يأتى ذكر أى شىء إلكترونى أو فنى، يفهم أنه شىء خاص بالرجال. هذا النمط من التفكير لا ينتشر فقط فى المجال العام مثل أماكن العمل، ولكن أيضاً يسود فى المجال الخاص، فى منازل الناس التى يعيشون بها، حيث على سبيل المثال، عندما تطفح البالوعة، أو تكوّن هناك ضرورة لتغيير بطاريات الراديو، يتم استدعاء أحد الذكور (رجل أو شاب) وليس إحدى النساء، ليأتى ويصلح العطب. هناك افتراض أن المهام الفنية، بما فيها تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، يجب أن يؤديها رجل. ويربى المجتمع، والوالدان، النساء على أن يبقين بعيدات عن مثل هذه المهام. وينظر إلى من يجرؤن على المغامرة بالدخول فى ذلك الشأن، كما ينظر إلى "أشخاص غريبين" يمشون عكس الثقافة والممارسات القائمة.

أشارت دراستنا إلى أن فرص وصول النساء إلى التخصص فى المجال المهنى لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، وتقدمهن فى هذا القطاع، يرجع إلى دعم الآباء والأمهات وتبنيهم موقفاً ضد القوالب النمطية النوعية بالنسبة للدوافع الشخصية لبناتهم، ومدى "استخفاف" النساء أنفسهن أو تجاهلهن لوجهات النظر والمواقف المنحازة نوعياً الراسخة فى المجتمعات المحلية الكينية. وهناك عامل محدد فى تعزيز فرص وصول النساء إلى المهن المرتبطة بتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات واختيارهن لها،

وهو مدى تغيير الفتيات أو النساء والصبية أو الرجال لوجهات نظرهم ومعرفتهم حول العالم والمهن، حتى تتم مواجهة "القواعد" الظاهرة التي تتشكل عبر هيمنة الذكور. وسيظل تطور النساء فى التخصص المهنى لقطاع تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات صعباً، إذا لم تفك أنظمة وممارسات القيم الأبوية فى المجتمعات الكينية بأسلوب منهجى قابل للدوام.

كانت مبحوثات دراساتنا جريئات وملتزمات وقادرات على تركيز اهتمامهن، وعزمن على التفوق فى قطاع تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. ويرغم أنهن يغامرن فى ميدان يهيمن عليه الرجال، والتحديات التى واجهنها داخل القطاع وخارجه كنساء، فإن روحهن أو عزمهن على النجاح لم يخفت. ويرجع هذا إلى أنهن نشأن اجتماعياً على عدم إيلاء أهمية للقبولة النمطية المرتبطة النوعية، التى تؤيد التمييز ضد النساء. إلى جانب هذا، اتخذت هذه المهنيات موقفاً يظهرن فيه عملياً أنه لا يوجد قطاع أو تخصص فى كينيا مقصور على الرجال فقط، الاعتقاد الذى يفضل كثيرون تبنيه، وخاصة الرجال.

وفى بلد مليء بالتوقعات ووجهات النظر حول النوع الاجتماعى، تسعى مبحوثاتنا لتمثيل نموذج للنوع بالنسبة للفتيات والشابات اللاتى ما زلن يصارعن ولم يقررن بعد نوع المهنة التى عليهن البحث عنها. وتمثلت الرسالة التى بعث بها إلى الفتيات والشابات، أن المرء عليه تقرير ماذا يريد أو تريد أن تعمل، وما المهنة الأفضل له فى المستقبل. وبعيداً عن تنشئتهن الاجتماعية الإيجابية، قالت المبحوثات إن الفتيات فى حاجة إلى تركيز انتباههن، وأن يكن صبوراً بالنسبة لما يرغبن فى القيام به. ومع وجود اتجاه عام لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فى القطاعات التنموية المتنوعة بالبلاد، أن الشاب - فتاة أو فتى - إذا التزم بالتفوق فى قطاع تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، لا يمكن أن يمنعه شىء عن تحقيق ذلك.

بناء على ما ناقشناه ولاحظناه من المهنيات المتخصصة فى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، يبدو واضحاً أن الفتيات يجب تنشئتهن فى عمر مبكر، من أفراد أسرهن والمؤسسات السياسية على أن يكن مسنولات عن مصيرهن من خلال تحدى الفجوات النوعية والقولبة النمطية النوعية القائمة. إنها عملية تمكين، من شأنها أن تؤدى فى التحليل النهائى إلى فتيات لديهن المعلومات والشجاعة ومستعدات للمغامرة فى مهنة قمن باختيارها بأنفسهن بناء على اهتمام شخصى، أو استجابة إلى توجيه أو نموذج للدور أمامهن.

وفى الواقع، تنشئة الشباب اجتماعياً (سواء الفتيان أو الفتيات) من أجل تحدى الأنماط الاجتماعية والتحيزات القائمة، تعد من الأمور المهمة فى كسر القولبة النمطية الحالية فى المهن وأماكن العمل فى كينيا. عبرت مبحوثاتنا الرئيسيات عن الانعكاسات التى لديهن حول خبراتهن الخاصة، واتفقن جميعاً على أن الأسس التى وضعها أبائهن وأمهاتهن، والتعرف على بيئات اجتماعية تجعلهن واثقات وقادرات على النجاح فى قطاع تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. ورغم هذا كانت نواقعهن الخاصة المحركة إلى النجاح فى هذا القطاع الذى يهيمن عليه الذكور. رأين أنفسهن كمهنيات، باستطاعتهن المنافسة مع نظرائهن من المهنيين الآخرين - سواء كانوا رجالاً أم نساءً - فى أى موقع على مستوى العالم. وكان ما تمتلكه تلك النساء من ثقة واعتزاز ورؤية، سبباً فى أن يصبحن كفاءاً للعمل فى إدارة شركات تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات أو العمل فيها.

وهذه النتائج التى ذكرناها، لها انعكاساتها على الموقع الذى يجب تكريسه بخصوص "التعليم من أجل التنمية" فى كينيا. وتعنى خبرة مبحوثاتنا، أن جميع الأشخاص (رجالاً + نساءً) إذا لقوا فى سن مبكرة الحالة، والفرص التى توفرت للمبحوثات فى الدراسة - والدأ ووالدة مراعين للبعد النوعى، وتنشئة سياسية تتحدى القولبة النمطية النوعية، والنشأة فى وفرة مالية، وحرية التفوق فى المجالات التى يقع اختيارهم عليها - سيصبح كل من الرجال والنساء قادرين على التفوق فى جميع قطاعات الاقتصاد، بما فيها تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات.

تبدأ التنشئة الاجتماعية والتعليم من أجل التنمية من إعادة صياغة وتحديد مفهوم التنمية، حتى يركز على تمكين البشر، النساء والرجال. إنها عملية خلق بيئة تتيح فرص التمكين من أجل تعزيز مشاركة النساء في كل قطاعات المجتمع، بما فيها التخصص في تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات (Anyango and Abagi 2005; Makgoba 1999; Ayithey 1991; Nyerere 1962; Oruko 1981). في هذا الاتجاه، ومن سن مبكرة، يحتاج الفتيات والفتيان إلى تنشئتهم اجتماعياً وتمكينهم من أجل مواجهة الخرافات المرتبطة بالنوع الاجتماعي، والمفاهيم والقبولية النمطية الراسخة حالياً في الأسرة، وفي نظام التعليم، وفي أماكن العمل و دور العبادة.

## الخلاصة

كرسنا هذا الفصل لدراسة المهنيات في كينيا اللاتي غامرن بالدخول في قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصال الآخذ في النمو السريع. وبناء على خبراتهن، يمكن أن تصبح تلك النساء نماذج بالنسبة للفتيات الصغيرات والشابات الكينيات، حيث يحتجن إلى خلق مجال مهني لهن، وأن يكن فاعلات في مكان عملهن. وأشارن إلى ضرورة أن تكون هناك مواجهة مع الأنماط الاجتماعية النوعية، والتحيزات على أساس النوع، والتنشئة الاجتماعية المرتبطة بأنوار الجنسين، والتمييز ضد النساء عموماً، ينبغي تفكيك كل هذا إذا أردنا تشجيع المساواة في مكان العمل.

ينبغي أن تضع الحكومة الكينية، والوزارات المعنية مثل التعليم، والنوع الاجتماعي، والشباب، والتخطيط، والمالية، والإعلام، السياسات أطر العمل القانونية التي تؤدي إلى تمكين الفتيات الصغيرات من سن مبكرة لتغيير قناعاتهن حول المجالات المهنية والتوظيف. ودون ذلك، لن يكون هناك إلا عدد قليل من النساء فقط في وضع يسمح لهن، اعتماداً على أسرهن وحافزهن الشخصي وتصميمهن، بمعارضة التمييز على أساس النوع الاجتماعي، والمشاركة في كل القطاعات الموجهة إلى تنمية البلاد.

باختصار شديد، هناك ضرورة أن تستهدف بيئة للسياسات واعية بالنوع الاجتماعي، والقضاء على التمييز النوعي ضد الكينيات. يجب أن تطور بشكل محدد سياسات معنية وأطر قانونية (وأن يتم إعمالها)، لتستهدف ما يلي:

- تعزيز مشاركة الفتيات في التعليم بجميع مستوياته، وهذا يقلل (يقضى على) الفجوة النوعية في التعليم فيما يتعلق بفرص الوصول، والإنجاز والانتقال من مستوى إلى الآخر.

- تمكين الفتيات والنساء من تحصيل معرفة مناسبة، ومهارات حيوية تساعدن على اتخاذ قرارات واعية حول تعليمهن والمجالات المهنية التي سيلتقن بها.

- التأكيد من أن سياسات أماكن العمل وبيئة العمل عموماً لا تميز بشكل غير مباشر أو مباشر ضد النساء عن طريق تثبيت القوالب النمطية النوعية.

- رفع الوعي في المؤسسات التعليمية والاجتماعية والسياسية القائمة بضرورة عملية تتعلم من خلالها الفتيات والنساء تولى مسئولية تحديد مصيرهن من خلال مواجهة الفجوات النوعية والقوالب النمطية القائمة.

- تعزيز فرص الوصول للمساواة في تخصيص واستخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات لتنمية الأشخاص والبلاد.

## المراجع

- AAUW (2000) 'Tech-savvy: educating girls in the new computer age', Washington, DC: American Association of University Women, [www.aauw.org/research/tech\\_savvy.cfm](http://www.aauw.org/research/tech_savvy.cfm).
- Cameron, J. (1996) *The Vein of the Gold, a Journey to Your Creative Heart*, New York: Putnam.
- Camp, T. (1997) 'The incredible shrinking pipeline', *Communications of the ACM*, 40(10): 103–10, [www.mines.edu/fs\\_home/tcamp/new-study/new-study.html](http://www.mines.edu/fs_home/tcamp/new-study/new-study.html).
- Cohoon, J. M. (2001) 'Toward improving female retention in the Computer Science major', *Communications of the ACM*, 44(5): 108–14.
- Crombie, G., T. Abarbanel and C. Anderson (2001) 'Getting girls into tech classes', *Education Digest*, 66(5): 42–8.
- Crump, B. J. (2001) 'Equity in the tertiary programming learning environment', *Proceedings of the Australian Association for Research in Education Conference (AARE 2001)*, Fremantle, Australia, [www.aare.edu.au/01pap/cru01022.html](http://www.aare.edu.au/01pap/cru01022.html), accessed July 2003.
- Department of Economic and Social Affairs (2006) 'Enhancing women's global leadership through information technology', Parallel event at the 50th session of CSW.
- Mbarika, V., F. Cobb Payton, L. Kvasny and A. Amadi (2007) 'IT education and workforce participation: a new era for women in Kenya', *The Information Society*, 23(1).
- Moustakas, C. (1990) *Heuristic Research: Design, Methodology and Applications*, Newbury Park/ London/New Delhi: Sage.

- Nobel, C. (2007) 'Back to school: getting girls into IT', InfoWorld, 29 January, [www.infoworld.com/ article/07/01/29/05FEwomen\\_techteen\\_1.html](http://www.infoworld.com/article/07/01/29/05FEwomen_techteen_1.html).
- Springer, L., M. L. Stanne and S. Donovan (1999) 'Effects of small-group learning on undergraduates in science, mathematics, engineering and technology: a meta-analysis', *Review of Educational Research*, 69 (1): 21–51.
- Teague, J. (2002) 'Women in computing: what brings them to it, what keeps them in it?', *SIGCSE Bulletin*, 34(2): 147–58.



## الفصل السادس عشر

### بحوث حول خبرات التوجيه لدى المهنيات فى مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات بكينيا النظر فى المرأة

سالومى أوور أوامو

قضيتان لافتتان للنظر، تتم إثارتها ومناقشتها بشكل مستمر فى البحوث والمقالات حول انخفاض مشاركة النساء فى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات؛ هما التوجيه والطريقة التى يصور بها خبير تكنولوجيا المعلومات. فيما سبق، لم يكن أمام الفتيات كثير من خبرات تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات حتى يتطلعن إليهن أو يثرن لديهن رغبة أن يصبحن مثلهن. وإذا نظرت الفتيات إلى ميدان ووجدنه مهيمنا عليه من قبل الذكور، فلن يكون جذابا لهن على أقل تقدير. ورغم نجاح مبادرات متنوعة وجهت إلى التعليم فى السنوات القليلة الماضية، لا شك فى أن قلة عدد النساء فى مجال التكنولوجيا يبدأ من أرض الواقع، حيث القولة التمييزية تجرى حول النوع الاجتماعى على قدم وساق. وبالمثل، يعتقد كثير من قادة الصناعة وخبرائها أن الحل طويل الأجل لعدم التوازن النوعى فى تكنولوجيا المعلومات يكمن فى توجه المتخصصات فى التكنولوجيا إلى المدارس، الثانوية أو حتى الابتدائية، لتوجيه الفتيات الصغيرات، اللاتى يضجرن فى أغلب الأحوال من الرياضيات والعلوم فى سن مبكرة (Nobel 2007).

يعتبر التعليم والتدريب وتطوير المهارات مسألة حاسمة للراغبات في تعزيز إمكاناتهن المهنية باستخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، سواء من داخل أم خارج قطاع المعلومات والتكنولوجيا. ينبغي توسيع نطاق الممارسات التعليمية (التعلم خلال التدريب بدءاً من الفصول الدراسية، إلى أماكن العمل، إلى المكاتب المزودة بتكنولوجيا عالية وأشكال أخرى من التعلم عبر التذكر والأنشطة) بين الفتيات (والنساء)، والحرص على مراعاة البعد النوعي (تدريب يخصص للنساء، دعم للمستخدمات الحاليات، والتوجيه في المجتمعات التي تعيش فيها النساء) وتقديمها في مستويات عميقة في التخصص، على أساس أن النساء لا يتوقفن عند مستوى الاستخدام فقط، ولكنهن أخصائيات ومصممات برامج، وصانعات سياسات تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، ومشاركات في حملات دفاعية.

خرجت دراسة حديثة عن كينيا بنتائج تشير إلى أن النساء شديداً التفاؤل، ومقتنعات أن تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات تمثل لهن آليات عملية للتوصل إلى مداخل لسوق العمل (Mbarika et al. 2007). ورغم هذا عكست الدراسة وجود عوائق هيكلية مهمة، مثل السياسات العامة العاجزة عن تيسير تطوير قطاع تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، والتمييز النوعي الذي يمارسه أصحاب العمل، والتدريب الذي لا يوفر لهن سوى مهارات فنية لا تكفي لتمكنهن من الأداء الكفء في أماكن العمل. وتأكدت هذه النتائج إلى حد كبير من خلال دراسات مشابهة أجريت على بلدان أخرى (AAUW 2000).

تعمل العوامل الآتية على الحد من تقدم النساء في المهن المرتبطة بتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات:

- الافتقار إلى نماذج الدور والإرشاد المهني، لا يوجد سوى عدد قليل من المحاضرات والمعلمات، ومن الحاصلات على منح دراسية، واللاتي حققن نجاحاً بارزاً في هذه المهنة، والانطباعات المهنية المحملة بالتنميط الاجتماعي، ونقص المعلومات حول العمل في المجال المهني للكمبيوتر (Camp 1997; Cohoon 2001; Crombie et al. 2001; Teague 2002).

- الدعم المؤسسى غير الكافى، النقص فى البرامج الاجتماعية التى تمكن النساء من تعلم لغة الكمبيوتر ومساعدتهن على الشعور بالراحة فى التعامل معه؛ نقص التشجيع والتوجيه من جانب المحاضرين؛ نقص الدعم المؤسسى للتعليم الذى يراعى البعد النوعى (Cohoon 2001; Crump 2001).

- عدم وجود كثير من المجموعات الداعمة من الزميلات، نقص التفاعلات، وشبكات الدعم، ما بين الطالبات وبعضهن بعض (Springer et al. 1999).

ومن هنا تنشأ حاجة لفتح ميدان تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات أمام النساء، والقضاء على عدم المساواة النوعية التى تترك للنساء المهن النمطية، وهذا من خلال بناء القدرات وتوفير الفرص للفتيات والنساء.

وللأسباب التى ذكرناها، تحاول منظمات غير حكومية كثيرة ووكالات للتنمية تشجيع استخدام أسلوب التوجيه، حتى تستطيع الفتيات التعرف والتواصل مع نساء، لهن الأحلام والطموحات نفسها، ونجحن بالفعل فى هذا المجال. ونشر مزيد من الوعى حول طبيعة مجال العمل فى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، حتى تتعرف الفتيات على حقيقة أن خبراء تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات ليسوا ذكوراً بالضرورة (AAUW 2000).

## النساء تقدم وتتلقى التوجيه فى قطاع تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات

ينطلق هذا الفصل من البحث فى كيفية توصل النساء إلى الاشتغال بمهن فى مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، وكيف تأهالن للتخصص فيها، وكيف تمكن من التعرف على فضائل المهنة<sup>(٢)</sup>. وظهرت لنا مسألة مهمة؛ دور التوجيه فى حياة اثنتى عشرة سيدة تمت مقابلهن يعملن فى مهن مرتبطة بتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فى نيروبي. بينما تبادلن المبحوثات الحديث حول استفادتهن مما تلقينه من توجيه،

بدأن بصورة عفوية فى ذكر ما كسبته من توجيههن للأخريات. وبناء على ذلك، رغم أن المقالات الأخرى حول التوجيه لم تتضمن، فى حدود علمى، ما اكتسبته الموجهات أنفسهن من هذه العملية، قررت أن أضمن هذا البعد فيما يتعلق بمبجوثاتى وفيما يتعلق بنفسى أيضا.

لقد انعكست خبراتهن وأفكارهن حول دور التوجيه، والتعليم والدعم فيما يتعلق بمهنهن فى مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، على خبراتى الخاصة فى كونى تلقيت توجيهها، وقمت بتوجيه الأخريات، باعتبارى باحثة أستخدم أسلوب البحث الكيفى الانعكاسى، فى مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. وهكذا يستكشف هذا البحث ما يعنيه تلقى التوجيه وتوجيه الآخرين، وعلاقة هذا المعنى بالمسارات المهنية التى تتبعها، والحواجز التى تخطيناها.

ومن الخبرات التى سنذكرها فيما يلى، كان التوجيه بالنسبة للمبجوثات وبالنسبة لى، علاقة يعطى من خلالها الموجه دعماً شخصياً ومهنياً، ويستفيد بدوره من توجيه الآخرين وتلقى التوجيه منهم. ويأتى هذا الدعم من الدروس والشروح والملاحظات، والصدى المرتد والاستشارات التى تتيسر من خلال الكتب والتفاعل عبر شبكة الإنترنت وفى اللقاءات وجهاً لوجه، التى يقوم الموجه بتوفيرها كلها. ويكون الموجه بالنسبة لهؤلاء الموجهين والموجهات نموذجاً للدور، وناصحاً، ومرشداً ومستشاراً.

### خبرات تلقى التوجيه لدى المهنيات فى مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات

من خلال خبرات التوجيه، والتعليم والدعم تصبح النساء قادرات على ما يلى:

- تطوير مهارات فنية ومهنية والتقدم فى المعرفة والفهم.

أعتبر مديرى موجهاً ممتازاً بالنسبة لى. ينصحنى حول مسائل متنوعة، بما فى ذلك إعلامى بالبرامج التدريسية التى ينبغى أن أحصل عليها، وهكذا يمكننى التقدم فى مهنتى.

على سبيل المثال قال لي، تعرفين كما يتضح لك أنك إذا ركزت على هذا لن تتقدمي كثيراً، لذلك لماذا لا تحاولي في هذا. ولذلك يعطيني دائماً معلومات من منظور المدير، وعلى نحو أصبحت معه مهياً لتحقيق تقدمٍ (Systems administrator, 2005).

- تطوير الدافع الذاتي والثقة بالنفس والاعتماد عليها، الاعتراض على الافتراضات التمييزية وحاسة الوصول لاختيار.

"كانت أُمى بالنسبة لي نموذجاً للدور، وكانت قوية جداً. وعندما أتحدث عن القوة لا أعنيها في السياق الذي يفهمه معظم الناس. أتحدث عن القوة في سياق الإمكانيات والقدرة على النجاة من المواقف. تساعدني ملاحظة قوتها، بما تعنيه ألا أتعامل مع أي شيء أواجهه باعتباره أمراً مسلماً به؛ و ألا أتعامل أيضاً مع التحدي باعتباره ضائقة. ولكن أتعامل معه باعتباره شيئاً قمت بإخضاعه للتحليل، وتحديد ماهيته، ثم خرجت بمهمة محددة للتغلب عليه وتخطيه (ISP manager, 2005).

- اكتساب فهم أكبر للخيارات المهنية.

ذهبت للحصول على دورات دراسية في الكمبيوتر، وبدأت في فصل المبتدئين. وأصبح أستاذ الفصل موجهاً لي، وإذا استمتعت بالبرنامج الدراسي، سألكه إلى أي مجال مهني تؤدي هذه الدورة. أجلسني وأخبرني أنني أستطيع العمل كمحلل للأنظمة. وأعطاني كل مجموعة المهن التي أستطيع أن أختارها، وشرح لي تماماً إلى أي مسار مهني يمكن أن تؤدي كل واحدة منها، وكان ذلك مشوقاً بالنسبة لي. ولذلك أعلنت من تلك النقطة أن الموضوع الرئيسي الذي سأدرسه هو أنظمة الإدارة والمعلومات (IT company manager, 2005).

إلى هذا النادي أُنتمى. رئيس النادي، كان موجهاً إلى كثيرات من نساء النادي، إذ أتى إلينا وشجعنا على التوجه إلى تعلم تكنولوجيا المعلومات. تحدث إلينا ونظم دورة تدريبية على الإدارة لعضوات النادي. (IT support officer, 2005).

- تلقى أصدقاء مفيدة واكتساب وجهات النظر المختلفة.

كان لدىّ عديد من الموجهين، ولكن أهمهم كان مدير أفريقيا سنترال. ما أعجبني فيما قدمه لي فعلياً، أنه بصرف النظر عما أريد فعله، كان قادراً على تصنيفي من خلال ما لدى من مشكلات. كان يصغى بالفعل لمشكلاتي. عندما أخبرته أني لا أستطيع الذهاب إلى زامبيا، فقط لأن لدى أطفالاً هنا وزوجي مشغول في تجارته، تقبل ذلك جدا، وحاول نصحي أني يتأكد وجودي على قوة المكتب الأوغندي، الذي يقع أقرب، أو شيئا من هذا القبيل (Systems administrator, 2005).

### - اكتساب أنظمة داعمة

تمرى الآن خمسون عاماً، ومن هنا سألت نفسي عندما كنت في الثامنة والأربعين، من سيريد تشغيل سكرتيرة كبيرة السن؟ ولذلك عدت إلى التعليم. وحينها كان ابني أيضاً بالمرحلة الأولى لتكنولوجيا المعلومات في الجامعة الأمريكية الدولية، وهكذا عملنا معاً، وكان يساعدي أيضاً عندما كنت أقوم بأداء واجباتي. وعلى هذا النحو كان يدعمني (ICT support person, 2005).

تمثلت مصادر التوجيه والتعليم والدعم في أفراد الأسرة والمدرسين والأصدقاء وأندية تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات والمنظمات والرؤساء.

ويبث التوجيه من الزملاء شعوراً بالقدرة على التحديد حتى في سياق التمييز النوعي والتنميط، الذي عانت منه النساء في مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات:

بالطبع، كان هناك زميلان في هذا القسم، رئيس القسم ومصمم البرامج الذي كنا نعمل معه. في كل مرة أشعر بالإحباط، ويأتي على التحويل من تكنولوجيا المعلومات إلى شيء آخر، كأننا يقولان لي إن هناك سيدات بالخارج يعملن بهذا المجال، فما الذي يجعلني أشعر أني مختلفة؟ ويتوجهان لي بالسؤال، لماذا أحبط الآن بعد أن بلغت هذه المسافة؟ ويؤكدان لي أنهما دائماً سيكونان حاضرين لمساعدتي. حقا فعلا ذلك! (Systems administrator, 2005).

## عندما تقوم المهنيات فى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات بالتوجيه

معظم النساء التى أجرينا معهن المقابلات لعبن دوراً توجيهياً لعدد من الشباب والنساء الراغبات فى التقدم بمجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. وصفن المزايا التى وجدنها فى أن يكن موجّهات.

- اكتساب شعور قوى بالرضا والعرفان عندما تلقى الشخص الذى وجهته ينمو ويتطور.

"تحدثنا إلى الفتيات حول المهن المختلفة، وتحدث كل منا عما يفعل. ذهبنا إلى ابتدائية نيروبي وتحدثنا إلى أطفال الصف الثامن حول ما يمكن توقعه. كنا بالفعل نخطط للذهاب ومقابلة فتيات من المناطق الريفية، حتى يمكننا التحدث معهن عن وجود أشياء كثيرة بإمكانهن التطلع إليها فى مستقبلهن. ثم أخذنا جانباً مختلفاً فى مشروع يسمى "أرشد ابنتى إلى العمل". وأخذنا بعض الفتيات من مناطق ريفية، وبقينا معهن لمدة أسبوعين، جعلناهن يحضرن إلى مكاتبنا حتى يشاهدن ما نعمل. وكان هذا جزءاً من البرنامج الذى نقوم به (IT support officer, 2005).

- بناء مهارات أساسية لتقديم تقييم كفاء للغير، والمهارات الأساسية اللازمة للتدريب، وهذا يفيد فى الاستعداد لمناصب قيادية.

"ما أقوم به دائماً، هو الحديث مع الطلاب، وخاصة السيدات منهم. بدأنا فى الفترة الأخيرة - المحاضرون والمسؤولون فى قسم تكنولوجيا المعلومات - فى تنظيم منتدى لطلابنا، حيث نأمل على الأقل أنهم سيساعدوننا مستقبلاً فى شىء من الأشياء التى نقوم بها. ولسوء الحظ، لم يكن بين ستة من المسؤولين عن هذا المنتدى، سوى امرأة واحدة. الأمر الذى جعلنى أقرب من الجنون، وكنت أقول لهن: هيا أيتها السيدات، تستطيعن فعل ذلك، لماذا ليس لدينا سوى سيدة واحدة على قائمة المسؤولين، بينما توجد مجموعة سيدات، لماذا يرغبن فى البقاء بالخلفية؟ وهكذا، فى نهاية الأمر كانوا جميعاً يتساولون لماذا كنت السيدة الوحيدة من بين جميع الأشخاص المهتمين بالنادى،

وقلت لهم دائماً ما توجد نقطة بداية. وأنهن إذا ما رأونى هناك، يعرفن أن بإمكانهن أيضاً أن يصبحن هناك. وحينها أيضاً عندما كنت أتوجه إلى العمل لإصلاح بعض الآلات، كنت دائماً أدعو السيدات ليأتين معى، ويشاهدن كيف أقوم بفعل ذلك، ليعرفن فقط أن باستطاعتهن إصلاح تلك الآلات فعلياً.

- بناء الخبرات الشخصية (الاستقصاء الناجح والاستماع الحيوى والانعكاس والتواصل).

أنا سفيرة للنّيّات الحسنة والتفاهم الولى لمنتدى سورويتيميستس. مجرد عضويتك فى هذا المنتدى تعرفك على أشياء كثيرة. نتناول كثير من المناطق التى بها مشاكل، بما فيها التعليم. عادة ندعو فتيات للحضور والبقاء معنا فى العطلات الدراسية، ونعرفهن على نمط حياتنا اليومى، بما فيها بيئة العمل. ويمتد نشاطنا أيضاً إلى حقوق الإنسان وأوضاع المرأة. وهناك أيضاً ستة مجالات فى البرامج مخصصة للنهوض بأوضاع المرأة، والمعايير الأخلاقية السامية، وحقوق الإنسان مكفولة للجميع، والتنمية والسلام، والنّيّات الحسنة والتفاهم والصدّاقة الدولية. ولدينا أيضاً برنامج تبادل طلابى، دورات تدريبية للنساء تحت رعايتنا. (IT support officer, 2005)

اتضح لنا من مناقشاتنا مع النساء فى المقابلات أن التوجيه الذى تلقينه ممن يعتبرنهم موجهين لهن، لعب دوراً داعماً لشعورهن بالثبات والتبصر والصبر. ويجب أيضاً أن يكون الشخص متسماً بتلك الصفات حتى يمكنه السعى واجتذاب الموجهين الذين يرغب فى العمل معهم لتحقيق النجاح فى مهن تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، برغم ما هو قائم من تمييز على أساس النوع والقبولة التنميطية. وقد عبرت نسبة كبيرة من النساء التى تحدثنا معهن عن رؤيتهن للتوجيه باعتباره عوناً جوهرياً فى تنمية المرأة.

أنت تسعين إلى الموجهين، وقد سعيت إلى موجهين داخل المنظمة، وأظن أن جميع التطور الذى حققته فى مهنتى كان من خلال السعى إلى موجهين، تحديد موجه واتباعه. أنهم يدلونك على الطريق؛ ويخبرونك ماذا عليك أن تفعل فى فيما يتعلق بالمسار الذى ترغبين فى سلوكه. (IT company manager, 2005).



## خبرتي باعتباري متلقية للتوجيه

وفرت لي منظمة جريس وما زالت فرصاً للتوجيه. وتفاوتت أشكال هذه الفرص من ورش عمل سنوية، التي تيسر الكتابة المشتركة، ومناهج أخرى للتعلم تساعد في بحوث النوع الاجتماعي وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. وكان هناك تشجيع على التعلم من خلال شبكة الإنترنت من المنسقين الذين قاموا بتوجيهي ورئيس فريق البحث الذي أعمل فيه (وهو موجه لي أيضاً)، والأهم من ذلك اكتسبته من التفاعل مع النساء اللاتي كنت أجرى معهن المقابلات في بحثنا. وقد يسرت علاقة تلقى التوجيه كثيراً من الأشياء، وهي المراجع والتوصيات والتوضيحات والملاحظات والمقابلات المباشرة، وكتب مثل كتاب "عرق من الذهب" (The Vein of the Gold)، رحلة إلى قلبك الخلاق (Cameron 1996). والبحث الاستقصائي: تصميمه ومناهجه وتطبيقاته، (Heuristic Research: Design, Methodology and Applications (Moustakas 1990)، جرائد ونشرات حول تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات وتمكين النساء، والتفاعلات عبر الإنترنت مع الموجهين الذين أتابعهم. كل تلك الأشياء أمدتني بخيوط من الخبرة، أدت بي إلى التنمية الذاتية وإلى التحول باتجاه النهوض. ورغم هذا أدت مصادر التوجيه تلك إلى تطوير الثقة في الذات وتقدير الذات، واكتشاف الذات، والتعرف إلى الذات، وأسهمت تلك الأشياء مجتمعة في تطويري مهنيًا.

## زيادة الثقة في النفس والشعور بالتقدير الذاتي

عزز التوجيه ثقتي في نفسي وأعطاني شعوراً بالحرية، بمعنى أن أجد ذاتي وأعبر عنها. تعلمت أن أقوم بنقد ذاتي داخلياً، ومن ثم تحرير عمليات داخلية مرتبطة بالإدراك والانفتاح والمساعدة ودمج الأفكار والمعلومات والمعرفة.

كفرد وكباحثة في تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، تعلمت بالنسبة لنتائج البحثية وعمليات البحث أن أجد الحقائق من وجهتي الذاتية، وتعلمت أن أدع هذه الحقائق،

حتى عندما لا تكون قد اتخذت بعد صيغتها النهائية، تدخل في حوار مع وجهات النظر الأخرى. أنا أتق في نفسى وفى الحقيقة من وجهة نظرى. وأجد سعادة أيضا فى كتابة الأفكار وتوضيحها، وغير ذلك من أشكال التواصل، من موقع قوتى فى الكتابة. تجاوزت الشعور بأنى محدودة فى معرفتى التكنولوجية، إلى تكامل التدريب المقدم من أجل زيادة مهاراتى باعتبارى باحثة فى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات.

### اكتشاف الذات ومعرفة الذات

أصبحت ادرك، كباحثة، أنى الوسيلة الأكثر أهمية فى بحثى، ومن ثم تعلمت الاعتراف إلى مدى بعيد بفضل وجهات نظرى وخبراتى الشخصية، لما لها من تأثير على خبراتى البحثية. أتعامل بإيجابية وبشكل واع مع ما أكونه، حتى أقبل ذاتيتى المنفردة. وعلى أيضاً الخضوع لعملية بحث باطنى، وفيه أكتشف المعانى الجوهرية لخبراتى، وأشعر أنى متيقظة وأقوم بتحويل نفسى، ومن ثم أمكن نفسى من اكتساب نقاط تركيز أكثر فى حياتى وفى مهنتى.

هذه المساحات المتعلقة بتنمية الذات مفيدة سواء لرحلتى البحثية ولخبرة مبحوثاتى.

### خبراتى باعتبارى موجهة

خلال التحول، كان على اجتياز مناطق الثقة فى الذات وتقدير النفس واكتشافها والمعرفة بها، وما يعنيه هذا لتطورى المهنى، وخاصة فى مجال بحوث النوع الاجتماعى وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات واستخدام معرفة وأدوات تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، لقد حققت مكاسب فى الميادين التالية وأصبحت:

١- متحدثة تمارس التحريض، وخاصة بالنسبة للفتيات الشابات اللاتى يتجنبن ميدان تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات والنورات الدراسية الأخرى المرتبطة بالعلوم بسبب الخجل:

بالأمس زرنا مدرسة موى الثانوية للبنات، فى أسينيا، وتحديث إلى الفتيات حول اختيار موضوعات الدراسة والمهن. وشجعناهن على تطوير موقف إيجابى تجاه المواضيع العلمية، وعلى ألا يقصرن أنفسهن، ويذهبن إلى الحد من قدراتهن. كن مسرورات إذ نظرن إلينا كأمثلة لنساء تمكن من النجاح فى دراسة موضوعات علمية، وفى الاشتغال بمهن فى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. (My journal, 2008)

٢- مرشدة مهنية ومستشارة للأسرة والأصدقاء، وخاصة المبتعدين عن الموضوعات العلمية والمهن المرتبطة بالعلوم.

٣- ناصحة للشابات والفتيات الراغبات اتخاذ مسار مهنى فى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات.

٤- نموذج للدور: "إنهن يتطلعن إلى ومستعدات دائما للانتباه لما أقوله. لقد كسبت ثقتهن واحترامهن" (my morning pages, 2007).

٥- ممتعة بالنجاح: "أكسب رضا ذاتياً عندما أعود إلى شابة أو فتاة كانت تعتقد أن الموضوعات العلمية والمهن المرتبطة بتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات تخص الرجال أساساً، ومن ثم تحد المجال أمام نفسها" (my morning pages, 2007).

وباعتبارى موجهة، حقق لى التوجيه ما يلى:

- وسيط، أقوم عبره بعكس ممارستى الشخصية باعتبارى باحثة فى النوع الاجتماعى وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات.

- فرصة لتطوير المهارات الشخصية والمهنية من خلال استخدام أدوات تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، وسببياً تؤدي إلى مزيد من البحث فى مجال النوع الاجتماعى وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات.

- فرصاً لتكوين شبكات مع المتخصصات الأخريات فى المجال المهنى لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات.

- الرضا الوظيفي فى بحث تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، وثقة متزايدة فى النفس من خلال الحديث المحفز، وخاصة إلى الفتيات الصغيرات اللاتى يرين دائما مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات والعلوم الأخرى كميادين خاصة بالرجال.

- فرصا جديدة للتطور المهني والتخصصى فى بحوث النوع الاجتماعى وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات.

**المهنيات فى مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، والباحثات حول موضوع تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات:**

**ما نراه منعكسا فى المرأة**

تتضمن عمليات التوجيه بالنسبة للمهنيات فى مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات ولى، عمليتى عطاء وأخذ على السواء. الرضا النفسى المستمد من نقل المرء لما تعلمه إلى شخص يشاركه فى مواضيع الاهتمام والرغبات نفسها، يعد منحة فى حد ذاته. وفوق هذا، يتضمن تقديم التوجيه تعلماً فى جانب منه؛ هناك فرص لتلقى ربود فعل نقدية، واكتساب تفكير مستقل، وتبصر بحقائق جديدة، وهى قدرات مهمة سواء لباحثى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات أو المهنيات فى المجال ذاته. إنها ترفع من احترام الذات، واكتشاف الذات، والمعرفة الذاتية والتطور المهني، ومن هنا تؤدي إلى الرضا الذاتى. وتعتبر هذه، وستظل، أبعاداً مهمة جداً فى كل أوقات العمل المهني والحياة المهنية بمجملها.

يحقق التوجيه دعماً ضرورياً للغاية. وبشكل خاص، تكون الراغبات فى التقدم إلى الاشتغال بمهنة فى مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، فى أمس الحاجة للتوجيه، وذلك نظراً للعقبات الكبيرة التى نواجهها. وتعتبر زيادة الثقة فى النفس والتقدير الكبير لها شيئاً مهماً للباحثات والمهنيات فى مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. إذ نحتاج إلى الحافز والدعم اللذين يصلان عبر عمليات التعلم والتقدم المهني، وقد أظهر التوجيه فائده الكبيرة فى هذا الخصوص.

وأكدت الخبرات التي تبادلناها في هذا الفصل أهمية التوجيه بالنسبة لكل من الباحثيات والمهنيات في مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، سواء كن متلقيات له أو مقدمات. وتهدف تلك الخبرات إلى إلهام الأخريات لاستكشاف هذه القدرات في أنفسهن وإتاحة فرصة لها لخوض تلك الخبرات. ومن خلال تطوير المعرفة والرؤى الجديدة، ستشجع الثقة في النفس والتقدير الذاتي، سواء لدى متلقيات التوجيه أو المقدمات له، على احتفاظهن بمراكزهن في ميدان تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، وتقوية علاقاتهن داخله. وهكذا لن يستفيد من عمليات التوجيه، هؤلاء الأفراد الذين مروا بخبرة التوجيه فقط، ولكنه سيثرى أيضا ميدان تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات نفسه.

## الهوامش

- (١) أتوجه بالشكر إلى أوكراش أباجي، رئيس فريق البحث، وأوليف سيفنا، عضوة فريق البحث.
- (٢) تقرير البحث متاح على العنوان [www.GRACE Network.net](http://www.GRACE Network.net) وتمت مناقشة نتائجه في الفصل الخامس عشر من هذا الكتاب.

## المراجع

Meena, R. and M. Rusimbi (2008) Our Journey to Empowerment: The Role of ICT, Research report, [www. GRACE-Network.net](http://www.GRACE-Network.net).





## الفصل السابع عشر

### رحلتنا نحو التمكين

#### دور تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات

روث مينا

مارى روزيمبى

#### "رحلتنا البحثية"

من خلال التدوين والبحث فى سير الحياة، أصبحنا واعيات بالفرص والعقبات التى نكرتها منظمات الأعمال فى تنزانيا بالنسبة لاستخدام التليفون المحمول أو الإنترنت فى تعزيز مشاريعهن التجارية. لقد شاركت فى هذه الرحلة البحثية تسع من النساء، من بينهن الباحثتان اللتان كتبنا هذا الفصل. نشأت كل منا فى بيئة مختلفة، وحصلت على مستوى مختلف من التعليم، وتحمل وجهات نظر تتباين عن الأخريات فى الحياة، ولديها حالة عاطفية خاصة مختلفة. كانت لدينا جميعاً أحلام ومواطن قوة داخلية ونواجه تحديات مختلفة، ولكن لم يبد على أى منا أنها تشعر باليأس. ويركز هذا الفصل على هذه القوة الداخلية والشعور بالتمكين. ولن نتسع المساحة هنا لقص حكاية كل مبحوثة، ولذلك اخترنا تلخيص خمس منها فقط. ولا ندعى أنها تمثل التسع سيدات جميعهن، حيث لكل منا خبرات تتفرد بها، وعلى هذا لا يمكن التعميم<sup>(1)</sup>.

تجاوزت باهاتى الفقر عندما أصبحت مصففة شعر مستقلة؛ يتمثل المصدر الأساسى لرأس مالها فى رشاقة أصابعها والتليفون المحمول. بينما بدأت روز ليمو رحلتها بالنسخ على الآلة الكاتبة، ثم أصبحت الآن شريكة فى ملكية مدرسة، ولديها شركة تخليص وشحن خاصة بها، ومساهمة فى شركات تجارية متنوعة. وانجذبت مارى روزيمبى إلى العمل الاجتماعى تأثراً بجدهتها التى عاشت معها لمدة أربع سنوات. وبدأت ديميرا مواجهة الذكورية والتنميط الاجتماعى منذ طفولتها، والآن لديها دار نشر مع شريكات لهن ميول نسوية. وتحددت روث مينا عدم اقتناع والدها، ودفعت نفسها للوصول إلى مستوى أستاذ فى العلوم السياسية، وناشطة فى مجال حقوق الإنسان.

نبدأ بشرح الطرق المختلفة التى عرفت بها النساء الخمس السلطة. ثم يلي ذلك استكشاف العوامل التى أثرت فى مسيرتهن إلى التمكين. ومن سياق هذه المسيرة والعقبات التى انطوت عليها، نكتشف تأثير وسيلتين من وسائل المعلومات، التليفون المحمول وشبكة الإنترنت، على أبعاد المسارات التى اختارتها النساء.

### ماذا نعنى بالسلطة؟

كان لكل امرأة من مبحوثاتنا تعريفها لما تعنيه السلطة بالنسبة لها. وفى هذا الفصل لا نقدم التعريف الوظيفى للسلطة حيث لكل منا خبرة مختلفة حولها، وخصوصاً ما يتعلق بالقوة الداخلية، ورغم أن هناك خيوطاً مشتركة تتخلل كل التعريفات، فإن لكل منا طريقته المتفردة فى صياغة مفهوم القوة الداخلية. إذ مثلت لبعضنا الدافع الداخلى الذى يوجهنا إلى فعل الأشياء؛ وبالنسبة لبعض آخر، كان حب النفس الذى يدفعنا أيضاً؛ وبالنسبة لغيرهن كانت حب الذات الذى يجعل الإنسان يعتنى بنفسه أولاً، بما يتضمنه ذلك الاستماع إلى صوته الداخلى. كما كانت القوة بالنسبة لأخريات، العملية التى تمضى خطوة فخطوة، وتحرك إنساناً ما من النقطة أ إلى النقطة ب، رغم الوعورة التى قد يقابلها فى الطريق. وينظر إليها أيضاً كطاقة من الداخل تعطى

الشخص شجاعة الإقدام. والبعد المشترك الوحيد بين التعريفات، أن أيا من النساء لم تنظر إلى القوة كقدرة على الضغط للتحكم في الآخرين، أو اكتساب نفوذ على الآخرين، أو دفعهم لفعل أشياء لم يكونوا ليقوموا بها دون ذلك.

## باهاتى

قالت باهاتى "السلطة قوة من الداخل تدفعك إلى فعل أشياء لصالح شخصك". وتعمل باهاتى الآن مصففة شعر مستقلة. لم تحصل سوى على تعليم ابتدائي، وبضعة شهور من التدريب على صناعة الملابس. لقد فرت من فقر الريف وانتقلت إلى منطقة حضرية سعياً إلى الفرص. ولاحظت أن مجال العمل في صناعة الملابس يتضمن منافسة عالية، وذلك بدعم من خالتها التي لا تعمل وتعيش على دعم أولادها، بدأت باهاتى محاولة العمل في مجال تصفيف الشعر. ومن خلال خفض النفقات الأخرى إلى أدنى حد ممكن لمدة عامين، أصبحت قادرة على شراء تليفون محمول. وعملت بجدية في البحث عن عملاء حتى تستطيع العمل مستقلة. وأصبحت فيما بعد قادرة على شراء قطعة أرض في أحد أحياء الفقراء وبنيت فوقها منزلاً، وواصلت عملها مصففة شعر مستقلة.

تخصيص تليفون محمول للعمل، كان رأس مال باهاتى الذي اعتمدت عليه عند بداية عملها لحساب نفسها، مجرد التليفون المحمول وأناملها. بينما كانت تصفف شعر بعض زبائننا المنتظمين في الصالون الذي تعمل به، بدأت تهمس لهن بنيتها ترك العمل هناك، وأنها ستعمل لحسابها. ولم يستغرق حصولها على عدد من الزبائن القدماء والجديدين وقتاً طويلاً. ولم تبحث عن زبائن باستخدام التليفون، ولكنه كان فقط لتلقى مكالماتهن.

أعتقد أن إعلانى عن عملى يأتى من جودة شغلى، وهكذا، كنت كلما أتقنت نمطاً من التصفيف لإحدى النساء، تسألها صديقاتها عن مصفف شعرها، وكيف يمكن الوصول إليه. فتعطينهم رقمى، فتطلبنى الأخرى لتحديد موعد. ولا أطلب الزبائن إلا فى حالة رغبتى فى التحقق من إحداهن عن نوع الشعر الإضافى الذى تود ملامسته مع النمط الذى اختارته للتصفيف. ولذلك لا أكاد أنفق على التليفون أكثر من ١٠ آلاف شلن تنزاني، ١٠ دولارات أمريكية كل شهر.

من خلال امتلاك تليفون، أصبحت باهاتى قادرة على تخطى عدد من العقبات. أولاً، تركت عملاً كانت تُستغل فيه. وقد تطلب هذا القرار منها امتلاك إرادة قوية جداً، فكان من الجائز أن يعرضها لخطر كبير. وكانت حينها تعول نفسها، حيث فقدت الخالة التى كانت تعيش معها سابقاً. وتتذكر أنها عندما بدأت العمل لحساب نفسها، كانت تعمل ليل نهار.

لا تستطيع باهاتى استخدام التليفون المحمول فى الاتصال بأسرتها، حتى وإن كانت قادرة على تحمل تكاليف ذلك. فأسرتها تعيش فى ريف أوجيجى، حيث لا يوجد اتصال سواء بالتليفون الأرضى أو المحمول. ومنذ قدومها إلى دار السلام، لم تتمكن من العودة إلى منزلها، وخلال العامين السابقين على المقابلة التى أجريناها معها لم تكن تلقت أى معلومات عن أحوال أسرتها. وتعد هذه إحدى العقبات التى لا تستطيع باهاتى التغلب عليها، وتعكس تمييزاً فى فرص استخدام الأجهزة الإلكترونية بين الريف والحضر. وبينما أدى تطور صناعة التكنولوجيا إلى خلق "قرية عالمية"، مفتوحة الحدود، إلا أن هناك بعض الحواجز التى توسع هوة الانقسامات.

وعندما أجرينا المقابلة مع باهاتى، كانت قد انتقلت لتوها إلى منزلها الجديد. وتخطط لعرض إحدى الحجرات الصغيرة للإيجار لتستطيع زيادة دخلها وتقليل مخاطر إقامتها بمفردها قدر الإمكان. وقد أصبحت فى وضع أكثر راحة قليلاً، حيث لن يكون عليها العمل ليل نهار لتلبية حاجاتها الأساسية. إذ إنها أصبحت قادرة على كسب نحو ٣٠٠ ألف شلن تنزاني كل شهر غير خاضعة لضريبة، أى ما يساوى ٣٠٠ دولار أمريكى شهرياً، مما أتاح لها تجاوز خط الفقر بمسافة، إذا قدرناه بأقل من دولار يومياً. وبالتأكيد، يسر الجمع بين "قوتها الداخلية" مع تليفونها المحمول، حراكها الاقتصادى.

## روز ليمو

وفقا لروز ليمو "السلطة هي القدرة على اختراق الحواجز للوصول إلى تحقيق رؤيتك لحياتك من خلال عملية تتم خطوة بخطوة". وتمتلك روز الآن مع شركاء لها مدرسة في الريف، أطلقوا عليها "اختراق الحواجز"، ولديها بمفردها شركة تفرغ وشحن تعرف باسم "تي تي" (وتعني خطوة بخطوة).

وقالت "لن أتوقف إطلاقا، ولكنني أوّمن بمنهج خطوة بخطوة في كشف قدراتي. هذا هو كل شيء لديّ عن السلطة".

وعندما سُئلت روز عن السبب الذي شجعها على بداية عملها التجاري، خاصة أنها كانت قد بدأت بالفعل مسار عملها كمهنية، قالت:

"بشكل أساسي، كان داخلي شيء يدفعني بعيداً عن الوظائف الرسمية. وجدت أني لا أشعر بالرضا مهما ارتقيت في عملي المهني. عندما كنت طفلة حلمت بأن أصير طبيبة، ولكن لم يكن أدائي جيداً في المواد التي يتطلبها الحصول على شهادة في الطب. ولذلك، انتهى بي المطاف إلى العمل ناسخة على آلة الكتابة، وسكرتيرة. وحتى عندما التحقت بالعمل في الأمم المتحدة كسكرتيرة إدارية، لم يرضني هذا. إنها طاقة داخلية دفعتني للتوجه إلى العمل التجاري".

تقدمت رحلتها عبر خطوات أساسية، كان آخرها مشاركتها الحالية في الأنشطة المدنية: فهي مديرة مجلس إدارة أحد البنوك الوطنية، ورئيسة مجلس إدارة فرع تانزانيا لشركة أول أفريكان ترافيل أند توريزم، وعضو في نادي الروتاري.

ما تأثير الأشكال المختلفة لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات في هذه العملية؟ تتطلب أعمال روز التجارية الحالية ومشاركتها في الأنشطة المدنية المتعددة لحجم واسع من الاتصالات. على سبيل المثال، تحتاج شركة التفرغ والشحن إلى معلومات من المصدرين ووكالات الشحن والاستيراد. وأي تعطيل لتدفق المعلومات سيكلف العميل مبلغاً كبيراً من المال مقابل التخزين في الميناء، وربما يكون في هذا دمار للشركة. ووفقاً لروز، حتى تحقق هذه الشركة أرباح "عليك أن تكوني في قمة الحذر، وإلا ستجدي صعوبة في اجتذاب العملاء، حيث المنافسة شديدة في هذا المجال".

تدار مدرسة روز من مبنى آخر، إذ كان عليها استخدام مكتب شركتها بالمدينة في عديد من أنشطة المدرسة، نظراً لعدم توفر التيار الكهربى فيها. لذا تتم أعمال التصوير وخدمات السكرتارية فى مكتب روز بالمدينة. وهناك لا مشكلة فى وسائل الاتصال، إذ تستطيع الاتصال بمدير المدرسة عن طريق غرف الدردشة على الإنترنت والإيميل، ومن ثم تخفض تكلفة فاتورة التليفون والوقت الذى يستغرق الذهاب والإياب من وإلى المدرسة. المدرسة داخلية، تقبل بعض الأطفال الصغار من عمر ١٢ سنة وما فوقها. ولا مجال لإهمال ضرورة التواصل مع الآباء. وعندما تواجه أحد هؤلاء الأطفال مشكلة، يصبح اتصال روز أو مدير المدرسة مع والديه ضرورة. وإلى جانب هذا، يتصل الآن الآباء والأمهات ويتابعون تقدم أبنائهم. ومن دون التليفون ربما لم يكن بعضهم ليختار هذه المدرسة، وكان ذلك سيؤثر على نشاطها.

وبالإضافة إلى ذلك، فملكية المدرسة مشتركة، وتدار بشكل مشترك، وتأخذ روز على عاتقها مسئوليات أكثر فى الإدارة اليومية للمدرسة. وهى فى حاجة للاتصال مع شريكها بانتظام حول سير العمل، وأى شئون أخرى تتطلب عناية مباشرة. كما تحلم روز أيضاً بتوسيع المدرسة لتضم تلاميذ فى التعليم الابتدائى. ويتطلب هذا اتصالات واسعة مع العملاء المحتملين، والأفراد ومؤسسات الأنشطة المماثلة والمدير الذى تعمل بالتعاون معه.

ومن المعلوم أن الأعمال التجارية يلزمها توفير موارد، سواء كانت موارد مالية أم مرتبطة بالمواد. ومن هنا، يحتاج الشخص معلومات حول التسهيلات الائتمانية المتوفرة. وقد أتاح اشتراك روز فى عدد من الشبكات التجارية، أن توفر لنفسها بعض الميزات التنافسية بالنسبة لإيجاد مصادر لتمويل التوسع، وتنويع مشروعاتها. وقد احتاج هذا أيضاً لتبادل المعلومات مع مؤسسات التمويل والشركاء التجاريين الآخرين. ويصعب إجراء حساب دقيق للتكلفة التى تحملتها روز فى تواصلها مع مختلف شركائها. وكانت تخصص لتليفون المدرسة ميزانية قدرها ٤٠٠ ألف شلن تنزانيا كل شهر. ولكنها لم ترصد بعد تكاليف البنود الأخرى. وهى تجد تكاليف التليفون المحمول باهظة، ولكنها ضرورية لأعمالها التجارية.

## مارى روزيمبى

تقول مارى روزيمبى، "القوة أن تكون قادرا على خلق خيارات واستكشاف ما يحقق مصلحتك فى الخيارات القائمة". ومارى ناشطة نسوية تقوم بالتدريب على مهارات العمل عبر المشاركة وتنشيط المجموعات، وهى مدرسة فى مجال تعليم الكبار، ومتخصصة فى قضايا النوع الاجتماعى أيضا. كما أنها والده ترعى بمفردها ابنين، وكانت لديها ابنة بالإضافة إليهما، ولكن توفاهما الله. وكانت تشغل وقت إجراء هذا البحث، منصب المدير التنفيذى لمنظمة قوية جداً للنشيطات النسويات (هى البرنامج التنزانى لتكوين شبكات حول النوع الاجتماعى Tanzania Gender Networking Programme -TGNP). ولانتماء مارى لأسرة من الطبقة المتوسطة، لأبوين يوفران الدعم لأبنائهما، كانت الفرص متاحة أمامها، وكان بمقدورها خلق "الخيارات".

وترجع مارى تبنيتها لمبدأ المساواة، ورغبتها فى العمل مع الناس، وأيديولوجيتها المنحازة للفقراء، وتبنيتها لفكرة التمكين وحقوق الإنسان إلى الخبرة التى اكتسبتها فى طفولتها المبكرة، حينما عاشت لسنوات مع جدتها فى القرية. وتقول مارى "كان للقرية تأثير هائل فى حياتى، وعلى الطريقة التى انظر بها إلى الأشياء. وكان لموقفى تجاه الناس، وإدراكى للفقير، وإيمانى بقضايا العدالة الاجتماعية والمساواة، جنور عميقة فى السنوات التى قضيتها مع جدتى".

وغرست فيها الشبكات وأنظمة الدعم التى شهدتها طفولتها فى المجتمع المحلى لجدتها، الإحساس باحترام كل البشر بصرف النظر عن طبقتهم الاجتماعية. وتقول "قبل كل شىء، منحتنى فهما عميقا عن ماهية الفقر المادى والثروة التى فى قلوب المواطنين الفقراء العاديين فى مجتمعاتنا المحلية. وفات ذلك على أشقائى الذين تربوا فى الحضر، ويمزنى عنهم من وجوه عدة".

وتقول إنها وجدت طريقها إلى التعليم معيداً، حيث أراد لها والداها الحصول على تعليم جيد، على عكس عديد من الفتيات الأخريات اللاتى عانين من الأبوية كعقبة فى التحاقهن بالمدارس. ودخلت مارى الجامعة عام ١٩٧٣، وتخصصت فى تعليم الكبار

والتاريخ واللغات، وهى مواد منحتها خلفية فى مناهج التحليل واللغة وتعليم الكبار، وتضمنت المناهج التشاركية. وأكملت دراستها إلى مستوى الماجستير. وألهمها أثناء دراستها اثنان من المفكرين، أولهما جى كيه نيريرى رجل السياسة والمعلم، والآخر باولو فريرى وفلسفته حول التعليم من أجل التمكين وتنمية الوعى. "وكان لكتاب تعليم المقهورين تأثير مفيد للغاية على حياتى إلى جانب نصوص أخرى، مثل كتاب رودنى "أوربا أصل تخلف أفريقيا (Europe Underdeveloped Africa). وفى منحة الدراسات النسوية، أحببت للغاية كتابات مايا أنجيلو. وشكلت تلك النصوص أيديولوجيتى، وإيمانى بتمكين الناس."

عملت مارى فى عدد من السفارات قبل التحاقها كمديرة تنفيذية فى البرنامج التئزانى لتكوين الشبكات فى مجال النوع الاجتماعى. تعرفت مارى من خلال عملها فى السفارات على أساليب جديدة فى العمل، من بينها استخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. ورغم هذا قبعد فترة وجيزة، خاب أملها فى فكرة الدعم الخارجى بمجملها كإستراتيجية أساسية للتغلب على الفقر وعدم المساواة النوعية. وتقول: "ولدت خيبة الأمل لدى رغبة أكبر فى العمل مع منظمات المجتمع المدنى التى تناضل من أجل العدالة والإنصاف والمساواة فى توزيع الموارد الوطنية. وكان هذا سببا فى تركها العمل بالسفارة والتحاقها بالمجتمع المدنى."

وأثر استخدام التليفون والإنترنت على حياة مارى فى أدوارها وهوياتها المتعددة، فقد استخدمتهما بكثافة. وتقول "لا أعرف كيف كانت ستستمر حياتى لولا هذه الأدوات. وتعتبر كلا من التليفون والإنترنت أدوات العمل التى يسرت لها إدارة حياتها الشخصية وأسرتها المباشرة، وأيضاً إدارة البرنامج التئزانى لتكوين شبكات النوع الاجتماعى" (TGNP).

"عندما كان ابنى فى أستراليا، كان على إنفاق ١٥٠ دولاراً شهرياً لأبقى على اتصال به. ومع تعرض ابنى لصدمة بسبب وفاة عدد من أفراد الأسرة، نما داخله الخوف، الخوف من الموت، الخوف من فقدانى، إذ لم يعد لديه سوى بعد والده، وربما أصبح أيضاً يخشى من الحياة. ورغم أنى أنفقت نسبة كبيرة من دخلى على المكالمات



التليفونية، فإن ذلك كان بمثابة علاج لابنى، ولى أيضاً. كان بعيداً، وكنا نرتبط ببعضنا بعضاً بواسطة التليفون، والإيميل بعد ذلك.

وودرس ابنى الأصغر الآن فى سوازيلاند، وأفعل معه الشئ نفسه. اشترت له تليفوناً. ويرسل لى الرسائل إذا احتاج إلى مساعدتى، وتكون لنا محادثة طويلة على الأقل مرة كل أسبوع. فى الحقيقة، وعلى المستوى الشخصى، مكنتى التليفون من القيام بدور الأمومة عن بعد، ومكنتى من تأسيس روابط مع ابنى، وبناء صداقة متينة.

وتتصل مارى مع أمها يومياً، إذ إنها لا تستطيع زيارتها كثيراً، مثل أخواتها الأخريات بسبب طبيعة عملها. وتتفهم أمها ذلك. وتتصل أيضاً مع شقيقاتها، فيما يتعلق بالشئون العائلية يومياً. وكل هذا فضلاً عن البقاء على صلة مع أصدقائها، بمن فيهم أعضاء الشبكة.

وتعتبر مارى مواقع الإنترنت مصدراً جيداً للمعلومات والمعرفة اللازمتين للتطوير الذاتى. وفضلاً عن عملها لدوام كامل فى البرنامج الترانزى لتكوين شبكات النوع الاجتماعى (TGNP)، تقوم أيضاً بعملها كمستشارة لحساب المنظمة، وأثناء عطلاتها، تشارك فى استشارات لحسابها الخاص. وكمدربة، تطور المصادر التى تعتمد عليها فى التدريب ومهارات التدريب على النوع الاجتماعى من خلال البحث فى المواقع على الإنترنت، والنصوص المتاحة بها. وكان قسم تنمية المعلومات داخل البرنامج (TGNP)، مفيداً للغاية فى توفير الدعم الفنى اللازم للبحث عن هذه المعرفة.

وباعتبارها مديرة تنفيذية لشبكة نسوية ومنظمة دفاعية، ترى مارى الاتصالات الداخلية الجيدة، أمراً أساسياً لاستمرارها. وأسسوا داخل المنظمة نظام اتصال عن طريق الأجهزة الإلكترونية، يمكن الموظفين من تبادل الملاحظات والمذكرات، والدخول فى مناقشات، وبلورة قضايا عديدة، ولولا هذا النظام، لم يكن كل ذلك يتم إلا بخطوات متتابعة بين المكاتب. ومن ثم فقد أحدث انقلاباً فى طريقة عملهم.

وتقول مارى: "ورغم ذلك، لم تحل هذه الإستراتيجية فى الاتصالات محل اجتماعات فريق العمل، بل مكنتنا أن نكون أكثر تركيزاً على شئون أساسية بدرجة أكبر للمنظمة".

## ديميرا كيتونجا

تقول ديميرا كيتونجا إن "القوة هي طاقة بداخل الشخص، تجعله قادراً على التفكير في حياته الخاصة، ومطالبة البناء الاجتماعى بهويتنا". تشبه كيتونجا الدينامو، فى أنشطتها، إنها ناشرة وإحدى أول المشاركات فى ملكية دار للنشر، فنانة، ناشطة نسوية، وأم لثلاثة أطفال. وكانت قادرة على النجاح، من خلال العمل بعزم وحماس وفقاً لخطة تمويل محددة وفى بيئة أعمال مواتية، على مقاومة التنميط الاجتماعى. وكان لتعرفها على تقاليد وخبرات ثقافية متنوعة، تأثير هائل على رحلة حياتها. وتقول فى إشارة إلى أمها وجدتها "نشأت على يدي سيدتين قويتين، كان لهما تأثير هائل على حياتي":

تعلمت من أمى رفض القولية التنميطية، وتحدى البنى النوعية للأدوار الاجتماعى والحياة الجنسية. وتعلمت من جدتى، حب الفلكور، والإعجاب بالتراث الثقافى ورواية الحكايات. وتعرفت أثناء سفرى مع أبى من مكان ريفى إلى آخر، على تنوع اللغات واللهجات، واشتد فهمى لتنوع التراث الثقافى. وفى المدرسة الابتدائية والخدمة الوطنية، شعرت بتحدٍ لهويتى الجنسية، إذ حاولت المؤسسات غرس حب الوطن بداخلى وتعليمه لى، فى إطار السياق الأبوى والهيراركى، وبالتالي فشلت فى التمييز بين الهوية الوطنية والشخصية، فى وقت كنت أثناءه فى أمس الحاجة للشعور بالتقدير لذاتى".

عاشت ديميرا طفولة حيوية. ورغم تربيته فى منطقة مطبوعة على التقاليد والأعراف التى تنشئ البنات والأولاد على أدوار محددة لكل من النوعين، فإنها شككت فى القواعد القائمة على قوالب تنميطية من طفولتها المبكرة ورفضتها. أحببت التصفير بفمها وتسلق الأشجار، السلوك الذى اعتبروه غير ملائم للبنات. وعندما سألت ديميرا أمها لماذا يعتبر التصفير وتسلق الأشجار غير ملائمين لها، قالت أمها "إذا كانت لديك ملكات فى هذه الأمور لا تتوقفى، واستخدميهما على أنها ملكات وهبها لك الله". ويتعارض هذا مع التصور الذى نميل للاعتقاد فيه، بالنسبة للمرأة الريفية، وغير المتعلمة، وحول الوعى النسوى. لقد أثرت الأم فعلياً على مواقف ديميرا تجاه احترام ذاتها، وحياتها الجنسية، واقتناعها بجدارتها.

وكانت جدة ديميرا، السيدة الأخرى التي أثرت في حياتها، والتي عاشت معها قسماً من طفولتها. كانت جدتها تروي لها الحكايات، وتعرفها على الفلكلور المحلي وكلمات الأغاني وطقوس البلوغ. ولا بد أن هذه الثروة من المعرفة والخبرة كان لها تأثير باقٍ على حياة ديميرا. لقد أصبحت كاتبة متدفقة، وخاصة لكتب الأطفال، وألفت شعراً وكتبت أغاني شعبية، وتكن إعجاباً شديد الحماس للموسيقى والثقافة التقليدية.

وطور التعليم الثانوي مواهب ديميرا. والتحقت بمنتديات القراءة والمناقشات والكتابة. وقابلت أيضاً فتيات مهتمات ومتحمسات للفنون واللغات والثقافة. وفي هذا المستوى، كانت مهاراتها في القراءة والكتابة واللغات قد نضجت. ومثلت لها أصولاً طويلة الأمد في حياتها المهنية وأنشطتها التجارية.

علاقة ديميراً بتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات: بالنسبة لديميرا وشريكها في الإدارة إليشى، كانت الاتصالات الإلكترونية شيئاً محورياً لعلهما اليومي في التحرير والنشر. كانت تمكنهما من الاحتفاظ بقاعدة بيانات العملاء، وإصدار الأوامر، وإرسال كثير من الإيميلات للتواصل مع أصحاب المطابع، وفريق العمل، والآخرين، ووفقاً لديميرا:

في صناعة النشر، تعتبر اتصالاتك العمود الفقري لمثل هذا النوع من الأنشطة. عليك الاتصال بمؤلفي الكتب أو المقالات التي تقومين بتحريرها، وأنت في حاجة للاتصال بأصحاب المطابع، وأيضاً للبحث عن أسواق. فضلاً عن ذلك، يكون عليك الإعلان عن نفسك، والوصول للمعلومات والمعرفة أيضاً حول صناعة النشر. ولكن كناشطة، أنت في حاجة إلى أن تكوني جزءاً من شبكات، وتشاركى مع الآخرين، أحياناً عبر الإيميل. وكأم لشباب صغار، تحتاجين إلى الاتصال معهم لتبادل الدعم. لا يمكن التفكير في صناعة النشر اليوم دون أدوات تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات.

## روث مينا

تقول روث مينا "التمكين هو الثقة فى الذات وإدارتها، بما يدفعك للحركة فى حياتك ضد كل العقبات"، وروث مينا باحثة فى العلوم السياسية، ونسوية، وناشطة فى مجال حقوق الإنسان، وأم لأربعة أبناء، و جدة لأربعة أحفاد، وصديقة للكثيرين. عندما التزمت بالعمل فى هذا البحث كانت تعد نفسها للتقاعد من عملها بالجامعة، وتخطط لإنشاء مركز للتعليم، ستديره بنفسها. ويتبع مركزها الجديد مدرسة للتعليم الثانوى، تعد محور أنشطته، إلى جانب غيرها من الأنشطة التعليمية الأخرى قصيرة المدى، التى تستهدف الشباب. وتعزم أن تستفيد المدرسة الثانوية، التى تعد مرحلة تمهيدية للتعليم الجامعى، من تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات بشكل مكثف.

ولدت روث فى عائلة اتسمت بتعدد الزوجات، وكان لها ١٢ طفلاً، ١٠ بنات، وولدان. وعندما تزوجت أخت روث الكبيرة، "أعطوها" إلى أختها لتساعدنا (وكان عمرها خمس سنوات). نشأت باعتبارها الطفلة الأولى لأختها، عليها كثير من المسؤوليات، تتضمن أعباء منزلية، مثل العناية بأطفال أختها الصغار ، تنظيف حظيرة الحيوانات، وجلب المياه والحطب لإشعال النار، والطهو، إذ كانت أختها مشغولة فى أعمال المزرعة. شعرت روث بأن والديها أرسلوها إلى أختها الكبرى حتى تنشأ اجتماعيا على أن تكون امرأة مجدة تستطيع القيام بالمهام التى ترسخت باعتبارها عمل النساء.

وبينما جمعت روث بين أدوارها المنزلية فضلاً عن الدراسة، لم يكن أداؤها جيداً فى اختبارات الصف الرابع. ولحسن حظها، كان لها أخ مقتنع بوجهة نظر أوسع عن تعليم الفتيات، وقرر إبعادها من عند أختها، وأعادها إلى المدرسة، لتعيد الصف الرابع الابتدائى. ونجحت بدرجات مرتفعة جداً، وكانت إحدى بنتين تم اختيارهما من فصلها لتلتحق بالمدرسة الداخلية. وهذا ما فتح الباب أمامها لمزيد من فرص التعليم حتى وصلت إلى المستوى الجامعى، دون أى رسوب.

في الحقيقة، كان والدي يمثل لي حافزاً ولكن بصورة سلبية. أبى لم يرد أبداً أن تكون له ابنة يتجاوز تعليمها الصف الرابع الابتدائي، بينما قرر أن يساعد الولدين حتى أعلى مستوى يرغبان فيه. وأغضبني هذا جداً. ربما لو لم يكن بسبب ضغط والدي، لأنهييت تعليمي بعد الصف الثامن واتجهت إلى العمل بمهنة التعليم أو التمريض مثل أختي، ولكني فقط قررت البرهنة على خطأ والدي، وطالما أنه قال لن يكون هناك مزيد من التعليم، مضيت لاستكمال تعليمي دون التركيز على نقطة محددة، ولا طموح في مهنة ما أو في التعليم الجامعي.

وأثناء دراستها في المستوى الأول، بدأت روث الاستمتاع بالتعليم. تقول: "حدث هذا عندما لم يعد يدفعني للتقدم إلى المستوى الأعلى الحافز السلبي المتمثل في مقاومة الأبوية، ولكن حب التعليم".

في عام ١٩٦٨، كانت روث بين قليل من السيدات اخترن للالتحاق بكلية جامعة شرق أفريقيا، التي تحولت عام ١٩٧١ إلى جامعة دار السلام، التي تخرجت فيها. تقول عندما التحقت بالجامعة بدأت "البحث عن الذات" فيما يتعلق بماذا تريد أن تفعل بتعليمها. "بأمانة، خشيت مجرد التسجيل في العلوم الاقتصادية كمادة أساسية لي، حيث أعلم مدى متطلبات وظيفة في مجال كهذا!". لم يكن في المدرسة الثانوية من تستشيريه حول المهنة التي تريد العمل بها، وفي الجامعة كان هناك افتراض أن الطلاب الذين ارتقوا في رحلة تعليمهم حتى هذا المستوى، لا بد أن لديهم المعلومات اللازمة! وإذا رجعنا بذهننا إلى الستينيات، لن نجد أجهزة كمبيوتر للبحث عن المعلومات المفيدة حول المسارات المهنية. وبينما اتخذت من مدرسيها نموذجاً مهنيًا، قررت تغيير مجال دراستها إلى التعليم. وهكذا أغلق النقص في المعلومات أحد المسارات المهنية أمامها، وربما فتح الباب لها إلى مهنة التدريس، الأمر الذي يبدو أنها لم تأسف عليه.

وهكذا، اختارت ثلاث مواد أساسية، العلوم السياسية، والتعليم، والتاريخ. وهذه المجموعة عرفت على أساتذة لهم قدرة كبيرة على التأثير، ومفكرين رواد في الاقتصاد السياسي والتاريخ. تعرفت على يد العالم المتميز الراحل والتر رودني، على التاريخ السياسي للاستعمار والإمبريالية والتخلف. وتعرفت على يد جون سول وليونيل كليف

على الجدل الاشتراكي، وفلسفة "الأوجاما" (\*) والماركسية. ومع المحاضرات العامة التي كان ينظمها بعض هؤلاء الأساتذة في "الميدان الثوري"، والتي كانت تربط الإمبريالية بالاستعمار الجديد، طورت وعيها السياسي إلى نظريات الاضطهاد والتخلف. وبينما تقول إن "التعليم الجامعي كان ملهما وممكنا"، فالعجيب أن تلك المعرفة الثورية جداً لم تطلعها على المعرفة والوعي النسويين. ومع ذلك، كما تقول "خلقت الأساس لتوجهي إلى النشاط، وغرست داخلي روح القتال!". واكتسبت وعيها النسوي عن طريق التعليم من خلال الخبرة، وتعزز خلال تعريفها لنفسها على النظريات النسوية.

وتقول روث عن نفسها بالنسبة لارتباطها بتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، إنها أصبحت مستهلكة لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات منذ وقت طويل. فكما يظهر من مسار حياتها، كان للوصول إلى معلومات حيوية، أو عدم الوصول، تأثير حاسم في حياتها. لقد مكنتها معلومة حول منحة دراسية، وصلت بكلمة شفوية، من مواصلة تعليمها الثانوي. وإذا كان الأمر هكذا، فالإنترنت تمثل مصدراً مفيداً جداً للمعلومات والمعرفة. وتدخل روث على بوابات معرفية متنوعة لتتوصل إلى النصوص التي ستستخدمها في التدريس، وأيضاً مواد التدريب على النوع الاجتماعي. ويعيش كل أولادها ما عدا واحداً منهم، بالخارج مع عائلاتهم. وتتصل بهم روث عبر الإيميل والرسائل النصية القصيرة أسبوعياً. وتتصل بخدمة بث شبكة الإنترنت فائقة السرعة، برودباند ومن خلال غرف الدردشة مع أسرته. ويقلل هذا تكلفة المكالمات التليفونية، التي ترى أنها فوق طاقتها. ولكنها أيضاً تستخدم التليفون المحمول بكثافة في التواصل مع أصدقائها وزملائها من النشطاء.

---

(\*) في الأصل Ujamaa، وهي كلمة باللغة السواحيلية، تعني الأسرة الممتدة، أو تشير إلى علاقات العائلة. صاغها جيبولوس نيريري ضمن فلسفته التوحيدية، لتشير إلى شعور الفرد أنه جزء من الجماعة التي يعيش فيها. وباستلهاهم هذه الفكرة توحدت تنزانيا مع استقلالها تحت هذا الاسم عام ١٩٦٤، وأصبح نيريري أول رئيس لجمهورية تنزانيا. (الترجمة).

## ملاحظات عامة حول القوة والمعلومات

من الخمس حالات التي قدمناها فيما سبق، يمكننا أن نرى أن السلطة ينظر إليها على أنها قوة داخلية، دفعة من الداخل، شيئاً لا يكون ملموساً، ولكنه بعد ذلك تيسره البيئة الخارجية. والسلطة الداخلية هي تلك القوة التي تأتي من داخل الشخص، وجعلت باهاتى تنتقل من كيجوما إلى دار السلام لتبحث عن الفرص، والأكثر من هذا جعلتها تأخذ القرارات التي حررتها من التبعية الأبدية الحرمان. إنها القوة التي جعلت روز ليمو تترك وظيفة رسمية وتعمل لدى نفسها مع رأسمال ضئيل. إنها القوة الدافعة التي جعلت روث تبحث عن تمويل منحة دراسية بعد التعليم الابتدائي، والقوة التي مكنت ماري روزيمبي من قيادة منظمة ديناميكية جداً، وفي الوقت نفسه توازن بين أنوارها الثلاثة. إنها الإلهام الذي دفع ديميرا كيتونجا للمغامرة في مجال الأعمال التجارية التي يسيطر عليه الذكور.

إنها القوة والطاقة اللتان تمكن كل شخص من تحويل العقبات إلى تحديات، وتمكنه من اكتشاف الفرص في بيئة أعمال تنتشر بها القيود. وفي هذا السياق، القوة هي الشيء الذي لا يكون ملموساً دائماً؛ ويصعب حسابه، ولكنه يتجسد من خلال أبعاد ملموسة داخل البيئة الخارجية للفرد. هذه القوة الداخلية في كل واحدة منا، ولكن معظمنا (النساء) لا نلاحظها، وإذا فعلنا نميل إلى الخوف منها. معظم النساء لديها هذه القوة الداخلية، التي تتيح لنا جميعاً البقاء في ظل صور قاسية من الحرمان والقهر، بينما نعاني بصمت، ونضع الابتسامات على ووجوهنا.

القوة الداخلية لا تساعد فقط الأفراد في تحديد اختياراتهم، ولكنها تدفع البعض إلى اختيارات بعيدة كل البعد عن الاختيارات التي كانت مهياة لهم في ظل الأعراف والممارسات الأبوية. كل النساء اللاتي عرضنا مسيراتهن، اتخذن قرارات محددة عملت على نقلهن خطوة واحدة باتجاه طريق التمكين، حينما عارضن الأعراف والممارسات المقبولة. كل النساء اللاتي عرضنا مسيراتهن أظهرن حباً لذواتهن وشعوراً بجدارتهن، والتحكم فيها، وكان هذا ما دفعهن إلى تحدى التهميش، والاستبعاد الاجتماعي،

والمكانة المتدنية. حب باهاتى لذاتها دفعها إلى رفض ترك نفسها خاضعة للاستغلال، ووجهها إلى شراء الأداة التي يسرت نمو أعمالها.

وتأتى القدرة على الإصغاء إلى صوت الشخص الداخلى ، فى نفس أهمية عملية التمكين، الصوت الذى ينبهك للعناية بما تحبين، إنه الصوت الداخلى الذى وجه مارى إلى الاستقالة من وظيفة فى سفارة بأجر عالٍ، من أجل عمل أقل تميزاً من الناحية الاجتماعية مع منظمة نشطاء. استجابات ديميرا إلى الصوت الداخلى فيما يتعلق باختيار نمط التعليم الصحيح وتطوير مهاراتها بالاعتماد على نفسها. من الضروى أن تتعلم النساء الإصغاء إلى صوتهن الداخلى، لأن هذا ما يمكنهن من الاعتراض على الاختيارات التى تحدد لهن دون رضا منهن. رفضت نساء فى أحيان كثيرة الالتفات إلى هذا المعلم الداخلى، وترتب على هذا مشاركتهن فى أنشطة ترسخ تبعيتهن ووضعهن الهامشى.

بصرف النظر عن القوة التى لدينا، إلا أن حبنا لأنفسنا وقدرتنا على تحديد الاختيارات، ومدى استطاعتنا التمتع بالاحترام الكامل، وتقدير صوتنا الداخلى والإصغاء له، وتحديد اختيارات وتحقيق أحلامنا، كل هذا تشكل البيئة التى نعيش فيها، وفى بعض الأحيان تحده.

## بينتنا الخارجية

تشكل بينتنا الخارجية الأسلوب الذى نعرف به السلطة، والطريق الذى تفضى بنا إليه. نعيش فى أقل قارة استفادت من ثورة تكنولوجيا المعلومات، القارة الوحيدة التى دخلت هذا القرن مصحوبة بمستويات متزايدة من الحرمان والفقير. ويحمل هذا الفقير وجهاً ريفياً ونسائياً فى الوقت نفسه. وهى أيضاً القارة التى بيها فجوة رقمية مهولة، وحيث مد الشبكة الإلكترونية ما زال فى مرحلة بدائية جداً من التطور، مقارنة مع مناطق العالم الأخرى. إنها القارة التى عانت كثيراً من التفاوتات فى فرص الوصول إلى بعض



أدوات تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات على مستوى العالم ، إذ يقدر أن هناك ٢١ مليوناً فقط من ٨١٦ مليون مواطن فقط، يتمتعون بميزة الحصول على تليفون محمول، معظمهم يعيشون إما فى شمال أفريقيا، أو جنوب أفريقيا.

أن تكونى امرأة تعيش فى قارة أفريقيا، وخاصة فى أفريقيا جنوب الصحراء، يعنى أنك ملزمة بالخضوع إلى عديد من عناصر ضعف الحال. ملزمة بالمشاركة فى الفقر مع أخواتك وبنات إخوتك وبنات عمك وصديقاتك، إلى آخره. وملزمة إذا كنت ناشطة باقتسام معاناة الحرمان من الأساسيات مثل الطعام والماء، ومواجهة تحديات موت الأمهات، إلى آخره. ويستهلك هذا كثيراً من طاقتنا، وفى أحيان يقلل نوعية الوقت الذى يستطيع المرء إنفاقه فى استخدام تكنولوجيا المعلومات من أجل دفع المسارات النسوية للأمام، أو العمل فى مجال التنمية. حتى القلة المميزة من الناس الذين لديهم فرص الوصول إلى تكنولوجيا المعلومات، يتحملون تكلفة أعلى نظراً للوضع المتخلف الذى توجد عليه عندهم. يدفع الأفرقة سعراً أعلى مقابل ثورة المعلومات مقارنة بنظرائهم فى باقى أنحاء العالم.

وفضلاً عن ذلك، سيكون للأبعاد الاجتماعية السياسية لبيئتنا وتعليمنا تأثير قوى على الطريق إلى التمكين. مع تعليم باهاتى المحدود، لم تكن لديها إلا فرص اختيار محدودة فى حياتها. حاولت فى البداية مع صناعة الملابس، ولكنها أدركت أنها حتى تحصل من هذه الصناعة على ما يقيم حياتها، يلزمها استثمار فى تطوير نفسها. ولم يكن بمقدورها تحمل ذلك فى تلك الفترة المحددة، ولهذا قررت الالتحاق بصناعة تصفيف الشعر، التى كانت أيضاً مشبعة بشابات نصف ماهرات وقليل من الرجال.

ولكن مارى، وفر لها تدريبها على تعليم الكبار، وتعرفها على دراسات النوع الاجتماعى، مستوى مرتفعاً من الفهم لديناميكيات أنظمة القهر الاجتماعى، التى تعمل على تغييرها بشكل جماعى مع زميلاتها الأخريات فى الحركة النسائية. وبالمثل، تمكنت ديميرا من خلال تعليمها وتدريبها من تحقيق مزيد من التقدم فى مسارها المهنى بالمجال التجارى، وبخلاف ذلك لكانت خضعت لهيمنة الرجال. ورفعت من ثقته بنفسها، وتقديرها لها، وحققت قدرة هائلة فى اختبار العمليات السائدة عامة.

## أن يكون التمكين مستنداً على القوة الداخلية للشخص

رحلتنا تجاه التمكين، أشبه بتسلق تلال شائك صخري وعر. بينما يشعر قليل منا أننا وصلنا إلى ما نعتبره قمة أو فتحاً فردياً، تكون غالبيتنا ما زالت تكافح لتصل إلى ما يعتبره كل منا محطة الوصول لرحلتنا. بصرف النظر عن خلفياتنا المتباينة، بإمكان بعضنا اجتياح عدد من التلال، في حين يكون البعض في حاجة لجهود إضافية، وآخرون ما زالوا يجاهدون. ولكننا جميعاً في رحلة من أجل "التمكين". وهناك عوامل متعددة مركبة تسهم في تباين مستويات التمكين التي نصل إليها، كما ناقشنا من قبل. وتتضمن، ولكن لا تقتصر على ذلك: موقعنا الجغرافي، وامتلاك أو غياب فرص الوصول إلى المعلومات وما تساويه تكلفتها، ومستوى التعليم، والأهم من كل شيء، الإرادة الفردية في احترام الصوت الداخلي والإنصات له، إذ يدفعنا إلى اكتشاف الفرص، وتحويل العقبات إلى تحديات، والتحرك في الحياة.

ومن خبرات النساء التي عرضناها في هذا الفصل، وفقاً لفهمنا لها، يبدو واضحاً أن أدوات تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات لها قدرة على تسهيل توفر الرفاهية الاقتصادية، بشرط أن تستغلها نساء يعتمدن على "القوة الكامنة فيهن".

## الهوامش

(١) التقرير الكامل للبحث منشور للمساهمة في ثروة المعرفة التي تم إنتاجها في مجال البحث، على موقع:  
[www. GRACE Network.net](http://www.GRACENetwork.net).

## المراجع

- Khurana, G. (2008) 'Mobile phones and brain tumours – a public health concern', [www.brain-surgery.us/mobph.pdf](http://www.brain-surgery.us/mobph.pdf).
- Mitter, S. (2005) Interview, available at [gender.developmentgateway.org/Content-item-view.10976+M547c1b5fa07.0.html?&L=0](http://gender.developmentgateway.org/Content-item-view.10976+M547c1b5fa07.0.html?&L=0). Sen, A. (1999) Development as Freedom, New York and Toronto: Anchor Books.
- UNEP/GRID-Arendal (2006) Planet in Peril: Atlas of Current Threats to People and the Environment, UNEP.

## خاتمة

إينيكى باسكنز - آن ويب

العلاقة بين النساء وتمكينهن، واستخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فى أفريقيا، علاقة معقدة؛ لا يمكن تلخيصها أو إيجاد حلول لها ببساطة. فرص وصول النساء إلى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات واستخدامهن لها، لا يمكن فهمه بمعزل عن مكانته وهوياتهن النوعية، والطريقة التى تتفاعل بها تلك المكانة والهويات مع أوضاعهن السياسية - الاقتصادية. وبالمثل، ينبغى أن يكون فهم كفاح النساء للتغلب على القيود التى تحد من مكانتهن وهوياتهن باستخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. وفى إطار هذا السياق، ينطبق الشيء نفسه على نجاحهن فى التغلب على تلك القيود. وفى هذا الضوء أصبحت بعض القضايا واضحة:

- علينا إدراك أن تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، لا تؤدي إلى التمكين فى حد ذاتها، بل إن استخدامها الذى قد يؤدي إما التمكين أو عدم التمكين. وحتى يحدث تغيير مستدام و"تمكين حقيقى"، ينبغى للنساء أن يكن وسيطات فى العمليات الخاصة بهن، ومسئولات عن بيئاتهن، ومتحكّمات فيها. ولهذا السبب، تكون وساطة النساء أمراً أساسياً، ويل فى الحقيقة الأمر الأساسى.

- استخدام النساء لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات لا يعمل كمجرد فعل فردى، ولكنه مرتبط بعملية متضمنة لجميع السياقات التى تتأثر بهذا الفعل. وحيث تشترك النساء فى سياقات مختلفة بشكل متزامن، وعديد من تلك السياقات قائمة على أرضية عدم المساواة النوعية، ستؤثر عملية تغيير النساء وتمكينهن على تلك السياقات بصورة مباشرة وغير مباشرة، وربما تثير توتراً وارتباكاً، وحتى إنها قد تؤدي إلى فوضى.

أحياناً لا تكون الديناميكيات داخل تلك السياقات ظاهرة؛ وتصبح الآثار واضحة فقط وإنما يحدث الشخص تغييراً في شيء محدد بعينه. ولذلك ستكون النساء أنفسهن الأقدر على تقرير إلى أي درجة يستطعن دفع سقف حياتهن إلى أعلى؛ يجب أن يكن وسيطات في تنمية أنفسهن، وتمكين أنفسهن. ولا يعنى هذا أن تفضيلات النساء لا يمكن معارضتها، حينما تكون تعبيراً عن التكيف مع القيود والظلم والأوضاع غير المرضية. ولكن حتى حينها، ولو لم تكن تلك التفضيلات صادرة بصورة واعية، إلا أنها ينبغي أن تفهم أولاً.

- تسهم النساء بشكل مباشر في بيئتهن، ويشاركن بنصيب لهن من المكاسب، حتى ولو عند مستوى ليس لهن فيه كثير من الاختيارات بسبب الحرمان العام من الحاجات الأساسية (توفر تيار كهربائى مثلاً). وتتسق هذه النتيجة مع التوقع العام بأن تمكين النساء يمثل أحد الوسائط الأساسية للتغير الاجتماعى والاقتصادى (Sen 1999).

ربما، بسبب أن غالبية الأفريقيات، ما زال أمامهن شوط طويل إلى الحرية، إلى نوع تقرير المصير الذى ترغب الأفريقيات فى الوصول له، كان تقرير المصير الذى أمكنهن التعرف عليه فقط، استخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فى تحسين حياتهن، وحياة من يحبون. ولا يمكن رؤية مسيرتهن وفهمها بمعزل عن السلطة فى سوق الاقتصاد العالمية، والتصورات السائدة حول النوع الاجتماعى، ومن دون إدراك القوة الهائلة التى بإمكانهن استنفارها داخلهن. وهذا ما حاول المؤلفون المساهمون هذا الكتاب تحقيقه: جعل اختيارات النساء مرئية ومفهومة، وإظهار كيف لا تكون قوة النساء الأوضح دائماً، وكيف لا تكون اختياراتهن دائماً متماشية مع الأولويات الاقتصادية، ولكنها تصبح منطقية للغاية عندما نفهما فى سياق مسئوليات النساء الثلاثية وأولوياتهن الخاصة. ويكشف أسلوب استخدام النساء تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات تماماً، أين أصبحن فى مسيرتهن تجاه التمكين.

وعلى خلفية هذه الشبكة المعقدة من الأوضاع السيئة، يتضح أكثر طبقة بعد طبقة، إعجاز ما حققته الأفريقيات فى مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. ويتضح أيضاً بشدة،

أن تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات تمس حياة النساء، وتؤثر فيها حتى فى أقصى البيئات الريفية. ولكن بينما تظهر معانى "الإتاحة" وإلحاحها شديدة التباين بسبب الأبوية، وفى أحيان كثيرة مقيدة بها، فلا مبالغة فى ذكر أهمية مواجهة عدم المساواة النوعية فى مجتمع المعلومات. وكما ذكرت ميتر نفس المنطق العتيق: بسبب المكانة الأدنى للمرأة فى المجتمع، لا تتاح لها فرص الوصول المتساوية إلى جميع الأصول، بما فيها تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات (٢٠٠٥). هناك إمكانية هائلة فى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات لتحسين حياتنا كبشر فى مجتمع قائم على المساواة. ولكن حتى يحدث هذا، من الضرورى تنظيم الانتشار والشيوخ السريع لتلك التكنولوجيا لصالح السعى إلى تنمية مجتمع يتسم بعدم التمييز، وأن تكون مصحوبة بجهود لتقليل الفوارق الإقليمية وبين الشمال والجنوب.

وهكذا، يحتاج تحسين فرص وصول النساء إلى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات إلى تحول فى عقليات الناس، وفى المعرفة التى تمت صياغتها عالمياً على عدم المساواة بين الجنسين، وعلى نحو أكثر تحديداً، شكلتها الهيمنة الذكورية. ويعد المنظور الذكورى الذى صاغ المجتمعات الأفريقية ودور النساء فى سوق العمل والمجال الخاص، متغيرين أساسيين فيما يتعلق بالتمكين وعدم التمكين فى قطاع تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات.

ومع التغييرات السريعة فى التكنولوجيا، يثار أيضاً تساؤل حول استدامة نمط المجتمع الذى يتم ترسيخه الآن، مع مساعدة تلك الأدوات الحديثة من الاتصالات. وتعكس الفجوة الرقمية، ببعدها الخاص بالشمال والجنوب وبعدها النوعى، تشوهاً فى نموذجنا الاقتصادى. وتطمس المشاركة المهمة للشعوب فى الجنوب، وللنساء على مستوى العالم، وبالتالي لا تحظى بأى مكافأة وتقدير. والأهم، لا يقتصر الأمر على مجرد أن هذه التكنولوجيا فى حد ذاتها تثير تهديدات صحية وبيئية، ولكننا ندرك أكثر وأكثر أن كوكبنا أصبح مهدداً بسبب التحاقنا قصير النظر بالاقتصاد غير المستدام (UNEP/ GRID Arendal 2006).

بينما تزيد تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات شعور الاتصال المتبادل على مستوى العالم بين الأجناس التي تقطن هذا الكوكب، فهذا الاعتبار ربما يجعلنا قادرين على اتخاذ وقفة لمنع تكنولوجيا الاتصالات و المعلومات من خلق مساحات جديدة للاستبعاد، وبالتالي للفقر والانعزال، داخل الدول وبين الدول. وهذا بالفعل موقف الباحثين مؤلفي هذا الكتاب، بكل تنوعاتهم.

ونود لفت الانتباه إلى الصعوبات التي واجهها الباحثون. إذ تتطلب المحافظة على موقف انعكاسي كثيراً من الانتباه، وقد تسبب لهم اضطراباً، لأن عنصر الوعي النقدي الموجه ذاتياً، يكون جزءاً من كل انعكاس. وفوق هذا، يثير الانعكاس من هذا النوع حتماً تغييراً في الباحثين، الأمر الذي قد يحدث ضغوطاً في حد ذاته، حتى وإن كان مرغوباً.

ومن ثم، تتعلق الأهمية الكبرى لهؤلاء الراغبين في خوض مثل تلك الرحلة: بالسعى إلى تعريف العوامل المؤثرة في عملية البناء المعرفي المحيطة بأفريقيا، فلا يتوقف أمر مستقبل تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات وتمكين نساؤها على واقع المرأة فقط، ولكنه يتصل أيضاً بإمكانية خلق واقع جديد.



## الهوامش

- (١) يوجد على سبيل المثال، عدد من الدراسات متعلقة بالجوانب الصحية لاستخدام التليفون المحمول. انظر من الأمثلة الحديثة على ذلك (Khurana (2008)).

## المراجع

قائمة أسماء الأشخاص  
(مرتبة وفقاً لأبجدية اللغة الإنجليزية)

Abagi, Okwach	أكواش أباجي
Abraham, Kiss Brian	كيس برين أبراهام
Amuria, Gorretti Zavuga	جوريتي زافوجا أموريا
Baguma, Rehema	رهيمبا باجومبا
Bakesha, Susan	سوزان باكشا
Buskens, Ineke	إينيكي باسكنز
Chibomba, Kelvin	كيلفن شيبومبا
Comfort, Kazanka	كانزانكا كومفورت
Emdon, Heloise	هيلويسى إمدون
Epodoi, Rachael Mijumbi	راشيل ميجومبي أبودوي
Gakure, R.	أر. جاكور
Gaster, Polly	بولي جاستر
Ginger, Lucia	لوسيا جينجير
Harkim, C.	سى. هاركيم
Huyer, S.	إس. هوير

Knobloch, U.	يو. كنوبلوش
Kyomuhendo, Grace Banterbya	جريس بانتييبا كيوموهيندو
Macome, Esselina	ايسلينا ماكوم
Macueve. Gertrudes	جيرترود ماكويفي
Mandlate. Judite	جوديت ماندليت
Mbambo-Thata, Buhle	بولى مبامبو-ثاتا
Mitaba, Leah	لياھ ميتابا
Mlambo, Elizabeth	ايلزابث ملامبو
Mpundu, Priscilla	بريسيلامبونو
Muller, Jocelyn	جوسلين مولر
Munyua, Alice Wanajira	اليس وانجيرامونيو
Mureithi M.,	ايم. موريتي
Mwatsiya, Preious	بريوس مواتسيا
Nakafero, Angella	انجيلاناكافيرو
Nsubuga, Martin	مارتن نسوبوجا
Nussbaum, M.	ايم. نوسباوم
Okelo, Dorothy	دوروثي اوكيلو
Omamo, Salome Awuor	سالومي اوور امامو
Sane, Ibou	ايبو سين
Sassen, Saskia	ساسكيا ساسين
Semakula, Daniel	دانييل سيماكولا

Sen, Amarty	أمارتى سن
Sifuna, Olive	أوليف سيفنا
Sikoska, T	تى. سيكوسكا
Tafnout, Amina	أمينة تافنوت
Tandon, N.	إن. تاندون
Tchinda, Elise	إليس تشيندا
Timjerdin, Aatifa	عاطفة تميچردين
Traore, Mamadou Balla	مامادو بالا تراورى
Walker, Anne	آن وكر
Webb, Anne	آن ويب
Wolf, S.	إس وولف
Yitamben, Cisele	جيزيل يتامبين
Zulu, Brenda	بريندا زولو



قائمة أسماء الأشخاص  
(مرتبة وفقاً لأبجدية اللغة العربية)

Gakure, R.	أر. جاكور
Wolf, S.	إس وولف
Huyer, S.	إس. هوير
Abagi, Okwach	أكواش أباجي
Tchinda, Elise	إليس تشيندا
Mureithi M.,	إم. موريثي
Nussbaum, M.	إم. نوسباوم
Sen, Amarty	أمارتي سن
Tafnout, Amina	أمينة تافنوت
Walker, Anne	آن وكر
Webb, Anne	آن ويب
Tandon, N.	إن. تاندون
Nakafero, Angela	أنجيلا ناكافيرو
Sifuna, Olive	أوليف سيفنا
Sane, Ibou	إيبو سين

Macome, Esselina	إيسلينا ماكوم
Buskens, Ineke	إينيكي باسكنز
Mpundu, Priscilla	بريسيلا مبونديو
Zulu, Brenda	بريندا زولو
Mwatsiya, Preious	بريوس مواتسيا
Mbambo- Thata, Buhle	بولى مبامبو-ثاتا
Gaster, Polly	بولى جاستر
Sikoska, T	تى. سيكوسكا
Kyomuhendo, Grace Banterbya	جريس بانتيبيا كيوموهيندو
Mandlate. Judite	جوديت ماندليت
Amuria, Gorretti Zavuga	جوريتى زافوجا أموريا
Muller, Jocelyn	جوسلين مولر
Williams, Joan C.	جون سي ويليامز
Macueve. Gertrudes	جيرترود ماكوفى
Yitamben, Cisele	جيزيل يتامبين
Semakula, Daniel	دانييل سيماكولا
Okelo, Dorothy	دوروثى أوكيلو
Epodoi, Rachael Mijumbi	راشيل ميجومبي أبودوي
Baguma, Rehema	رهىما باجوما
Sassen, Saskia	ساسكيا ساسين
Omamo, Salome Awuor	سالومى أوور أمامو



Bakesha, Susan	سوزان باکشا
Harkim, C.	سى. هاركيم
Timjerdin, Aatifa	عاطفة تيمجردين
Comfort, Kazanka	كانزانكا كومفورت
Abraham, Kiss Brian	كيس برين ابراهام
Chibomba, Kelvin	كيلفن شيبومبا
Ginger, Lucia	لوسيا جينجير
Mitaba, Leah	لياہ ميتابا
Nsubuga, Martin	مارتن نسويوجا
Traore, Mamadou Balla	مامادو بالا تراورى
Emdon, Heloise	هيلويسى ايمدون
Mlambo, Elizabeth	إليزابث ملامبو
Munyua, Alice Wanajira	أليس وانجيرا
Knobloch, U.	يو. كنوبلوش



**قائمة أسماء المنظمات والهيئات  
(مرتبة وفقاً لأبجدية اللغة الإنجليزية)**

- Africa virtual University (AVU) جامعة أفريقيا على شبكة الإنترنت
- African Growth Opportunity Act (AGOA) قانون الفرص والنمو في أفريقيا  
مؤسسة الاتصالات المتقدمة
- Association for Progressive Communications (APC)  
جمعية حماية البيئة
- Association for the Protection of the Environment (APE)  
جمعية دعم ومساعدة منظمات الأعمال
- Association pour le Soutien et l'Appui à la Femme Entrepreneur (ASAFE)
- Central Bureau of Statistics (CBS) مكتب الإحصاء الوطني (كينيا)  
غرفة التجارة والصناعة والتعدين والحرف التقليدية في الكاميرون
- Chamber of Commerce, Industry, Mines and Crafts - CCIMA
- Chipata District Women's Association جمعية مدينة شيباتا النسائية  
جمعية تنمية المجتمع المحلي وحماية البيئة
- Community Development and Environmental Protection Association  
(CDEPA)

حركة شئون المستهلك فى نيجيريا

Consumer Affairs Movement of Nigeria (CAMON)

التعاون لتنمية البلدان الناشئة

Cooperation for Development of Emerging Countries (COSPE)

مجلس التمكين الاقتصادى للمرأة فى أفريقيا - فرع أوغندا

Council for Economic Empowerment of Women in Africa - Uganda

Chapter (CEEWA-U)

وزارة التعدين والطاقة (جنوب أفريقيا) Department of Minerals and Energy

استشارات بدائل التنمية Development Alternatives Consult (DAC)

مركز بحوث التنمية الدولية/ مكتب شرق وجنوب أفريقيا

Development Research Centre/Eastern and Southern Africa Office

(IDRC/ESAO)

تجمعات المصالح الاقتصادى Economic interest groupings (EIGs)

المركز المعلوماتى بجامعة إدواردو موندلين

Eduardo Mondlane University Informatics Centre (CIUEM)

جريس - شبكة بحوث النوع الاجتماعى فى أفريقيا حول تكنولوجيا الاتصالات

والمعلومات من أجل التمكين

Gender Research in Africa into ICTs for Empowerment (GRACE)

مجموعة النهوض المرأة Group for the Promotion of Women (GPW)

منظمة التنمية عبر تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فى العالم العربى

Information and Communication Technologies for Development

(ArabDev)

وكالة تطوير صناعة تكنولوجيا المعلومات

Information Technology Industry Development Agency (ITIDA)

Institute of Directors of Kenya (IODK) معهد المدراء فى كينيا

مركز بحوث التنمية الدولية

International Development Research Centre (IDRC)

International Telecommunication Union (ITU) الاتحاد الدولي للاتصالات

المركز الدولي للدفاع عن المرأة

International Women's Tribune Centre (IWTC)

هيئة الإنترنت للأسماء والأرقام المخصصة

Internet Corporation of Assigned Names and Numbers (ICANN)

Italian Cooperation Agency (ICA) الوكالة الإيطالية للتعاونيات

Kenya Rural Enterprise Programme (KREP) برنامج كينيا للمشروعات الريفية

Kyomuhendo, Grace Banterbya جريس بانتيبيبا كيوموهيندو

جمعية نساء ناكاسيكي للتنمية

Nakaseke Women's Development Association (NAWODA)

هيئة تنظيم الطاقة الوطنية فى جنوب أفريقيا

National Energy Regulator of South Africa

مجلس تنسيق المنظمات غير الحكومية

Non-Governmental Organizations Coordinating Council (NGOCC1)

الوكالة النرويجية للتنمية والتعاون

Norwegian Agency for Development Cooperation

جمعية أفريقيا الواحدة لتنمية نساء الريف

Oneworld Africa District Women's Development Association

Student Representative Council (SRC) المجلس التمثيلي للطلاب

البرنامج التنزاني لتكوين الشبكات في مجال النوع الاجتماعي

Tanzania Gender Networking Programme (TGNP)

غرفة التجارة والصناعة والتعدين والحرف في الكاميرون

The Cameroon Chamber of Commerce, Industry, Mines and Crafts  
(CCIMA)

مركز محكمة النساء الدولية

The International Women's Tribune Centre-IWTC

منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة - اليونسكو

The United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization -  
UNESCO

Together منظمة معاً

مؤتمر طوكيو الدولي من أجل التنمية الأفريقية

Tokyo International Conference for African Development

Uganda Development Services (UDS) إدارة تنمية أوغندا

مجلس أوغندا الوطني للعلوم والتكنولوجيا

Uganda National Council of Science and Technology (UNCST)

Women Weavers Online (WVO) نساجات عبر الإنترنت

جمعية زامبيا للبحوث والتنمية

Zambia Association for Research and Development (ZARD)

**قائمة المؤسسات والهيئات  
(مرتبة وفقاً لأبجدية اللغة العربية)**

- International Telecommunication Union (ITU)      الاتحاد الدولي للاتصالات
- Uganda Development Services (UDS)      إدارة تنمية أوغندا
- Development Alternatives Consult (DAC)      استشارات بدائل التنمية
- البرنامج التزاني لتكوين الشبكات في مجال النوع الاجتماعي
- Tanzania Gender Networking Programme (TGNP)
- Kenya Rural Enterprise Programme (KREP)      برنامج كينيا للمشروعات الريفية
- Economic interest groupings (EIGs)      تجمعات المصالح الاقتصادي
- التعاون لتنمية البلدان الناشئة
- Cooperation for Development of Emerging Countries (COSPE)
- Africa virtual University (AVU)      جامعة أفريقيا على شبكة الإنترنت
- جريس - شبكة بحوث النوع الاجتماعي في أفريقيا حول تكنولوجيا الاتصالات  
والمعلومات من أجل التمكين.
- Gender Research in Africa into ICTs for Empowerment (GRACE)
- Kyomuhendo, Grace Banterbya      جريس بانتيبيا كيوموهيندو
- جمعية أفريقيا الواحدة لتنمية نساء الريف
- Oneworld Africa District Women's Development Association

جمعية تنمية المجتمع المحلى وحماية البيئة

Community Development and Environmental Protection Association  
(CDEPA)

جمعية حماية البيئة (APE) Association for the Protection of the Environment

جمعية دعم ومساعدة منظمات الأعمال

Association pour le Soutien et l'Appui à la Femme Entrepreneur  
(ASAFE)

جمعية زامبيا للبحوث والتنمية

Zambia Association for Research and Development ( ZARD)

Chipata District Women's Association

جمعية مدينة شيباتا النسائية

جمعية نساء ناكاسيكي للتنمية

Nakaseke Women's Development Association (NAWODA)

حركة شئون المستهلك فى نيجيريا

Consumer Affairs Movement of Nigeria (CAMON)

غرفة التجارة والصناعة والتعدين والحرف التقليدية فى الكاميرون

Chamber of Commerce, Industry, Mines and Crafts - CCIMA

غرفة التجارة والصناعة والتعدين والحرف فى الكاميرون

The Cameroon (CCIMA) Chamber of Commerce, Industry, Mines  
and Crafts

African Growth Opportunity Act (AGOA) قانون الفرص والنمو فى أفريقيا

Student Representative Council (SRC)

المجلس التمثيلى للطلاب



مجلس التمكين الاقتصادي للمرأة فى أفريقيا - فرع أوغندا  
Council for Economic Empowerment of Women in Africa - Uganda  
Chapter (CEEWA-U)

مجلس أوغندا الوطنى للعلوم والتكنولوجيا  
Uganda National Council of Science and Technology (UNCST)

مجلس تنسيق المنظمات غير الحكومية  
Non-Governmental Organizations Coordinating Council (NGOCC1)

مجموعة النهوض المرأة  
Group for the Promotion of Women (GPW)

المركز الدولى للدفاع عن المرأة  
International Women's Tribune Centre (IWTC)

المركز المعلوماتى بجامعة إواربو موندلين  
Eduardo Mondlane University Informatics Centre (CIUEM)

مركز بحوث التنمية الدولية  
International Development Research Centre (IDRC)

مركز بحوث التنمية الدولية/ مكتب شرق وجنوب أفريقيا  
Development Research Centre/Eastern and Southern Africa Office  
(IDRC/ESAO)

مركز محكمة النساء الدولية  
The International Women's Tribune Centre-IWTC

معهد المدراء فى كينيا  
Institute of Directors of Kenya (IODK)

مكتب الإحصاء الوطنى (كينيا)  
Central Bureau of Statistics (CBS)

منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة - اليونسكو  
The United Nations Educational, Scientific and Cultural  
Organization-UNESCO

منظمة التنمية عبر تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فى العالم العربى

Information and Communication Technologies for Development  
(ArabDev)

Together منظمة معاً

مؤتمر طوكيو الدولى من أجل التنمية الأفريقية

Tokyo International Conference for African Development

مؤسسة الاتصالات المتقدمة

Association for Progressive Communications (APC)

Women Weavers Online (WWO) نساجات عبر الإنترنت

هيئة الإنترنت للأسماء والأرقام المخصصة

Internet Corporation of Assigned Names and Numbers (ICANN)

هيئة تنظيم الطاقة الوطنية فى جنوب أفريقيا

National Energy Regulator of South Africa

Department of Minerals and Energy (جنوب أفريقيا) وزارة التعدين والطاقة

Italian Cooperation Agency (ICA) الوكالة الإيطالية للتعاونيات

الوكالة النرويجية للتنمية والتعاون

Norwegian Agency for Development Cooperation

وكالة تطوير صناعة تكنولوجيا المعلومات

Information Technology Industry Development Agency (ITIDA)

## قائمة المصطلحات المستخدمة

Adaptive preferences	تفضيلات مكيفة
Address book	دليل الأرقام المسجلة
Agency	فاعلية - هيئة
Agent	أداة
Baseline Survey	مسح أساسى
Disempowered women	نساء محرومات
Female-accepted role	الدور المقبول للأنثى
Fish landing	مصائد الأسماك
Fish processors	المشتغلات فى تجهيز الأسماك
Focus group discussions (FGD)	مناقشات جماعية مركزة
Free Attitude Interview (FAI)	مقابلة التعبير الحر
Free call sessions (FCS)	جلسات بدعوات غير مرتبة
Group discussion	مناقشة جماعية
Homo economicus	الإنسان الاقتصادى
Homo situs	الكائن المتكيف مع موضعه
Informed agent	أداة ناقلة للمعرفة

Interactive sessions	جلسات تفاعلية
Life stories	سير الحياة
Mini-grid system	نظام شبكة مصغرة
Non verbal communications	الاتصالات غير اللفظية
Reflexive attitude (RA)	موقف انعكاسي
Reflexivity	التصرفات العاكسة
Semi -structured interviews (SSI)	مقابلات شبه مهيكلة
Transformational Attitude Interview	مقابلة تهدف تعديل السلوك

## المشاركون فى سطور :

**أكواش أباجى:** حاصل على دكتوراه فى علم اجتماع التعليم من جامعة ماكجيل، ويدير مركز ريسيرشويب، الذى مقره فى نيروبي. أكواش متخصص فى الإشراف وتقييم التنمية المؤسسية، ولديه خبرة مهنية كبيرة فى القطاع الاجتماعى (التعليم والصحة). الباحث المسئول عن النوع الاجتماعى وتحليل السياسات. وقدم مساعدته فنية للحكومات والمنظمات المختلفة فى مناطق شرق وجنوب أفريقيا.

**كيس برين أبراهام:** ناشط زيمبابوى فى مجال المجتمع المدنى والتغيير. شارك بحماس فى تطوير منتدى زامبيا الاجتماعى (يهدف المنتدى إلى خلق فضاء للحوار الجاد والتفكير البديل). وهو عضو المعهد الإعلامى لجنوب أفريقيا، ومجلس المنتدى الاجتماعى لأفريقيا.

**سوزان باكشا:** تعمل حالياً مستشارة لمنظمة استشارات بدائل التنمية Development Alternatives Consult (DAC). متخصصة فى النوع الاجتماعى، ولديها خبرة واسعة فى البحوث والتدريب على النوع الاجتماعى، وتحليل السياسات والأنشطة الدفاعية. شاركت فى العمل على تعميم النوع الاجتماعى فى السياسات الحكومية، وفى عدد من مشروعات التنمية المستهدفة للنهوض بوضع المرأة، وعضوة فى عدد من المنظمات النسائية، وتساهم بحماس فى مشروعات متنوعة بها، ومن بينها المنظمة الوطنية لتدريب المرشحات National Women Candidates' Training، والتدريب على جعل الميزانيات مراعية للنوع الاجتماعى، والنوع الاجتماعى وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات Gender and ICT، والتدريب على مهارات القيادة Leadership Skills Training.

**كازنكا كومفورت:** السكرتير العام لمؤسسة فانتسام، وهي منظمة تيسير فرص الحصول على القروض متناهية الصغر، واستخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، وتعمل بصورة تطوعية وسيطاً لتخفيف حدة الفقرة بين الريفيات النيجيريات. وتعمل كمفرت بشكل وثيق مع مدير البرنامج؛ في الرصد وتقديم الدعم الفني واللوجيستي للبرامج المختلفة. وتعلم مبادئ مهارات استخدام الكمبيوتر للفتيات والنساء في مركز محلى للتعليم فى بايانلوكو، وتعمل على دمج تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فى البرامج المختلفة لفانتوسام. ومنحت إحدى مبادراتها أول جائزة هافكين فى أفريقيا ([www.apc.org/english/hafkin/2001/2001/](http://www.apc.org/english/hafkin/2001/2001/)).

**جون دادا:** تطوع مع مؤسسة فانتسام منذ إنشائها فى ١٩٩٦، يتولى مسئولية تنمية برامج التنمية التى تدعم المبادرات التى تركز على النوع الاجتماعى والشباب، التواصل مع الريف وخدمات القروض الصغيرة للمنظمات. وقد غطت الصحافة الصحافى النيجيرية بعض برامج مؤسسة فانتسام، فضلاً عن لوموند، وسى إن إن، وبى بى سى الخدمة العالمية، وقد وقع الاختيار عليها عام ٢٠٠٨ فى تصفيات جائزة مسابقة ستوكهولم لمشروعات تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات من أجل التنمية، وفى مسابقة تطوير أسواق المهاجرين الأفارقة فى أوروبا، التى يقيمها البنك الدولى بخصوص تمويل المشاريع الريادية.

**بولى جاستر:** رئيسة تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات من أجل التنمية فى المركز المعلوماتى بجامعة ادواردو موندلين. وكانت عضوة فى الفريق الموزمبيقى الذى قام بدور ريادى فى إقامة مراكز اتصالات فى المدن الإقليمية بالمناطق الريفية عام ١٩٩٩، ونسقت أخيراً مبادرة تطوير مراكز وسائط الإعلام المتعددة فى المجتمع المحلى بموزمبيق، التابعة لليونسكو. ونتيجة اهتماماتها بالتنمية المحلية والاتصالات ووسائل إعلام المجتمع المحلى، جمعت بين أنشطة التطبيق العملى والبحث حول قضايا تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات من أجل التنمية، وكانت مستشارة باحثى جريس فى موزمبيق.

**لوسيا جينجر:** أستاذة أنظمة تكنولوجيا المعلومات في جامعة سانت توماس في موزمبيق. تتضمن اهتماماتها البحثية إنشاء شبكات الكمبيوتر، وأنظمة المعلومات الجغرافية، والحلول مفتوحة المصدر. شاركت في جمع المادة وتحليلها مع مشروع جريس في موزمبيق.

**ليلى حسنين:** حاصلة على دكتوراه في الإدارة العامة، ولديها خبرة ٢٠ عاماً في التنمية الاجتماعية الاقتصادية، وبناء القدرات المؤسسية. دكتورة حسنين مسؤولة المعلومات في برنامج شبكة التنمية المستدامة التابعة لبرنامج الأمم المتحدة للتنمية في نيويورك، ومسؤولة على المستوى الوطني لليونسيف ومنظمة الصحة العالمية في مصر. أسست حسنين منظمة التنمية من خلال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات في العالم العربي ArabDev، التي ركزت منذ عام ١٩٩٩ على قضية تسخير تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات من أجل التنمية، وقادت مبادرات قاعدية بخصوص تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات بمصر، في تعاون وثيق مع وزارة التعليم ومنظمات غير حكومية محلية وإقليمية، ووزارة تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات.

**جريس بانتييايا كيوموهيننو:** حاصلة على دكتوراه في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية، وماجستير في الأنثروبولوجيا الاجتماعية. وهي حالياً أستاذة في قسم دراسات النساء والنوع الاجتماعي في جامعة ماكريري، بكامبالا. وهي باحثة متميزة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ولديها خبرة كمدرسة ومحاضرة، وباحثة ونشيطة في الدفاع في مجال المساواة النوعية والتحول. وأجرت جريس بحثاً كبيراً حول الصحة الانجابية، وصحة الأم بشكل خاص، وحول مرض الإيدز في ظل الأوضاع التي تعاني من النزاعات. وبحثت أيضاً حول النساء ومجالات تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. ولها أعمال منشورة على نطاق واسع، وأنهت في الفترة الأخيرة كتاباً بعنوان *Women Work and Domestic Virtue in Uganda*، (المرأة والعمل وفضيلة التدجين في أوغندا)، وحاز الكتاب على جائزة من جمعية الدراسات الأفريقية في ٢٠٠٧.

**إيسلينا ماكوم:** أستاذ مساعد لأنظمة المعلومات في جامعة إواربو موندلين، التي تدرس فيها لبعض الوقت، وعضو مجلس إدارة ومديرة تنفيذية في البنك المركزي الموزمبيقى. وتتضمن اهتمامها البحثية تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات من أجل التنمية، والحكومة الإلكترونية، والنوع الاجتماعى، والتنمية وإدارة أنظمة المعلومات في المنظمات. قادت فريق العمل في عدد من الدراسات حول تطوير مراكز الاتصالات في موزمبيق، ومستشارة فريق البحث في موزمبيق.

**جيرترود ماكوفى:** أستاذة في علوم الحاسوب في جامعة إواربو موندلين في موزمبيق، وتعمل الآن في بحوث الدكتوراه في مجال أنظمة المعلومات. وتتضمن اهتماماتها البحثية تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات من أجل التنمية عموماً، والحكومة الإلكترونية والنوع الاجتماعى بوجه خاص. شاركت في الأنشطة الخاصة ببحث مراكز الاتصالات منذ عام ٢٠٠٠، والكاتبة الرئيسية لدراسة موزمبيق.

**جويت ماندليت:** أستاذة في قسم الرياضيات والمعلوماتية في كلية العلوم بجامعة إواربو موندلين في موزمبيق. يتمثل اهتمامها البحثى في اتصالات البيانات، وتكوين الشبكات وحلول المصادر المفتوحة. عضوة في فريق البحث في موزمبيق، وعملت بصفة خاصة في جمع المادة وتحليلها.

**بولى مبامبو ثاتا:** المديرية التنفيذية لخدمات المكتبة في جامعة جنوب أفريقيا. أثناء إجراء البحث عام ٢٠٠٦/٢٠٠٧، وعملت في إدارة المكتبة في جامعة موزمبيق في هرارى، لديها معرفة واسعة في مجال بيئة تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات في أفريقيا، اكتسبتها من خلال ارتباطها بالمكتبات الأفريقية. تتمثل اهتماماتها البحثية في محو أمية المعلومات، والنساء وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. حاصلة على ماجستير في علوم المعلومات.

**روث مينا:** ناشطة نسوية، وعملت بالتعليم لمدة خمسة أعوام في مستويات مختلفة، تتضمن المدارس الثانوية، والكليات والجامعة. حصلت على عدة جوائز، من بينها زمالة فولبرايت رفيعة المستوى في جامعة ستانفورد في الولايات المتحدة الأمريكية الممنوحة



من فورد فاونديشين، ومسابقة البحث الخاصة بمركز بحوث التنمية الدولية، وعملت أيضاً أستاذاً زائراً في جامعات مختلفة في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا. شغوفة بالعمل مع الشباب، باعتبارهم قوة تحويلية ممكنة ضد الأنظمة القمعية، بما فيها الأبوية. وهي الآن تدير مركز تعليم متعدد التخصصات، هدفه الأساسي دعم الشباب حتى يكونوا في أفضل ما يمكن أن يكونوا عليه. ومن بين مؤلفاتها، بحث تراه الأقرب لها بعنوان "حوار مع بيبي تيتي" في (Marjori Mbilinyi and Mary Rusimbi (2003) *Activist Voices: Feminist Struggles for an Alternative World*، وهي حالياً رئيسة برنامج تكوين شبكات للنوع الاجتماعي في تانزانيا.

**إليزابيث ملامبو:** تعمل حالياً نائبة مسئول المكتبة في جامعة زيمبابوي. منسق برنامج مهارات محو أمية المعلومات، وهو دورة مصممة للطلاب في مرحلة ما قبل التخرج، والدراسات العليا أيضاً. وكانت قبلها أمينة المكتبة الرئيسية في معهد دراسات التنمية. عضوة في لجان متنوعة في جامعة زيمبابوي، ونائبة رئيس مجلس الإدارة الحالي لمجموعة العمل النسائي، وهي منظمة غير حكومية مسؤولة عن التعزيز الكامل والنهوض بحقوق النساء.

**جوسلين مولر:** تستعد الآن لإتمام درجة الماجستير في دراسات التنمية بجامعة كيب تاون. مسؤولة البحث في مركز بحوث الطاقة. ويتمثل اهتمامها البحثي حالياً في القدرة المتكيفة لمزارعي كروم النبيذ الناشئين، والمجتمعات المحلية التي تعيش على مزارع صناعة النبيذ، وتخفيف حدة الفقر في الاسر المعيشية الحضرية منخفضة الدخل. من خلال تحسين فرص الوصول إلى خدمات الطاقة في المجتمع واستخدامها. وتهتم بشكل خاص بقضايا النوع الاجتماعي والتنمية، خاصة حول تطوير وتصميم وتوفير المناهج التشاركية مثل وسائل بناء القدرات، حتى تستطيع النساء توضيح حاجاتهن التنموية لصانعي القرار.

**بريوس مواتسيا:** أمينة مكتبة كلية الآداب بجامعة زيمبابوي. وتقوم بمسئولية إجراء الاتصالات اللازمة مع أعضاء هيئة التدريس في الكلية بخصوص شراء مواد المكتبة،

وتنسيق وتدريب مهارات محو أمية المعلومات، وهى الدورة الدراسية التى تزود الطلاب بالمهارات اللازمة لاستخدام المصادر الإلكترونية. وتهتم فى مجال البحث بتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات واستخدامها فى التعليم، ومحو أمية المعلومات، والمكتبات الإلكترونية.

**أنجيلا ناكافيرو:** نشيطة فى مجال النوع الاجتماعى فى أوغندا. قادت عملية تأسيس منظمة بدائل التنمية (DELTA) Development Alternatives غير الحكومية، وتجمع النساء الأوغنديات من أجل تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات Uganda Women's Caucus on ICTs (UWCI). وتشغل حاليا منصب المديرية التنفيذية لمنظمة بدائل التنمية، وعضوة فى شبكة نساء أوغندا (WOUNGNET) Women of Uganda Network، ومنتدى النساء من أجل الديمقراطية (FOWODE) Forum for Women in Democracy. وتعمل أنجيلا مدربة على تحليل النوع الاجتماعى، وضع ميزانيات مراعية للنوع الاجتماعى، وحملات الدفاع عن السياسات والتخطيط الإستراتيجى. وتتمتع بخبرة واسعة فى مراجعة/ وتقييم التحليلات/ والبحوث حول سياسات النوع الاجتماعى والنشاط الدفاعى فى مجال النوع الاجتماعى. وتولت مبادرات متعددة تهدف إلى تعميم النوع الاجتماعى فى أداء الاتحاد الأفريقى والمنظمات على المستوى القومى.

**نورثى أوكيلو:** منسقة شبكة النساء الأوغنديات، التى تتمثل رسالتها فى تعزيز ودعم استخدام النساء والمنظمات النسائية فى أوغندا لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. نشيطة فى مجال تشجيع مزيد من النساء، والمشروعات صغيرة الحجم، والمجتمعات المحلية الريفية على الاشتراك فى مجتمع المعلومات من أجل التنمية، عن طريق الدفاع عن سياسات النوع الاجتماعى، وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، وعن طريق تطبيق البرامج، والرصد، والتقييم. دكتورة أوكيلو عضوة فى مجلس الائتلاف النولى من أجل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والتنمية Communications Technology and Development (GAID)، الذى يعمل فى إطار لجنة الأمم المتحدة للشئون الاقتصادية والاجتماعية.

**سالومي أوامر أمامو:** حاصلة على ماجستير في دراسات المنظمات غير الحكومية والإدارة، ومستشارة في بحوث علم الاجتماع. وتعمل الآن باحثاً مساعداً في أون، كما تساعد أيضاً في مركز البحث والتنمية، ومديرة تنمية المجتمع المحلي مع منظمة سباكين بلا حدود، وكلاهما منظمة غير حكومية مقرها في نيروبي، بكينيا. تعمل في مجال تحليل النوع الاجتماعي وتعميمه، والبحوث وتحليل السياسات في القطاع الاجتماعي، وتجرى بحوثاً كمية وكيفية على السواء، تشارك في أنشطة الضغط والدفاع وبناء القدرات في مجالات المياه والمرافق الصحية، وتعبئة المجتمع المحلي، ومرض الإيدز، وإجراء تقييم للريف بصورة تشاركية. وتتولى أيضاً تنظيم وتنسيق ورش العمل/ وحلقات النقاش. قامت بالتدريب والعمل مع منظمات متعددة، تتضمن منظمة العمل الدولية - الهند، وورلد فيجين إنديا، وبرنامج الهند للمعونة الأمريكية في آسيا والمحيط الباسفيكي، ووزارة التعليم، واليونسيف في كينا.

**ماري روزمبي:** عضو مؤسس للبرنامج الترناني لتكوين الشبكات في مجال النوع الاجتماعي، وشغلت منصب مديرة التنفيذية لمدة عشر سنوات حتى مارس ٢٠٠٧. لعبت دور قيادي رئيسي في الحركة النسائية لعدة سنوات من خلال تأسيس منظمات عديدة والاشتراك في عضوية مجلس إدارتها، والسعي إلى تعزيز المساواة النوعية، والعدل والتحول الاجتماعي في البلاد والإقليم والعالم. وعملت سابقاً مسؤولة برنامج حول النوع الاجتماعي في سفارة هولندا وكندا في تنزانيا. وتعمل ماري حالياً في مجال النوع الاجتماعي والتنمية، كمتخصصة في تحليل النوع الاجتماعي وسياساته، ووضع ميزانيات مراعية للنوع الاجتماعي، والتدريب والتمكين والبحث القائم على المشاركة، وتطوير منظمات المجتمع المدني تنظيمياً. نشرت ماري عدداً من المقالات وفضولاً في الكتب حول قضايا النوع الاجتماعي والتنمية.

**إيبو سين:** باحث وأستاذ في قسم علم الاجتماع بداركار، جامعة شيخ أنتاتوب، وجاستون بيرجر دي سانت لويس في السنغال، وحاصل على دكتوراه في علم الاجتماع من جامعة لوميرى (ليون تو)، فرنسا. درس علم الاجتماع الحضري، والاجتماع السياسي، واجتماع التنمية، واجتماع القطاع غير الرسمي، واجتماع حركة الجمعيات،

ومناهج بحث العلوم الاجتماعية، ومشروعات التقييم، ونظريات علم الاجتماع. وتتركز أعماله على القطاع غير الرسمي التجارى فى السنغال، والتنمية والديموجرافيا التاريخية، ويهتم الآن بالانوع الاجتماعى وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات والتنمية.

**أوليف سيفنا:** حاصلة على درجة البكالوريوس فى الاتصالات وتنمية المجتمعات المحلية من جامعة داىستار، نيروبي، كينيا. باحث مساعد فى مركز ريسيرشويب. وتعمل حالياً فى الإدارة بجامعة جومو كينيااتا للزراعة والتكنولوجيا. وتستعد للحصول على درجة الماجستير فى إدارة الأعمال.

**أمينة تافنوت:** تخرجت فى مدرسة علوم المعلومات فى الرباط، بالمغرب، حاصلة على ماجستير فى علوم المعلومات. عملت فى مركز الوثائق القومى National Documentation Centre التابع لوزارة التخطيط. وتدير الآن مشروع مع هيئة التنمية الاجتماعية Social Development Agency. عضو فى الجمعية الديمقراطية لنساء المغرب (ADFM) Association Démocratique des Femmes du Maroc، ومسئولة عن العلاقات العامة فى الشبكة الأفريقية للمراكز والمكاتب القانونية للنساء المتحدثات بالفرنسية Réseau Africain des Centres et Cliniques Juridiques des Femmes dans l'Espace Francophone.

ورأست أمينة وأدارت مركز نجمة للمعلومات والمساعدة القانونية للنساء الناجيات من العنف Nejma Centre for Information and Legal Assistance for Women Survivors of Violence، وشغلت منصب المنسق الوطنى للشبكة العامة للمراكز القانونية من أجل النساء الناجيات من العنف National Network of Legal Centres for Women Survivors of Violence (ANARUZ)، ومنسقة مشروع ربط المعلومات حول النوع الاجتماعى فى بلاد المغرب الشرقية. Mashreq Maghreb Gender Linking Information Project (Mac Mag GLIP)، وكانت عضوة فى اللجنة التحضيرية والتنظيمية لمنتدى المنظمات غير الحكومية لتقييم تطبيق وثيقة خطة عمل بكين ٢٠٠٤/٢٠٠٥.

**إليس تشندا:** حاصلة على درجة الماجستير فى العلوم الإدارية، وتستعد الآن للحصول على دكتوراه حول ريادة الأعمال من جامعة لويس باستور فى ستراسبوج بفرنسا. تدرس بمعهد جامعة دوالا للتكنولوجيا (الكاميرون). إليس مسئولة الدراسات فى جمعية دوالا لدعم منظمات الأعمال Douala's Association for the Support of Women Entrepreneurs (ASAFE). وأجرت عدة دراسات للجمعية، سواء داخلياً أم مع السلطات العامة فى الكاميرون.

**عاطفة تيميجرين:** متخصصة أساساً فى علم الاجتماع، درست الفلسفة فى المدراس الثانوية فى الرباط، قبل الالتحاق بلجنة حقوق الإنسان والمواطنة، التابعة لوزارة التعليم الوطنى. عضوة فى الجمعية الديمقراطية للنساء المغرب، ومنسقة فى الشبكة العامة للنساء ضحايا العنف. وكانت عضوة أيضاً فى هيئة نقابة معلمى الفلسفة بالمغرب من ١٩٩٣ إلى ١٩٩٧. شاركت فى أنشطة عديدة على المستوى الوطنى والعالمى، حول قضايا مرتبطة بالعنف على أساس النوع الاجتماعى، والمساواة النوعية، وحقوق الإنسان والقيادة.

**مامادو بال تراورى:** باحث ومحاضر فى جامعة جاستون بيرجر دى سانت لويس (السنغال) Gaston Berger de Saint Louis University. يركز عمله الحالى على الأنثروبولوجيا الاجتماعية للتنمية والتغير الاجتماعى. محرر فى كراسات جماعة البحوث متعددة التخصصات لدعم التخطيط الإقليمى والتنمية المحلية Cahiers of the Interdisciplinary Research Group for Support to Regional Planning and Local Development (GIRARDEL)، ورئيس تحرير مجلة *Afrique, Sociétés, Recherche*.

**أليس وانجيرا مونيو:** شاركت فى التأسيس والدعوة لشبكة العمل من أجل تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فى كينيا (Kenya ICT Action Network (KICTANet)، وقامت بدور منسقتها العامة. مفوضة لجنة الاتصالات فى كينيا Communications Commission of Kenya (CCK)، وعضوة مجلس إدارة شبكة المعلومات الكينية Kenya Information Network (KENIC). وتهتم بمجال البحوث السياسة وتنظيم معلومات الاتصالات.

جيزيل يتأمبين: باحثة فى الاقتصاد من خلال التدريب، مستشارة معروفة لها خبرة دولية رفيعة المستوى، فى مسائل ريادة أعمال مشروعات التنمية، وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات والنوع الاجتماعى. مؤسسة ورئيسة جمعية دعم النساء رائدات الأعمال (ASAFE) Association for the Support of Women Entrepreneurs، وهى مشروع غير هادف للربح. وكانت أيضا نائب الرئيس فى مجلس إدارة المبادرة الإلكترونية للمهاجرين فى الخارج (UNIFEM) Diaspora Digital Initiative.. مدافعة متحمسة عن حقوق الأشخاص المحرومين، وخاصة النساء والشباب، وينصب نشاطها أيضا على تحسين الخدمات المعيشية للمحطين بها، من خلال البحث عن فرص الوصول إلى موارد منتجة وخدمات تقنية (تمويل بديل، تدريب، ووظائف تضيف قيمة كبيرة... إلى آخره). أنشأت مبادرة كرة القدم فى الشارع فى الكاميرون عام ٢٠٠٤، وصنف فريقها فى الترتيب السادس من بين ٤٨ دولة تم تمثيلها فى ٢٠٠٦ فى كأس العالم للمشردين فى كيب تاون، بجنوب أفريقيا.

## المحررتان في سطور :

### إينيكي باسكنز

باحثة في الأنثروبولوجيا الثقافية، ومهتمة بمناهج البحث وتمكين النساء، وتهتم بصفة خاصة بالتنوع الثقافي والتفرد الإنساني لكل شخص. وهي تخرجت في جامعة ليدن في هولندا.

عاشت في غانا والهند والبرازيل. ثم واصلت مسيرتها حتى جنوب أفريقيا عام ١٩٩٠، وأسست عام ١٩٩٦ شركتها "بحوث من أجل المستقبل". ومنذ ذلك الحين، استقلت بإجراء بحوثها على المستوى الدولي، باعتبارها مستشارة في عمليات تيسير الأنشطة في مجال النوع الاجتماعي<sup>(\*)</sup>. وركزت في أبحاثها على المناهج التحررية التي تُبصر بعالم الخب المستدام والعادل، واهتمت في أسلوب التدريب الذي تبنته بالبحوث التي تتعرف على موهبة كل مشارك، كما ركز عملها في مجال تيسير الأنشطة، وعلى الوعي بالنوع الاجتماعي والتعاون الحقيقي. وتقود باسكنز الآن شبكة بحوث النوع الاجتماعي في أفريقيا حول تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من أجل التمكين - جريس<sup>(\*\*)</sup>

---

(\*) بسبب التكرار الكثيف لعبارة النوع الاجتماعي "gender" في كتاب حدد النوع الاجتماعي مكوناً رئيسياً في موضوعه، ولصعوبة النسب إلى اسم مركب في اللغة العربية، أو استخدامه كوصف، أو غير ذلك من الصيغ، فكرنا أن استخدام الاسم مركباً بكثرة سيضعف النص ويجعله مفككاً، مما يرهق القارئ في الوصول إلى الأفكار الأهم، ولذلك أشرنا إلى كلمة "gender" في بعض الأحيان بكلمة النوع فقط. وننوه بأننا نعني بها في هذا الكتاب النوع الاجتماعي (الترجمة).

(\*\*) سيتم التعريف، في موقع لاحق على نحو أكثر تفصيلاً، بشبكة بحوث النوع الاجتماعي في أفريقيا حول تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من أجل التمكين (GRACE). وننوه إلى أننا سوف نشير إليها فيما يلي بالحروف العربية على هذا النحو "جريس" على سبيل الاختصار (الترجمة).

بـ (GRACE- Gender Research in Africa into ITCs for Empowerment). وتضم الشبكة فريق عمل من ثمانية وعشرين باحثاً مقيمين في تسع عشرة دولة في أفريقيا والشرق الأوسط، وتشارك في بحوث النوع الاجتماعي حول تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من أجل تمكين المرأة. وكما تدرس باسكنز أيضاً في مدرسة رامثا للتنوير في يلم، واشنطن، الولايات المتحدة الأمريكية. وقد أذكت لديها هذه الرحلة العلمية، شغفاً باحتضان المجهول في كل جوانب حياتها.

## آن ويب

منسقة البحوث في شبكة "جريس". وتخص بتركيزها أساساً مناهج بحوث العمل التشاركي، في البحوث النسوية التي تركز على البحث الكيفي. وعملت مع مجتمعات محلية وفرق بحثية خلال الخمسة عشر عاماً الماضية في سعيها للحد من مظاهر عدم المساواة. وعملت في التدريب على علم الاجتماع وتعليم الكبار ودراسات النوع الاجتماعي في تورنتو (معهد أونتااريو لدراسات التعليم) ولاهاي (معهد الدراسات الاجتماعية). وقد تضمن عملها بالتدريس احتكاكاً بأشخاص من كل مشارب الحياة والأماكن، بصورة رسمية أو غير رسمية، في كندا وأوروبا وأفريقيا، وكان في ذلك إثراء متواصل لها. وتقيم ويب الآن في كيبيك، بكندا.



## الترجمة فى سطور :

### عزة خليل

باحثة و مترجمة. عملت فى مركز البحوث العربية والأفريقية من عام ١٩٨٩ حتى ٢٠٠٩. وعلمت مترجمة فى جريدة الشروق من عام ٢٠٠٩ حتى ٢٠١٣. تهتم بالبحوث حول الحركات النسائية والحركات الاجتماعية والشعبية والسياسية، والدراسات الأفريقية. ولها عدد من البحوث المنشورة والكتب المترجمة، كما قامت بالترجمة فى بعض الدوريات والنشرات غير الدورية. وقامت بتحرير بعض الكتب.

من الكتب التى ترجمتها: نظم العمل والبرلة. إعادة هيكلة العلاقات بين الدولة والمجتمع فى أفريقيا، تحرير ب. بيكمان، القاهرة، دار المحروسة للنشر (٢٠٠٧). وهذا العالم لمن؟ زيف الإسلاموفوبيا. تأليف شمس إسماعيل حسن، الدار العربية للعلوم (٢٠١٠). شاركت فى ترجمة كتاب الحركات الاجتماعية فى أفريقيا مع مجموعة مترجمين، تحرير حلمى شعراوى، المركز القومى للترجمة (٢٠١١). النساء وإعادة خلق السياسة فى الجنوب الأفريقى، جيسلا جيسلر، المركز القومى للترجمة (٢٠١٤). أفريقيا النيوليبرالية. نتائج هندسة العالم اجتماعياً، جراهام هاريسون، المركز القومى للترجمة. (تحت الطبع).

التصحيح اللغوى: وجيه فاروق  
الإشراف الفنى: حسن كامل